بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١

ماذا يقولون عن الاسلام؟

(نصوص وردود)

بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١

ماذا يقولون عن الاسلام؟

(نصوص وردود)

د. إبراهيم عوض

المنار للطباعة والنشر
القاهرة

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

كلمة ع الماشي

ثَمَّةَ صراعٌ دائرٌ بين الغرب والإسلام منذ أن بزغت شمس الدعوة المحمدية المباركة، تلك الدعوة التى أَجْلَتْ جيوش الصليب الغربية من المنطقة وطهرتها منها، فبقى الحقد مشتعلا فى نفوس قادة الغرب وشعوبه يتوارثونه جيلا بعد جيل، ويحاولون التنفيس عنه بكل ما يستطيعون: فتارة يلجأون إلى التشنيع على الإسلام والرسول الكريم الذى جاء به، وتارة يجيّشون الجيوش ويهاجمون المنطقة متذرعين بمعاذيرَ وشبهات سخيفة لا تنطلى على عاقل، كما هو الحال فى الحروب الصليبية، إذ قالوا إن المسلمين يعتدون على الحجاج النصارى الذين يقصدون بيت المقدس، ولا بد من تأديبهم وشن الحملات عليهم لاسترداد بيت المقدس من أيديهم، مع أنه لم يحدث شىء من هذا قط، ولكنه الافتراء الرخيص السمج. وفى العصر الحديث تعرض الوطن العربى، بل العالم الإسلام كله تقريبا، إلى موجة استعمارية لم تكد تُبْقى بلدا منه دون احتلال وإذلال. ومع الاحتلال عمل المستعمرون الصليبيون بكل سبيل على تحطيم شخصية الأمة المعنوية، إلى جانب تدمير الأوطان ومؤسساتها ونَزْح ثرواتها إلى بلادهم كى يتمتعوا بها هم وأولادهم دون أصحابها الحقيقيين.

ومن بين ما لجأ إليه مجرمو الاستعمار التشكيكُ فى كل شىء يخص أمة محمد، وبالذات دينهم الذى وجهوا إليه كل ما يخطر وما لا

يخطر على البال من تُهَمٍ يعرفون هم قبل غيرهم أنها تُهَمٌ كاذبة لا تصمد أبدا على مَحَكِّ النقد . إنها حرب الأفكار، وهى أشدّ من حروب البنادق والمدافع والقنابل والصواريخ خطرا وفتكا وتدميرا . ذلك أنه إذا تم تحطيم البيوت والمصانع والشوارع والمتاحف والمدارس فمن السهل إعادة بنائها، إذ ما أسهل البناء المادى! أما إعادة ما تم تدميره من العقائد والمبادئ والقيم فدون ذلك أَهْوَالٌ وأَهْوَال. ومن هنا يمكننا أن ندرك أبعاد الحرب المعنوية الرهيبة التى تستهدف الإسلامَ منذ الحادىَ عَشَرَ من سبتمبر ٢٠٠١م، ذلك اليوم الذى تم فيه ضرب مبنى التجارة العالمى والبنتاجون، فهاجت ثائرة أمريكا واتهمت المسلمين بأنهم هم الذين اقترفوا هذا الهجوم وقبضت على المئات من شبانهم من مختلف أنحاء العالم وأودعتهم معتقل جوانتانامو فى كوبا دون أن يعرف أحد عنهم شيئا، ودون أن نشاهد أو نسمع بمحاكمة لأىّ منهم. ولم تبال أمريكا فى عداوتها لنا وعدوانها علينا بأى قانونٍ، ولم تحترم أى مبدإ، بل اندفعت تنفس عن أحقادها تجاه الإسلام والمسلمين وتعمل على تدمير بلادهم واستئصال دينهم بادئةً باحتلال أفغانستان والعراق، مستعينةً بغيرها من الدول الغربية، وفى نيتها وخطتها الانطلاق من هذين البلدين إلى سواهما من بلاد المسلمين.

وفى ذات الوقت انطلقت الأبواق الشيطانية تشوه ديننا وترميه بكل شَرٍّ ومَعَرَّة، فى معزوفة ناشزة مزعجة لا تتوقف أبدا ولا تقدم أى دليل سوى سيول من المقالات والدراسات والكتب والأحاديث والبرامج

المملوءة تدليسًا وافتراءً والتى تهدف جميعها إلى غاية واحدة هى إفقادُ المسلمين الثقة فى دينهم وفى أنفسهم وفى تاريخهم وفى حاضرهم وفى مستقبلهم حتى ينهاروا أمام عدوهم ويسلموا له مفاتيح بلادهم ويخنعوا ويخضعوا لكل ما تصنعه بهم أمريكا، التى تتصور أنه لا بد من القضاء على الإسلام بانتزاعه من نفوس المسلمين أو بإبادتهم هم أنفسهم إن اقتضى الأمر تمهيدا لعودة السيد المسيح إلى الأرض طبقا لما يؤمنون به من اعتقادات شيطانية متوحشة كى يحكم العَالَمَ ألف سنة سعيدة حسبما وضحنا فى هذا الكتاب وفى كتابنا الآخر: "نصوص إنجليزية استشراقية عن الإسلام"، وحسبما جاء فى كتاب القسيس جورج بوش جد الرئيس الأمريكى الحالى الذى وضعه فى القرن التاسع عشر عن حياة الرسول الكريم زاعمًا فيه كذبًا وزورًا أنه نبى مزيف أرسله الله كى ينتقم من الكنيسة لانحرافها عن الصواب، ثم يتم تدمير دينه وتنصير أتباعه فى النهاية بعد أن يكونوا قد أَدَّوْا تلك المهمة، فيظهر المسيح حينئذ ويكون سيدا للدنيا لمدة ألف عام إلى أن تقوم القيامة.

وفى الكتاب الذى بين أيدينا ثمانية نصوص إنجليزية تهاجم الإسلام وتتهمه بأشنع الاتهامات وأشدها بطلانا، اخترتها من مظانها المختلفة ووضعتها بين يَدَىْ قومى لينظروا فيها ويدركوا أى عدو شيطانى يحاربهم، وبأية وسائل إبليسية يبغى تدميرهم وتهديم أوطانهم ودينهم وسرقة ثرواتهم، وهُمْ ولا هُمْ هنا، مع أن المعركة التى كُتِبَتْ علينا هى معركة مصير: فإما قاومنا فحَيِينا، وإما استسلمنا فمتنا

وضعنا وضاع كل ما يتعلق بنا وأصبحنا فى خبر كان. وعلينا أن نفتح عيوننا وأن نقرأ هذه النصوص بأشد الاهتمام رغم ما فيها من كذب وتدليس ورغم ما تملأ به أفواهنا من مرارة. ذلك أن أية معركة تُكتَب علينا خَوْضها تستلزم، ضمن ما تستلزم، أن نعرف عدونا وما يدبره لنا وما يقوله عنا بغض النظر عن صدقه أو كذبه.

وأول هذه النصوص خطبة الرئيس الأمريكى الشرير الأحمق جورج دبليو بوش فى أعضاء الكونجرس بعد تدمير مبنى التجارة العالمى والبنتاجون بتسعة أيام، وهى الخطبة التى تمثل إشارة البدء فى الهجوم الحالى الضارى على الإسلام. وثانيها نص يناقش فيه صاحبه ظاهرة الكراهية المسعورة التى شاعت فى الفترة الأخيرة فى الغرب، والمسماة بـ"الإسلاموفوبيا"، قاصرًا الحديث على بريطانيا، وعاملاً بكل ما لديه من سفسطة على نفيها وتبرئة البريطانيين منها وإلقاء العيب كله على كاهل المسلمين واتهامهم باختلاقها اختلاقًا لإحراز مكاسب لا يستحقونها فى المجتمع البريطانى. والثالث يتناول كاتبه ما يوجَّه إلى فريق من المسلمين المنافحين عن دينهم وأوطانهم من اتهام بـ"الفاشية"، محاولا إلى حد ما فى شىء من الموضوعية أن يبين إلى أىّ مدًى يصحّ إطلاق هذا اللفظ عليهم. والرابع يزعم كاتبه أنه قام برحلة استكشافية فى عقلية أحد الإرهابيين المسلمين فوجد أنها تنطلق من الحديث الشريف الذى يقول "إن الجنة تحت ظلال السيوف"، وهو الحديث الذى بدأ المقال به، فكان أول القصيدة كُفْرًا كما يقولون. أما الخامس فعن "الجهاد

فى الإسلام"، وهو جهادٌ عدوانىٌّ واستئصالىٌّ إذلالىٌّ كما يدعى كاتبا المقال كذبا وبهتانا . أما السادس فعنوانه: "هل الإسلام فوق النقد ؟". وجواب هذا السؤال، كما نقرأ فى المقال، هو أن المسلمين يريدون أن يكون دينهم فعلا فوق النقد فلا يتعرض له أحد بكلمة، فى الوقت الذى يقول المؤلف إنهم يتطاولون على الأديان الأخرى وأصحابها بحرية تامة، وهو ما يمثل تناقضا عجيبا حسبما يرى. ولذلك نراه يدعو بكل قوة إلى أن يظل باب حرية التعبير والانتقاد للإسلام مفتوحا على مصراعيه دون أية تحفظات.

وغَنِىٌّ عن القول أننى قد ناقشت كل دعوى من دعاوى هذه النصوص فى تفصيل شديد، مستشهدا فى كل كلمة سطرتُها بالنصوص القرآنية والحديثية، مبينا السياق الذى وردت فيه تلك النصوص وكيف أن إهمالنا لقراءة ذلك السياق يؤدى إلى أخطاء جسيمة وأثيمة كتلك التى ارتكبها أصحاب النصوص الثمانية عن عمد فى معظم الأحيان، وبخاصة أننا لو قارنا النصوص الإسلامية بنظيراتها الكتابية لبدا الإسلام على حقيقته النبيلة الكريمة التى يبذل أصحاب تلك النصوص وأذنابهم كل جهد لديهم لسترها وإبقائها بعيدة عن الأنظار.

وقد حرصت على أن أُتْبِع كل نص بترجمة جميع الألفاظ والعبارات الهامة التى وردت فيه بحيث لا يبقى دون ترجمة تقريبًا إلا ما لا يسع عارفا بمبادئ اللغة الإنجليزية أن يجهله. كما اهتممت فى كل مناسبة سنحتْ أثناء تلك المناقشات أن أبصّر أمتى بتقصيرها وإذنابها

فى حق نفسها بتركها قيَمَ الإسلام ومبادئه العبقريةَ فى إهمال كارثىٍ كانت ثمرته هذا التخلف والهوان الذى نحن فيه، وأن أنبهها إلى أنه لاَ يوجد للخروج من هذا المأزق الحضارى الذى يحاصرنا من كل جانب إلا الصبر على تجرع المرّ متمثلا فى العمل والإقبال على العلم بكل ما عندنا من إرادة للحياة وشعور بالخطر، وكذلك الجدّ والاجتهاد فى كل مجالات الإبداع، والحرص على الدقة والإتقان فى كل شىء بدلا من المنطق السَّبَهْللىَ الذى برعنا فيه ولا نريد أن نغيره أبدا رغم كل ما حاق بنا من ورائه من بلايا ورزايا ما زالت تَتْرَى حتى الآن، ولا أظنها منقشعةً عما قريب قبل أن ننال العقاب العادل الذى نستحقه جرّاء إهمالنا ورضانا بالدَّنِيّة وعجزنا واستخذائنا أمام الاستبداد والاستعمار والتدخل الأجنبى الكافر فى بلاد أمة "لا إله إلا الله"، التى ما عادت تفهم لكلمة"لا إله إلا الله" العظيمة من معنى، فحق عليها العذاب والهوان بما كسبت أيديها، اللهم إلا إذا . . .

نعم، اللهم إلا إذا تغيرنا وسلكنا سبيلا أخرى غير تلك السبيل التى نسلكها منذ قرون. ولكن كيف؟ الحق أنه ليس أمامنا، إذا أردنا الخروج من هذه الدائرة الجهنمية، إلا أن نتحرك ونتصرف طبقا لما تستلزمه هذه الأوضاع البشعة التى ربما لم يمرّ على أمتنا وضعٌ مثلُها من قبل، وأن نستعمل الوسائل والطرق التى يمكننا أن نوقف بها هذا الهجوم الإبليسى علينا، غير مغفلين فى ذات الوقت أن المعركة لن تُحْسَم فى ميدان القتال فحسب، بل لا بد أن تنهض الأمة فتعمل بيديها وأسنانها

وأظافرها وتُقْبل على العلم وتتذرع بالجد وتتوخّى الإتقان وتنفض عنها رداء الخمول الذى استمرأته لقرون كاملة حتى وصلت إلى الحضيض الذى هى فيه الآن. وإلا فمن الممكن أن ننتصر على قوى الشر فى معركة أو أكثر ببركة المجاهدين الذين يحتسبون حياتهم وراحتهم عند الله ليحموا بقية الأمة، بينما الأمة مستمرة فى لهوها وفسادها مما يكون من نتيجته أن تعاود قوى الشر الكرّةَ علينا مرة أخرى لمعرفتهم أننا لا نزال ضعفاء، بخلاف ما لو قوينا علميا وصناعيا وعسكريا وسياسيا واجتماعيا وخلقيا، فإنهم ساعتها لن يجدوا ثُغْرةً ينفذون من خلالها إلى ضربنا واحتلالنا وإهانتنا.

وعندنا فى مصر أكبر شاهد على ما نقول: فقد جاء الفرنسيون فى أواخر القرن التاسع عشر واحتلوا أرض الكنانة لمدة ثلاث سنوات غادروها بعدها تحت ضغط عدد من العوامل منها المقاومة الوطنية. لكن الإنجليز، الذين كانوا حرصاء أشد الحرص على إخراج الفرنسيين من مصر، جاؤوا بدورهم بعد انكساح الاحتلال الفرنسى بأربع سنوات لا غير محاولين احتلال البلاد والفوز بالغنيمة التى نَفَسوها على الفرنسيين وأرادوا منذ ذلك الحين أن تكون لهم هم، ولهم وحدهم. وتنجح المقاومة الوطنية فى دحر الغزو الإنجليزى، ويظن المصريون مرة أخرى أن الخطر قد انقشع وانتهى الأمر. بيد أن الإنجليز يعودون ثانيةً بعد أكثر من سبعين عاما لينجحوا هذه المرة وَيَبْقَوْا جاثمين على صدورنا وكرامتنا أكثر من سبعين عاما أخرى. وبعد الجلاء ظننا أن الأمور قد استقامت

وأنه لم يعد هناك مجال للخوف، وإذا بنا نفاجأ لا بالإنجليز وحدهم بل بهم وبالفرنسيين وبالإسرائيليين يغزون مصر، ولم يكن قد مر على جلاء البريطانيين عن أرض الوطن سوى عامين. صحيح أنهم فى تلك الجولة قد جَلَوْا عن بلادنا الحبيبة سريعا، إلا أنه لم ينصرم إلا إحدى عشرة سنة حتى عاد الإسرائيليون لاحتلال المحروسة. وعندما نجحنا، بعد حرب رمضان المجيدة العظيمة، فى إخراج الصهاينة بمعاهدة لا تحقق لنا كل ما نصبو له وحَسِبْنا أننا قد ودعنا بذلك آخر الأحزان، إذا بالغزو الأمريكى البريطانى المدعوم من عددمن الدول الغربية يقتحم أرض الرافدين ويدوس بأقدامه النجسة عاصمة الرشيد. فهذا المثال يوضح لنا بجلاء أن سيف الخطر مصلت دومًا على رقابنا، وأنه لا مخرج لنا إلا بأن يكون فى أيدينا سيف مثله فى القوة، إن لم يزد: سيف عقيدى وعلمى وعسكرى وسياسى واقتصادى وإبداعى واجتماعى وأخلاقى. . .

أما إذا مضت الأمة فى غيبوبتها ولم تُرِدْ أن تفيق مما هى فيه، فلا تلومنّ إلا نفسها، ولْتَعْرفْ أنه لا ينتظرها فى هذه الحالة إلا الضياع. وهو ما يعنى خسرانها الدنيا والآخرة بجدارة واستحقاق تامَّيْن: "وما كان ربُّك لِيُهْلكَ القُرَى بظُلْم وأَهْلُها مُصْلحونَ". وإيانا أن نصدق ما يقال أحيانًا من بعض المتسرعين غير المتعمقين من أن الأمة فى مجموعها لا تزال بخير، وأمثال ذلك من الكلام المخدِّر المُرْدى، وإلا فمن أين أتت المصائب التى تنهال على رؤوسنا منذ قرون؟ أهوَ ظلم من القدر لنا ؟

حاشا وكلا، فالله لا يظلم أحدا، وسننه الكونية لا تحابى ولا تعادى دون سبب، بل تعطى العاملين ثمرة عملهم وجدهم وكدهم وسهرهم وطموحهم واحترامهم لأنفسهم وعدم اتكالهم على ترديد الشعارات الكاذبة والتمدح بالباطل والاكتفاء بالأغانى والطبل والزمر والرقص، وكأن الدنيا قد دانت لهم مع أنهم فى الحضيض الأسفل. أما الكسالى المتبلدون الكارهون للعلم والعمل والذين لا يحسنون إتقان شىء ولا يوثق بوعد يعطونه ولا بكلمة يقولونها، وحياتهم فسادٌ فى فساد، وتشويهٌ فى تشويهٍ، فليس لهم عندٍ رب العالمين إلا الخسران المبين والضياع المَشين مهما زعموا بأنهم وأنهم... ألا هل بَلغتُ؟ اللهم فاشهد!

Address to a Joint Session of Congress and the American People September 20th, 2001

Georges W. Bush

THE PRESIDENT: Mr. Speaker, Mr. President Pro Tempore, members of Congress, and fellow Americans:

In the normal course of events, Presidents come to this chamber to report on the state of the Union. Tonight, no such report is needed. It has already been delivered by the American people.

We have seen it in the courage of passengers, who rushed terrorists to save others on the ground -- passengers like an exceptional man named Todd Beamer. And would you please help me to welcome his wife, Lisa Beamer, here tonight. (Applause.)

We have seen the state of our Union in the endurance of rescuers, working past exhaustion. We have seen the unfurling of flags, the lighting of candles, the giving of blood, the saying of prayers -- in English Hebrew, and Arabic. We have seen th

decency of a loving and giving people who have made the grief of strangers their own.

My fellow citizens, for the last nine days, the entire world has seen for itself the state of our Union -- and it is strong. (Applause.)

Tonight we are a country awakened to danger and called to defend freedom. Our grief has turned to anger, and anger to resolution. Whether we bring our enemies to justice, or bring justice to our enemies, justice will be done. (Applause.)

I thank the Congress for its leadership at such an important time. All of America was touched on the evening of the tragedy to see Republicans and Democrats joined together on the steps of this Capitol, singing "God Bless America." And you did more than sing; you acted, by delivering $40 billion to rebuild our communities and meet the needs of our military.

Speaker Hastert, Minority Leader Gephardt, Majority Leader Daschle and Senator Lott, I thank you for your friendship, for your leadership and for your service to our country. (Applause.)

And on behalf of the American people, I thank the world for its outpouring of support. America will never forget the sounds of our National Anthem playing at Buckingham Palace, on the streets of Paris, and at Berlin's Brandenburg Gate.

We will not forget South Korean children gathering to pray outside our embassy in Seoul, or the prayers of sympathy offered at a mosque in Cairo. We will not forget moments of silence and days of mourning in Australia and Africa and Latin America.

Nor will we forget the citizens of 80 other nations who died with our own: dozens of Pakistanis; more than 130 Israelis; more than 250 citizens of India; men and women from El Salvador, Iran, Mexico and Japan; and hundreds of British citizens. America has no truer friend than Great Britain. (Applause.) Once again, we are joined together in a great cause -- so honored the British Prime Minister has crossed an ocean to show his unity of purpose with America. Thank you for coming, friend. (Applause.)

On September the 11th, enemies of freedom committed an act of war against

our country. Americans have known wars -- but for the past 136 years, they have been wars on foreign soil, except for one Sunday in 1941. Americans have known the casualties of war -- but not at the center of a great city on a peaceful morning. Americans have known surprise attacks -- but never before on thousands of civilians. All of this was brought upon us in a single day -- and night fell on a different world, a world where freedom itself is under attack.

Americans have many questions tonight. Americans are asking: Who attacked our country? The evidence we have gathered all points to a collection of loosely affiliated terrorist organizations known as al Qaeda. They are the same murderers indicted for bombing American embassies in Tanzania and Kenya, and responsible for bombing the USS Cole.

Al Qaeda is to terror what the mafia is to crime. But its goal is not making money; its goal is remaking the world -- and imposing its radical beliefs on people everywhere.

The terrorists practice a fringe form of Islamic extremism that has been rejected

by Muslim scholars and the vast majority of Muslim clerics -- a fringe movement that perverts the peaceful teachings of Islam. The terrorists' directive commands them to kill Christians and Jews, to kill all Americans, and make no distinction among military and civilians, including women and children.

This group and its leader -- a person named Osama bin Laden -- are linked to many other organizations in different countries, including the Egyptian Islamic Jihad and the Islamic Movement of Uzbekistan. There are thousands of these terrorists in more than 60 countries. They are recruited from their own nations and neighborhoods and brought to camps in places like Afghanistan, where they are trained in the tactics of terror. They are sent back to their homes or sent to hide in countries around the world to plot evil and destruction.

The leadership of al Qaeda has great influence in Afghanistan and supports the Taliban regime in controlling most of that country. In Afghanistan, we see al Qaeda's vision for the world.

Afghanistan's people have been brutalized -- many are starving and many have fled. Women are not allowed to attend school. You can be jailed for owning a television. Religion can be practiced only as their leaders dictate. A man can be jailed in Afghanistan if his beard is not long enough.

The United States respects the people of Afghanistan -- after all, we are currently its largest source of humanitarian aid -- but we condemn the Taliban regime. (Applause.) It is not only repressing its own people, it is threatening people everywhere by sponsoring and sheltering and supplying terrorists. By aiding and abetting murder, the Taliban regime is committing murder.

And tonight, the United States of America makes the following demands on the Taliban: Deliver to United States authorities all the leaders of al Qaeda who hide in your land. (Applause.) Release all foreign nationals, including American citizens, you have unjustly imprisoned. Protect foreign journalists, diplomats and aid workers in your country. Close immediately and

permanently every terrorist training camp in Afghanistan, and hand over every terrorist, and every person in their support structure, to appropriate authorities. (Applause.) Give the United States full access to terrorist training camps, so we can make sure they are no longer operating.

These demands are not open to negotiation or
discussion. (Applause.) The Taliban must act, and act immediately. They will hand over the terrorists, or they will share in their fate.

I also want to speak tonight directly to Muslims throughout the world. We respect your faith. It's practiced freely by many millions of Americans, and by millions more in countries that America counts as friends. Its teachings are good and peaceful, and those who commit evil in the name of Allah blaspheme the name of Allah. (Applause.) The terrorists are traitors to their own faith, trying, in effect, to hijack Islam itself. The enemy of America is not our many Muslim friends; it is not our many Arab friends. Our enemy is a radical network of terrorists, and every

government that supports them. (Applause.)

Our war on terror begins with al Qaeda, but it does not end there. It will not end until every terrorist group of global reach has been found, stopped and defeated. (Applause.)

Americans are asking, why do they hate us? They hate what we see right here in this chamber -- a democratically elected government. Their leaders are self-appointed. They hate our freedoms -- our freedom of religion, our freedom of speech, our freedom to vote and assemble and disagree with each other.

They want to overthrow existing governments in many Muslim countries, such as Egypt, Saudi Arabia, and Jordan. They want to drive Israel out of the Middle East. They want to drive Christians and Jews out of vast regions of Asia and Africa.

These terrorists kill not merely to end lives, but to disrupt and end a way of life. With every atrocity, they hope that America grows fearful, retreating from the world and forsaking our friends. They

stand against us, because we stand in their way.

We are not deceived by their pretenses to piety. We have seen their kind before. They are the heirs of all the murderous ideologies of the 20th century. By sacrificing human life to serve their radical visions -- by abandoning every value except the will to power -- they follow in the path of fascism, and Nazism, and totalitarianism. And they will follow that path all the way, to where it ends: in history's unmarked grave of discarded lies. (Applause.)

Americans are asking: How will we fight and win this war? We will direct every resource at our command -- every means of diplomacy, every tool of intelligence, every instrument of law enforcement, every financial influence, and every necessary weapon of war -- to the disruption and to the defeat of the global terror network.

This war will not be like the war against Iraq a decade ago, with a decisive liberation of territory and a swift conclusion. It will not look like the air war above Kosovo two years ago, where no

ground troops were used and not a single American was lost in combat.

Our response involves far more than instant retaliation and isolated strikes. Americans should not expect one battle, but a lengthy campaign, unlike any other we have ever seen. It may include dramatic strikes, visible on TV, and covert operations, secret even in success. We will starve terrorists of funding, turn them one against another, drive them from place to place, until there is no refuge or no rest. And we will pursue nations that provide aid or safe haven to terrorism. Every nation, in every region, now has a decision to make. Either you are with us, or you are with the terrorists. (Applause.) From this day forward, any nation that continues to harbor or support terrorism will be regarded by the United States as a hostile regime.

Our nation has been put on notice: We are not immune from attack. We will take defensive measures against terrorism to protect Americans. Today, dozens of federal departments and agencies, as well as state and local governments, have

responsibilities affecting homeland security. These efforts must be coordinated at the highest level. So tonight I announce the creation of a Cabinet-level position reporting directly to me -- the Office of Homeland Security.

And tonight I also announce a distinguished American to lead this effort, to strengthen American security: a military veteran, an effective governor, a true patriot, a trusted friend -- Pennsylvania's Tom Ridge. (Applause.) He will lead, oversee and coordinate a comprehensive national strategy to safeguard our country against terrorism, and respond to any attacks that may come.

These measures are essential. But the only way to defeat terrorism as a threat to our way of life is to stop it, eliminate it, and destroy it where it grows. (Applause.)

Many will be involved in this effort, from FBI agents to intelligence operatives to the reservists we have called to active duty. All deserve our thanks, and all have our prayers. And tonight, a few miles from the damaged Pentagon, I have a message for our military: Be ready. I've called the Armed Forces to alert, and there is a

reason. The hour is coming when America will act, and you will make us proud. (Applause.)

This is not, however, just America's fight. And what is at stake is not just America's freedom. This is the world's fight. This is civilization's fight. This is the fight of all who believe in progress and pluralism, tolerance and freedom.

We ask every nation to join us. We will ask, and we will need, the help of police forces, intelligence services, and banking systems around the world. The United States is grateful that many nations and many international organizations have already responded -- with sympathy and with support. Nations from Latin America, to Asia, to Africa, to Europe, to the Islamic world. Perhaps the NATO Charter reflects best the attitude of the world: An attack on one is an attack on all.

The civilized world is rallying to America's side. They understand that if this terror goes unpunished, their own cities, their own citizens may be next. Terror, unanswered, can not only bring down buildings, it can threaten the stability of legitimate governments. And

you know what -- we're not going to allow it. (Applause.)

Americans are asking: What is expected of us? I ask you to live your lives, and hug your children. I know many citizens have fears tonight, and I ask you to be calm and resolute, even in the face of a continuing threat.

I ask you to uphold the values of America, and remember why so many have come here. We are in a fight for our principles, and our first responsibility is to live by them. No one should be singled out for unfair treatment or unkind words because of their ethnic background or religious faith. (Applause.)

I ask you to continue to support the victims of this tragedy with your contributions. Those who want to give can go to a central source of information, libertyunites.org, to find the names of groups providing direct help in New York, Pennsylvania, and Virginia.

The thousands of FBI agents who are now at work in this investigation may need your cooperation, and I ask you to give it.

I ask for your patience, with the delays and inconveniences that may accompany

tighter security; and for your patience in what will be a long struggle.

I ask your continued participation and confidence in the American economy. Terrorists attacked a symbol of American prosperity. They did not touch its source. America is successful because of the hard work, and creativity, and enterprise of our people. These were the true strengths of our economy before September 11th, and they are our strengths today. (Applause.)

And, finally, please continue praying for the victims of terror and their families, for those in uniform, and for our great country. Prayer has comforted us in sorrow, and will help strengthen us for the journey ahead.

Tonight I thank my fellow Americans for what you have already done and for what you will do. And ladies and gentlemen of the Congress, I thank you, their representatives, for what you have already done and for what we will do together.

Tonight, we face new and sudden national challenges. We will come together to improve air safety, to

dramatically expand the number of air marshals on domestic flights, and take new measures to prevent hijacking. We will come together to promote stability and keep our airlines flying, with direct assistance during this emergency. (Applause.)

We will come together to give law enforcement the additional tools it needs to track down terror here at home. (Applause.) We will come together to strengthen our intelligence capabilities to know the plans of terrorists before they act, and find them before they strike. (Applause.)

We will come together to take active steps that strengthen America's economy, and put our people back to work.

Tonight we welcome two leaders who embody the extraordinary spirit of all New Yorkers: Governor George Pataki, and Mayor Rudolph Giuliani. (Applause.) As a symbol of America's resolve, my administration will work with Congress, and these two leaders, to show the world that we will rebuild New York City. (Applause.)

After all that has just passed -- all the lives taken, and all the possibilities and hopes that died with them -- it is natural to wonder if America's future is one of fear. Some speak of an age of terror. I know there are struggles ahead, and dangers to face. But this country will define our times, not be defined by them. As long as the United States of America is determined and strong, this will not be an age of terror; this will be an age of liberty, here and across the world. (Applause.)

Great harm has been done to us. We have suffered great loss. And in our grief and anger we have found our mission and our moment. Freedom and fear are at war. The advance of human freedom -- the great achievement of our time, and the great hope of every time -- now depends on us. Our nation -- this generation -- will lift a dark threat of violence from our people and our future. We will rally the world to this cause by our efforts, by our courage. We will not tire, we will not falter, and we will not fail. (Applause.)

It is my hope that in the months and years ahead, life will return almost to

normal. We'll go back to our lives and routines, and that is good. Even grief recedes with time and grace. But our resolve must not pass. Each of us will remember what happened that day, and to whom it happened. We'll remember the moment the news came -- where we were and what we were doing. Some will remember an image of a fire, or a story of rescue. Some will carry memories of a face and a voice gone forever.

And I will carry this: It is the police shield of a man named George Howard, who died at the World Trade Center trying to save others. It was given to me by his mom, Arlene, as a proud memorial to her son. This is my reminder of lives that ended, and a task that does not end. (Applause.)

I will not forget this wound to our country or those who inflicted it. I will not yield; I will not rest; I will not relent in waging this struggle for freedom and security for the American people.

The course of this conflict is not known, yet its outcome is certain. Freedom and fear, justice and cruelty, have always been at war, and we

know that God is not neutral between them. (Applause.)

Fellow citizens, we'll meet violence with patient justice -- assured of the rightness of our cause, and confident of the victories to come. In all that lies before us, may God grant us wisdom, and may He watch over the United States of America.

Thank you. (Applause.)

Address to: خطبة موجهة إلى

a Joint Session of: جلسة مشتركة من

fellow Americans: مواطنيّ الأمريكان

who rushed terrorists: الذين طاردوا الإرهابيين

the endurance of rescuers: شدة التحمّل لدى المنقذين

the unfurling of flags: رَفْع الأعلام

the saying of prayers: الدعاء/ تأدية الصلوات

people who have made the grief of strangers their own: الأشخاص الذين جعلوا من أحزان الآخرين حزنا شخصيا لهم

Applause: تصفيق

Resolution: عزيمة وتصميم

we bring our enemies to justice: نسوق أعداءنا إلى ساحة العدالة

All of America was touched on the evening of the tragedy to see...: كل الأمريكان قد تأثرت مشاعرهم مساء تلك الكارثة حين رأوا . . .

Republicans and Democrats: الجمهوريـون والديمقراطيون

Minority Leader: زعيم الأقلية

on behalf of the American people: نيابة عن الشعب الأمريكى

outpouring of support: تدفق المعونة

the prayers of sympathy offered at a mosque in Cairo: صلوات التعاطف التى أداها الناس فى أحد مساجد القاهرة

days of mourning: أيام الحداد

enemies of freedom committed an act of war against our country: لقد أتى أعداء الحرية عملا من أعمال الحرب ضد بلادنا

the casualties of war: مصابو الحروب

surprise attacks: هجمات مباغتة

All of this was brought upon us in a single day: كل ذلك أصابنا فى يوم واحد

a collection of loosely affiliated terrorist organizations: مجموعة من التنظيمات الإرهابية لا يوجد اتصال وثيق بينها

Al Qaeda is to terror what the mafia is to crime: "القاعدة" بالنسبة لعالم الإرهاب مثل "المافيا" فى عالم الجريمة

imposing its radical beliefs on: تفرض مبادئها الأصولية على

a fringe form of Islamic extremism: شكل من أشكال التطرف الإسلامى الخارج على الجماعة

Muslim clerics: علماء الدين المسلمون

To pervert: يفسد

The terrorists' directive commands them to kill Christians and Jews: مبادئ المتطرفين تأمرهم بقتل النصارى واليهود

They make no distinction among military and civilians: لا يميزون بين العسكريين والمدنيين

linked to many other organizations: متصلة بكثير من المنظمات الأخرى

They are recruited from their own nations and neighborhoods: تم تجنيدهم من بلادهم ومن البلاد الأخرى المجاورة

they are trained in the tactics of terror: مدرَّبون على الخطط الإرهابية

to plot evil and destruction: يخططون لأعمال الشر والدمار

the Taliban regime: نظام طالبان

Afghanistan's people have been brutalized: لقد عومل الشعب الأفغاني معاملة وحشية

many are starving: لا يجد الكثيرون منهم ما يدفعون به غائلة الجوع

we are currently its largest source of humanitarian aid: نحن حاليًا نمثل المصدر الأكبر الذى تحصل منه أفغانستان على المعونات الإنسانية

To repress: يستبد ويكمم الأفواه

sponsoring and sheltering and supplying terrorists: الإشراف على الإرهابيين وحمايتهم وتوريدهم

abetting murder: التشجيع على الاغتيال

United States authorities: السلطات الأمريكية

Release all foreign nationals: الإفراج عن رعايا الدول الأجنبية

unjustly imprisoned: وُضع فى السجن ظلما

Give the United States full access to terrorist training camps: عليكم أن تمكنوا الولايات المتحدة تماما من دخول معسكرات تدريب الإرهابيين

so we can make sure they are no longer operating: كى نتحقق أنها لم تعد تعمل

These demands are not open to negotiation or discussion: هذه المطالب غير قابلة للتفاوض أو المناقشة

those who commit evil in the name of Allah blaspheme the name of Allah: هؤلاء الذين يقترفون الشر باسم الله إنما يسيئون إلى اسم الله

The terrorists are traitors to their own faith, trying, in effect, to hijack Islam itself: إن الإرهابيين إنما يخونون دينهم محاولين فى الواقع اختطاف الإسلام ذاته

until every terrorist group of global reach has been found, stopped and defeated: إلى أن يتم القبض على كل منظمة إرهابية ذات صبغة عالمية وكبحها وهزيمتها

a democratically elected government: حكومة منتخبة ديمقراطيا

freedom to vote and assemble and disagree with each other: حرية التصويت والاجتماع واختلاف بعضنا مع بعض

atrocity: وحشية

forsaking our friends: التخلي عن أصدقائنا

their pretenses to piety: تظاهرهم بالتقوى

the will to power: التطلع إلى السلطة

fascism, and Nazism, and totalitarianism: الفاشية والنازية والحكم الشمولي

in history's grave of discarded lies: في مقبرة التاريخ التي تُدفن فيها نفايات الأكاذيب

law enforcement: تنفيذ القانون

the global terror network: شبكة الإرهاب العالمية

a decade ago: قبل عقد من الزمان

retaliation: القصاص

a lengthy campaign: حملة عسكرية طويلة الأجل

We will starve terrorists of funding: سنحرم الإرهابيين من مصادر التمويل

A haven to: ملجأ لـ

From this day forward: من الآن فصاعدا

a hostile regime: حكومة معادية

Our nation has been put on notice: We are not immune from attack: لقد تنبهت أمتنا إلى أننا لسنا بمأمن من الهجوم

affecting homeland security: تتعلق بأمن الوطن

a military veteran: محارب محنّك

intelligence operatives: عمليات استخباراتية

reservists: الاحتياطيون

I've called the Armed Forces to alert: أهَبْتُ بالقوات المسلحة أن تكون فى وضع الاستعداد

at stake: فى خطر

pluralism: التعددية

intelligence services: أعمال المخابرات

the NATO Charter: ميثاق حلف الأطلنطى

The civilized world is rallying to America's side: إن العالم المتحضر يقف إلى جانب أمريكا

I ask you to uphold the values of America: أناشدكم التمسك بالقيم الأمريكية

because of their ethnic background or religious faith: بسبب أصولهم العرقية أو عقائدهم الدينية

contributions: مساهمات

delays and inconveniences: ضروب التعطيل والإزعاج

in uniform: فى الزى الرسمى

expand the number of: يزيد عدد الـ

domestic flights: رحلات الطيران المحلية

to prevent hijacking: يمنع اختطاف الطيارات

to track down terror: يطارد الإرهاب

To embody the extraordinary spirit of...: يجسد الروح العظيمة لـ . . .

a symbol of America's resolve: رمزٌ للتصميم الأمريكى

there are struggles ahead, and dangers to face: ثمة معارك تنتظرنا وأخطار لا بد أن نواجهها

the United States of America is determined and strong: الولايات المتحدة الأمريكية كلها تصميم وقوة

we will not falter: لن يصيبنا الوهن

the World Trade Cente: مركز التجارة العالمى

a proud memorial to her son: تذكار فخر لابنها

its outcome is certain: نتيجتها مضمونة

may He watch over the United States of America: رعى الله الولايات المتحدة الأمريكية

خطاب بوش فى ٢٠/ ٩/ ٢٠٠١

ألقى الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش تلك الخطبة أمام الكونجرس الأمريكى غداة وقوع أحداث الحادى عشر من سبتمبر لعام ٢٠٠١م، تلك الأحداث التى يحيط بها الشك من كل جانب، إذ لا يدرى العالم بالضبط من الذين قاموا بها. فهناك تيار قوى من الكتّاب والسياسيين والمحللين والصحفيين يؤكد أن عصابة الصهيونيين المسيحيين فى الحكومة الأمريكية هى التى خططت لهدم مركز التجارة العالمى وضرب مبنى البنتاجون تمهيدا للسطو على العالم العربى والإسلامى بذريعة الانتقام ممن اقترف هذا الجرم الرهيب من أبناء ذلك العالم ثم القضاء على العرب والمسلمين أو على الأقل: تنصيرهم من أجل تسريع عودة السيد المسيح إلى الأرض حسب عقيدة الصهيونيين المسيحيين الذين ينتمى إليهم الرئيس الأمريكى كما سنوضح لاحقا. والحق أن كل ما قاله بوش فى خطبته هذه إنما هو كذب فى كذب، وخداع فى خداع. إن الشيطان هنا هو الذى يتكلم رافعا صوته بالصراخ والنحيب يريد أن يقنع الدنيا بأنه مظلومٌ ظُلْمَ الحسن والحسين وأنه مسكين لا يبغى أكثر من استرداد حقه والاقتصاص ممن آذَوْه هذا الأذى الإجرامى دون جريرة من قِبَله تسوّغ الأذى، ناسيا أن جرائم أمريكا فى حق العرب والمسلمين لا تنتهى، وأن العرب والمسلمين هم الذين يدينونها لا العكس. إلا أن الرجل يقلب الحقائق قلبًا ويحاول التظاهر بدور المظلوم. ولم لا،

وهذه فرصة لن تسنح مرة أخرى بتلك السهولة لارتكاب ما يريد هو وأمته (أو على الأقل: هو ومن على شاكلته من الصهيونيين المسيحيين) من عدوان يرضى نزعتهم الإجرامية الشيطانية الشريرة التى لا ترتوى ولا تشبع من الدماء والدمار والأموال؟

ومما يحاول جورج دبليو بوش خداع المسلمين والعرب به زَعْمُه فى تلك الخطبة أنه هو وأمريكا لا يكنان أية عداوة للإسلام، الذى يمضى فى الخداع، محاولا التقرب من الضحية المسكينة حتى لا تتنبه إلى الخنجر الذى فى يده يخفيه تحت عباءته الدراكولية، فيقول إنه دين سلام. يقصد أن هدفه هو أن يصير الإسلام دينا مدجَّنا لا يرفع أبدا سلاحا فى وجه أمريكا، فى الوقت الذى تعمل أمريكا على تدميره والقضاء عليه نصرًا للصهاينة على العرب والمسلمين حتى يعود المسيح (حسب عقيدة بوش وأمثاله من الصهيونيين المسيحيين) إلى الأرض فيحكم العالم لمدة ألف سنة سعيدة ثم تقوم القيامة. ومن أجل هذه الغاية يتحتم على أمريكا أن تسرّع من وتيرة الأحداث فتقضى على العرب والمسلمين بالسلاح النووى أو تنصّرهم تنصيرا كى يتم وعد الله طبقا لما جاء فى نبوءة دانيال ورؤيا يوحنا حسب فهمهم وتأويلهم الغبى المجنون كما سبق أن بينت فى كتابى: "مختارات إنجليزية استشراقية عن الإسلام"، فى الفصل الثامن منه. وفى ذات الوقت يعمل على الوقيعة بين الجماعات الجهادية التى تقف فى طريق المشروع الصهيونى المسيحى وبين سائر المسلمين متهما تلك الجماعات بأنها خارجة عن الخط

الإسلامى المعتدل. يقصد المسلمين الساكتين الذين لا يسببون لأمريكا أية متاعب، بل يتركونها تنفذ خططها فى سلاسة وسهولة. والعجيب أن هذه الجماعات التى يصفها الشيطان بوش بالجماعات الخارجة والإرهابية هى هى نفسها الجماعات التى كان يضع يده فى يدها لضرب الاتحاد السوفييتى أيام احتلاله أفغانستان ويثنى عليها ويمجدها. حتى إذا انقضى شهر العسل وتم القضاء على العدو المشترك الذى كان يحتل ذلك البلد بنفس الطريقة وبنفس الحجج التى يحتل بها الأمريكان العراق الآن انقلب الشيطان الأمريكى على تلك الجماعات وجعل منها شياطين شريرة يجب محوها من فوق الأرض، إذ إنه يعرف جيدا أنها متى ما وقفت فى طريق مخططاته فلن ترى هذه المخططات النور، أو على أقل تقدير: لن تتحقق إلا بثمن باهظ لا مناص لأمريكا أن تدفعه راغمة ودون نقاش. ومن بين ما قرفها به أنها كانت تعاقب بالسجن كل من يقصّر لحيته. وهو كذبٌ مجرمٌ لا يقدر عليه إلا الأمريكان. وقد كرروه فى الصومال، إذ زعموا أن اتحاد المحاكم الإسلامية يحرّم مباريات كرة القدم ويطارد من يحلق لحيته، ثم تبين تماما أنها مجرد شائعات دلسها العم سام، عليه السام، كما جاء فى مقال لجمال سلطان بجريدة "المصريون" الضوئية بتاريخ ١/ ١/ ٢٠٠٧م عنوانه: "الدور الأمريكى"، وهو دور نجس دنس كأصحابه الحاقدين المتألهين، عليهم اللعنة من رب العالمين، ومن الناس والملائكة والجنة أجمعين، من هنا إلى يوم الدين. آمين!

والمضحك أن بوش يتهم جماعات المجاهدين بما ليس فيها بل فيه هو وأمثاله من الأشرار المجرمين المتألهين، ألا وهو العمل على القضا على من عداها من أهل الأديان الأخرى. وهو ما لا يعرفه المسلمون ولا يمكن أن يفكروا فيه مجرد تفكير لأنه يناقض عقيدتهم تمام المناقضة ولم يُؤْثر عنهم يوما أنهم حاولوه، على العكس من الكنيسة النصرانية وأتباعها، الذين لا يعرفون عادةً إلا إفناء الآخر كلما واتتهم الفرصة. وما إجرام الأمريكان فى حق الهنود الحمر الذين أبادوهم على بكرة أبيهم واغتصبوا بلادهم وادَّعَوْا أنها ملكهم بالحق الإلهى وبركة السماء بالأمر الذى يمكن نسيانه أبد الدهر. كذلك يفترى ذلك الشيطان على الحكم الإسلامى فى أفغانستان أنه يجيع الشعب هناك ويعامله بمنتهى الوحشية، وكل هذا كذبٌ إجرامىٌّ وتلفيقٌ رخيصٌ وقحٌ رغم أن للطالبان بطبيعة الحال عيوبهم التى ترجع فى جانب منها إلى شُحّ الموارد وضيق ذات اليد وقلة الخبرة وعدم المرونة وتصلب الفكر، وكأن الأمريكان بعد أن احتلوا البلاد قد نشروا فى ربوعها الغنى والإنسانية، مع أننا جميعا نعلم مدى الترويع والتدمير والتقتيل والإفقار الذى نشروه بركلهم الشيطانية هناك حتى أضحت أفغانستان هى والعراق جحيمًا أرضيًّا يمسك بمفاتيح أبوابه وخزائنه مجرمو أمريكا وخونة العراق، وكل من الفريقين أضرط من أخيه، وذلك رغم توفر مقومات النجاح كلها لو كان لدى الأمريكان بعض من الإنسانية والصدق. ولكن كيف يكون الشيطان رحيما ويتصف بشىء من الإنسانية؟ ألا إن الكذابين لفى

ضلال وسُعُر ! وهذه اللعبة المكشوفة الكاذبة تذكرنا بالمدائح التى كان الاستعماريون الإنجليز يَنظمون عقودها للميرزا غلام أحمد نبى قاديان المزيف فى القرن التاسع عشر، ذلك النبى الذى صنعه الإنجليز فى الهند ليكسر مجاديف المسلمين هناك بتحريم الجهاد، بل تحريم مجرد التفكير فى الثورة على الاستعمار البريطانى. ولهذا أثنى عليه وعلى أتباعه السياسيون والمستشرقون الدهاة كالسير ف. كاننجهام، الذى كتب يمجد تعاليم الميرزا المذكور زاعما أنها تجلو وجه الإسلام الصحيح، والبروفسور توى بجامعة هارفارد، الذى أكد أن القاديانية قد أزالت وصمة الجهاد عن جبين الإسلام (A Short Sketch of the Ahmadiyya Movement in Islam, Muslim Mission, Lagos, 1973, 37- 38).

يقول د. فيكتور سحاب فى عرضه لكتاب: "الأصولية الإنجيلية" للصحفى اللبنانى المعروف محمد السماك: "في الولايات المتحدة الأمريكية كنائس إنجيلية مسيحية هي أقرب إلى الصهيونية، وإن هذه الكنائس تمتلك محطات تلفزة تبشيرية يستمع إليها ملايين من الأمريكيين بلغوا في أواسط الثمانينات نحوا من خمسة وأربعين مليون أمريكي في بعض التقديرات. وإن الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان من أتباع هذه الكنائس والمؤمنين بتعاليمها. ما الذي يهمنا من تعاليم هذه الكنائس؟ إن معظم زعماء هذه الكنائس التي اصطُلح على تسميتها بـ"المسيحية الصهيونية" يؤمنون ويبشرون بفكرة "هَرْمَجِدّون"، وهي فكرةٌ مؤسَّسة

على نص لا مثيل له يردُ مرة واحدة في إنجيل يوحنا . . . وبناءً على تفسير هؤلاء فإن النص المذكور هو نبوءة تؤكد أن حربًا نوويةً ستقع على أرض فلسطين في سهل مجدّو جنوب شرق حيفا، وإن هذه الحرب النووية ستحرق مئات الملايين من جنود العرب والاتحاد السوفياتي وأوروبا الموحّدة، وستكون انتصارًا للمسيح العائد الذي سينقذ من بَقيَ من يهود ومسيحيين متجدّدين ويقيم مملكةً على الأرض فيعمّ السلام ألف عام. يتّضح من هذا أن معتقدات الكنائس المسيحية الصهيونية مؤسسة على هلوسات متطرفة، وأنها فقدت الكثير من وسائل إقناعها على أي حال حين زال الاتحاد السوفياتي، وهو الذي كان في عقيدة هذه الكنائس مملكة الشيطان المتجسدة في هذا العالم. ومع هذا فإن استخفاف هذه الكنائس وأثرها خطرٌ جدًّا لثلاثة أسباب على الأقل:

أولاً: إن هذه الهلوسات المتطرفة لا تزال إلى الآن تتحكم باتجاهات التصويت لدى ملايين الأمريكيين، وقد نبّه كتّابٌ أمريكيون مرارا إلى الوضع الحرج الذي اتسم به التوازن السياسي في العالم حين كان ريجان رئيسا على مدى ثماني سنوات، وهو (كما قيل) يؤمن بأن الحرب النووية حتمية وأنها إرادة الله، وأن الضغط على الزر النووي لتدمير العالم إنما هو امتثال لمشيئة إلهية يجب ألا تُعصَى. ولكم لاحظنا في عصر ريجان كيف كان السوفيات يتنازلون في مفاوضات نزع السلاح، فيما تمسّك ريجان بنظام حرب النجوم الشهير بإلحاح وعناد مدهشين. ثانيا: إن عقيدة المسيحية الصهيونية تشكّل احتياطيًّا إستراتيجيًّا لإسرائيل

لدى الرأي العام الأمريكي يسمح لها بإتيان ما تشاء من أفعال وبطلب ما تشاء من أموال طالما أن تأييدها هو امتثال لأمر الله، وأن أعداء إسرائيل هم أعداء الله الذين يجب ألا يُحْسَب لهم أي حساب. ثالثا: لا تكتفي المسيحية الصهيونية بالتحرك السياسي في داخل الولايات المتحدة الأمريكية، بل إنها مدت شبكتها العاملة إلى فلسطين المحتلة ولبنان وقبرص، ولها في لبنان على ما يبدو محطتان للتلفزة: إحداهما تعمل في الجنوب، والأخرى تعمل في شمال بيروت. . .

وإذا اكتفينا من عناوين خطورة التيار المسيحي الصهيوني بأن هذا التيار يعمل الآن بدأب وجد لهدم المسجد الأقصى وإعادة بناء هيكل سليمان مكانه، فحسْبُنا هذا لندرك أن الهلوسات إذا أُهملت يمكنها أن تصبح حقيقة واقعة بقوة المال والسلاح والتآمر. . . وقد صدف. . . أن الأوروبيين اكتشفوا القارة الجديدة "أمريكا" وأخذوا يستعمرونها، وكانوا بحاجة إلى عقيدة تضفي على هذا الاستعمار الصفة الشرعية، فكانت نظرية "أرض الميعاد" هي العقيدة المنشودة التي أباحت لجحافل الأنجلوساكسون والجرمانيين أن يستوطنوا أمريكا ويبيدوا شعبها وحضارتها، وضميرهم مطمئن إلى صواب فعلتهم. فأي شرعية يمكن أن تسمو على شرعية وعد صريح من الله أن يهب شعبه المختار تلك الأرض الجديدة؟ ولقد لاحظ الدكتور سميح فرسون، الباحث الفلسطيني في الجامعة الأمريكية في واشنطن بحصافة أن كلا من المجتمع الأمريكي والمجتمع الإسرائيلي والمجتمع الأبيض في جنوبي أفريقيا استخدم

ذريعة أرض الميعاد في إضفاء صفة شرعية على اغتصاب أرض الغير . ولم يكن غريبا إذن أن ألمانيا لُوثَر صعّدت مسارها المسيحي التّوراتي إلى ذروة بلغت إلى التّسبّب عمدًا أو عفوًا في تهجير اليهود الأوروبيين إلى فلسطين، ولا كان غريبا أن تتسلّم الولايات المتّحدة مهمة رعاية الدولة اليهودية بالمساعدات العسكرية والمالية السخية التي ما كان يمكن لإسرائيل أن تبقى لولاها، ولا كان غريبا ذلك التّحالف "الإستراتيجي" بين بريتوريا وتل أبيب. ذلك أن يَهْوَه في توراته أباح إبادة الكنعانيين لأخذ أرضهم ونسائهم وأبنائهم، فلماذا يكون الهنود الحمر والزنوج والفلسطينيون أفضل مصيرا ؟" (arabic.bayynat.org.lb) .

قد يقول بعضهم إن بوش إنما ينتمى إلى الكنيسة الميثودية، التى أدانت غزو أمريكا للعراق سنة ٢٠٠٣م، إلا أن كاتبا نصرانيا لبنانيا هو د. جيروم شاهين يزيل لنا اللبس الذى يغشى الموقف فيقول: "معروف أن بوش ينتمي "شكليًا" إلى إحدى الكنائس الإنجيلية التي تسمى بالكنيسة "المنهجية" أو "المثوديست". ومعروف أن هذه الكنيسة هي من الكنائس الأميركية، البروتستانتية والكاثوليكية والأرثوذكسية، التي أدانت بوضوح تام وتكرارا، عبر بيانات مجالسها الكنسية، الحرب على العراق. بالتالي تردد كثيرا في الآونة الأخيرة، لاسيما منذ بدء المسألة العراقية التي أدت إلى حرب الخليج الثالثة التي نشهدها اليوم، أن الرئيس الأميركي قد يكون منضويا في تيار ديني "أصولي". وذهب البعض إلى تسمية هذا التّيار الديني الأصولي الذي ينتمي اليه بوش باسمه، أي تيار

الذين يلتزمون بعقيدة "الولادة الثانية". إلا أن جماعة المؤمنين "بالولادة الثانية" (ويُسَمَّوْن أيضا: "المولودون من جديد") هم، في الواقع، من الجماعة التي أطلقت على نفسها اسم "الصهيونية المسيحية. . ." (انظر عرض د. فيكتور سحّاب لكتاب محمد السماك السابق الذكر في جريدة "النهار" البيروتية بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠٠٣م، تحت عنوان "البعد الديني في سياسة جورج بوش").

وقد تناول هذه النقطة، ضمن من تناولها من الكتّاب والمفكرين، د. رياض جرجور، الذي ننقل عنه قوله: "إن هذه الحرب التي أدانتها شعوب العالم بأسره بما فيها شعوب الدول المشاركة فيها والمؤيدة لها تتأسس على أيديولوجيا صهيونية استعمارية توسعية عنصرية، يرزح تحت آلتها العسكرية شعبنا في فلسطين، ويعاني من احتلالها جزء من أرض الشقيقة سوريا، وتصدت لها مقاومتنا اللبنانية الباسلة حتى دحرتها. وتتمثل تلك الأيديولوجيا الصهيونية في رموز السياسة الأميركية الحاكمة، لا سيما في البيت الأبيض والبنتاجون، والتي قيل عن سيدها إنه ينتمي إلى تيار مسيحي أصولي يسمى صوابًا أو خطأً: تيار"الصهيونية المسيحية" . . . (و) تم تعريف "الصهيونية المسيحية" على أنها "الدعم المسيحي للصهيونية". وقد قيل أيضا إنها "حركة قومية تعمل من أجل عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وسيادة اليهود على الأرض". ويعتبر الصهيونيون المسيحيون أنفسهم كمدافعين عن الشعب اليهودي، وخاصة "دولة اسرائيل". ويتضمن هذا الدعم

معارضة كل من ينتقد أو يعادى "إسرائيل". والتر ريجنز الأمين العام لما يسمى: "السفارة المسيحية الدولية"، وهي من أحدث وأخطر المؤسسات الصهيونية، ومركزها في القدس، يعرّف اصطلاح "الصهيونية المسيحية" بطريقة سياسية، وعلى أنه... أيّ مسيحي يدعم الهدف الصهيوني لدولة إسرائيل وجيشها وحكومتها وثقافتها... إلخ. أما القس جيري فالويل مؤسس جماعة العمل السياسي الأصولي المسماة: "الأغلبية الأخلاقية"، وهو الذي منذ فترة تكلم واتهم دين الإسلام بأنه دين إرهابي، فإنه يقول: "إن من يؤمن بالكتاب المقدس حقا يرى المسيحية ودولة اسرائيل الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم. إن إعادة إنشاء دولة إسرائيل في العام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين لهي في نظر كل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد" (من كلمة ألقاها الدكتور القس رياض جرجور، الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط، تحت عنوان "صهيو مسيحية أم صهيو أميركية؟" في ندوة بمركز الإمام الخميني الثقافي ببيروت في ٨ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣م).

ليس ذلك فقط، بل إن لبوش وآل بوش موقفا شنيعا من الإسلام، ذلك الدين الذى يتذاكى علينا ثعلبنا المكار محاولا أن يوهمنا أنه واقع فى غرامه وأنه حريص على نقاء صفحته وطهارة سمعته. وتلقى الفقرات التالية الضوء على ما هو مستكنّ فى قلب ذلك الثعلب المتذاكى. جاء فى موقع "www.almotamar.com.ly" تحت عنوان "آل بوش ووهم النهايات": "عرف الكثير من الباحثين والمهتمين بتاريخ الفكر

السياسي أن الأبحاث الغربية قد عملت على طمس مراحل عديدة من التاريخ الإنساني وعملت على تشويه تلك المراحل، وذلك لارتباطها بأهداف سياسية واعتمادها على الغرب وحده بكل ثرائه باعتباره الإطار المرجعي في كل تلك الدراسات والأبحاث. . . ويبدو من خلال جملة المعطيات الفكرية والتاريخية المطروحة أن الغرب لم يتردد في قراءة للإسلام متعمقة متفحصة لفهم جوانب الفكر والدين والثقافة والسلوك من أجل وضع الخطط والإستراتيجيات نحو ذلك الهدف المرسوم، وهو المزيد من التوسع والهيمنة والسيطرة .

نقول ذلك وبين أيدينا نسخة مترجمة لكتاب خطير يحمل عنوان "محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين" . المثير أن مؤلف هذا الكتاب جورج بوش (١٧٩٦- ١٨٥٦)، وهو الجد الأكبر لجورج بوش الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية، كان أستاذا في جامعة نيويورك متخصصا في اللغة العبرية، وكان من البارزين في دراسة حفريات النصوص القديمة وأسفار العهد القديم. . . كما كان واعظا دينيا في علم اللاهوت والأديان. وقد انحصرت، على ما يبدو، معظم نشاطاته في المراكز العلمية والدينية والمؤسسات الجامعية. ومازالت هذه الدراسات في الجامعات الأمريكية والغربية عامة تمثل المصدر والمرجع للعديد من الأبحاث الجامعية التي شكلت بعد ذلك اتجاها عاما للعديد من الدارسين الذي تخرجوا واستلموا مراكز قيادية. وهذا الفهم الخاطئ للإسلام اعتنقته المؤسسات السياسية، واستخدمت القوة للسيطرة على

عالم الإسلام والمسلمين. وهي في ذلك متأثرة بأفكار وآراء ما يتضمنه ذلك الفكر والخطاب الديني والعلمي الذي احتوته تلك الدراسات.

هذا الكتاب نموذج للكره الأمريكي الغربي للإسلام، وهو أحد مصادر الفكر الغربي الأمريكي المتطرف، ويقدم مجموعة من المزاعم والافتراءات على شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وحددت تلك الافتراءاتُ والمزاعمُ الأسلوبَ الذي يسير عليه ساسة أمريكا ومن تبعهم في فهمهم للإسلام والمسلمين. بل إن هذه النوعية من المؤلفات قد أثرت تأثيرا كبيرا في مجريات تاريخ الأحداث في المنطقة حيث مركز الديانات والرسالات السماوية، وهي الموجهة للفكر السياسي المعاصر تجاه المنطقة الذي يشهد عودة إلى الأصول والالتفاف حول السلفية وتوجيهها الاتجاه الخاطئ لمزيد من التناقضات والأزمات في المنطقة. الكتاب جدير بالقراءة والفهم لأنه يمثل اتجاها خطيرا نحو ضرورة فهم الآخر، وهو يدل دلالة واضحة على الروح العدائية تجاه الإسلام ودولته التي أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم. ورغم ادعاء المؤلف حرصه على العلمية والمنهجية في دراسة هذا الاتجاه الذي فرض نفسه على العالم منذ ظهور الإسلام، فإن صفحات الكتاب مليئة بالافتراءات والتشويه لدور الرسول صلى الله عليه وسلم في التبشير بدعوة الإسلام وبطولاته في توسيع دائرة الإسلام من مكة إلى العديد من أصقاع المعمورة منذ عهده وحتى بعد الخلفاء الراشدين في الدولة الإسلامية.

يقول مؤلف الكتاب في ص ١٧ من النسخة الأصلية : "إن تاريخ العالم لم يشهد، باستثناء التأثير الذي أحدثه دين الإنجيل، ثورة كبرى قد أحدثت تغييرات في العالم المتحضر أكثر مما أحدثته دعوة محمد الإسلامية منذ ظهوره مرورا بتقدمه وهيمنته. لذلك فإن تاريخ الإسلام وطبيعته أصبح مثيرا للاهتمام لكل العقول المتنورة، فهذا الدين جزء مهم وشائق من تاريخ الجنس البشري العام. وهذا يدفعنا، حسب رأي المؤلف، إلى الاهتمام بهذا الأمر اهتماما جديدا أقوى من ذي قبل. إن كثيرين من الكتّاب المتميزين الذين درسوا هذا الدين وعبقريته وتاريخه ينظرون إليه بوصفه هرطقة مسيحية أو تاجا لهرطقات قال بها بعض المسيحيين أكثر من وصفهم له بأنه خرافة وثنية. من هنا فقد كان قَدَرُ هذا الدين أن يرتبط بكل العقائد الفاسدة التي أفسدت الإنجيل. وبقدر ما نفضح هذه النبوءة ونكشفها، وبقدر ما نكشف الادعاء الحالي الموجود على ظهر هذه الأرض، كلما عجلنا بسقوط الخداع وكلما زاد اهتمامنا بعمق هذه المناطق التي طالت فيها سيادة هذا الدين (ص ١٨). وبقدر اهتمامنا بالإسلام يكون اهتمامنا بحياة مؤسسه وشخصيته وأعماله، هذا الشخص "الغامض" الذي خرج من قبائل الجزيرة، ولم يكن ذا مكانة تسمو على مكانة تاجر في قافلة، ولم يكن يتمتع بمزايا عقلية خاصة، ولم يكن يتميز بامتلاكه قوة أو نفوذا، ومع هذا فقد تمكن، رغم العمليات العديدة، من تأسيس مثل هذه الإمبراطورية

الواسعة التي تضم ملايين البشر والتي استمرت أكثر من ألف ومائتي سنة".

تلك هي رؤية آل بوش العملية، كما يعتقدون، حول دين الإسلام ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. . . ولابد أن نعمل على تكثيف الجهود من مؤسسات علمية وباحثين ومؤسسات دينية لوقف تلك التفاهات والإيمان بقوة بأن ما بيننا وبين الغرب الأمريكي هي حرب مستمرة لن تتوقف. الهدف الأساسي هو الإسلام، القوة الإسلامية العادلة، الإسلام النهضة حتى يستطيع بسط هيمنته بأشكال مختلفة إما عن طريق النظام الجديد أو عن طريق العولمة أو عن طريق صدام الحضارات .

لا بد من إعادة قراءة التاريخ بفهم مستنير وإيمان عميق بجوهر الإسلام. والجدير بالذكر في هذا السياق أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر، وبالتحديد في ١٦ سبتمبر ٢٠٠١ م، أعلن الرئيس الأمريكي بوش الصغير حملة صليبية ضد الإسلام وأمته وعالمه واضعا إياهم تحت اسم "الأشرار والإرهاب" . لقد حاول البعض تصوير عبارة الرئيس الأمريكي الحالي بوش الصغير، والتي جاءت في خطابة مباشرة في بعد أحداث ١١ سبتمبر، والذي أعلن فيه بداية حملة صليبية ضد الإسلام والمسلمين وأطلق عليهم اسم "الأشرار والإرهاب"، بأنها زلة لسان تدل على قلة الثقافة والفهم للتاريخ الإسلامي. إلا أن سبيل الكراهية الذي انهال على الإسلام سواء من وسائل الإعلام أو كبار المسؤولين وصنَّاع القرار، إلى

جانب الممارسات العدوانية التي مارستها الحكومات الغربية بقيادة وضغوط أمريكية، إنما يدل دلالة واضحة على أن عبارة "حملة صليبية" كان يقصد بها ذات المعنى في التاريخ الوسيط أثناء الصراع التاريخي الذي مارسه الغرب الاستعماري ضد الشرق والشرقيين، وهي النزعة الاستعمارية ذاتها التي تعاني وتغلف الأطماع الغربية بالمسيحية. وإذا كان الرئيس الأمريكي بوش الصغير قد استخرج مصطلح "الأشرار" الذي أطلقه على الدول والتوجهات الإسلامية المعارضة لسياساته من "سفر المزامير"، فإن حربه على الإسلام هي حرب عادلة وفق المفهوم المسيحي. وإنه كان خلال حملته الصليبية الجديدة قد تعود أن يبدأ يوم عمله في البيت الأبيض بالقراءة في كتاب عظات إنجيلية قصيرة عنوانه "أعظم ما يمكنني لأعظم العلماء" للقسيس أورزوالد تشيمبرز الذي تُوُفِّيَ عام ١٩١٧ وهو يحرض جنود نيوزيلندا وأستراليا على ضرورة غزو القدس في الحملة التي قادها الجنرال الإنجليزي ألنبي (١٨٦١ — ١٩٣٦). وإذا كان هذا هو الطقس المقدس الذي يبدأ به بوش الصغير كل صباح، وإذا كان قد أعلن عن البعد الديني في حملته هذه على الأشرار المسلمين عندما خطب في إيرلاند بمدينة ناشفيل متوجها إلى رجال الإعلام الديني في الحزام الإنجيلي بجنوب أمريكا حيث قال: "إنهم (المسلمون الأشرار) يكرهون حقيقة أن نعبد الرب بالطريقة التي نراها مناسبة، حتى إن أحد المشتركين في ذلك اللقاء قال: لا يسعدني أن

أتصور المسيح يدعو حشدا يهتف له: "إلى الحرب" كما سمعت الرئيس يفعل.

وقد وصف الكاتب الإنجليزي جيلبرت كيه الروح الدينية والنزعة الصليبية في هذه الحملة الأمريكية فقال إن أمريكا أُمّة بروح كنيسة، وإن الرئيس الحالي والرئاسة الحالية هما الأشد رسوخا في هذا الإيمان خلال العصور الحديثة. وإذا كانت تلك هي وقائع شهادات الأمريكيين الغربيين، فإن القساوسة من اليمين الديني والمسيحية الصهيونية كان لهم دور قيادي في هذه الحملة ضد الإسلام والمسلمين. لقد ذهب قساوسة التحالف المسيحي والمؤتمر المعمداني والجيب السامري مع الجيش الأمريكي في احتلاله للعراق، وهم لا يخفون رغبتهم في تحويل المسلمين إلى المسيحية، لا سيما في بغداد. أما القس فرانكلين جراهام، الذي ترأس حفل القيم الدستوري لبوش الصغير والذي يعتبر الأب الروحي الذي قاد بوش من السُكر إلى الربّ والولادة المسيحية الجديدة، يقول عن الإسلام إنه دين شيطاني وشرير. والقس بات روبرتسون، وهو أوسع قساوسة اليمين الديني نفوذا في الإعلام الأمريكي ورئيس التحالف المسيحي الذي يتحكم في انتخابات الرئاسة والكونجرس، هو القائل عن الإسلام إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل. والقس جيري فامن هو القائل عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إن محمدا هو الشيطان نفسه .

إذن المواجهة بين أمريكا والإسلام اليوم هي مواجهةٌ ذاتُ أبعاد ودلالات تجمع بين أفكارهم فى الدين والسياسة والمصالح الأمريكية وفرض قيم النموذج الأمريكي الغربي في العالم الإسلامي. وها هو السيناتور الأمريكي جوزيف ليبرمان مرشح الرئاسة يعلن أن المواجهة مع الإسلام هي حملة لفرض القيم وليس السياسات فقط. يقول: لا حل مع العرب والإسلام إلا أن تفرض أمريكا عليهما القيم والنظم التي تراها ضرورية، فالشعارات التي أعلنتها أمريكا منذ استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية، بل تتعداها إلى الدول الأخرى. أما مارجريت تاتشر فهي تتحدث عن أن المعركة هي حول القيم والمصالح فتقول إن المسلمين يرفضون القيم الغربية وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب، وإنهم يمثلون أيدلوجية عدائية لأمريكا والغرب، فهم كالشيوعية في الماضي، ولابد من تبني إستراتيجية طويلة المدى لهزيمتهم .

وهذه القيم التي تريد هذه الحملة الصليبية فرضها على الإسلام والمسلمين هي قيم الغرب التي تريد تغيير طبيعة الإسلام وعزله عن شؤون الحياة والمجتمع وتحويله إلى صورة من المسيحية الغربية التي فصلت بين ما للقيصر وما لله، مكتفية بما لله وخلاص الروح ومملكة السماء خارج هذا العالم. هذه الحملة الصليبية هي ضد الإسلام الرافض لقيم الغرب وسياسات الغرب الليبرالية العلمانية. ولا بد أن يدرك العالم جيدا أن الكنيسة عبر التاريخ قد حافظت على موقفها الثابت من المسألة

اليهودية، إذ كان دعم الغرب المسيحي للحركة الصهيونية يتخذ أشكالاً متعددةً ومجالات شتى .

ويذهب البعض في تفسير ذلك إلى أنه التقاء الهدف بين الغرب والصهيونية أو لظروف ومصالح اقتصادية، ويعتقد البعض الآخر أن الأمر هو نتيجة عداوة تاريخية بين الإسلام، والمسيحية واليهودية منذ صَدْر الإسلام، وتلك هي أسباب الحروب الصليبية. لكن الأمر الذي لا يعرفه الكثيرون أن أسباب ذلك الدعم والتأييد المتواصل إنما هو لأسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية، وإلى جهد دؤوب ومنظم بذلته الكنيسة الغربية عبر العصور، إذ إن الكنيسة قد فسَّرت بذلك كل النبوءات والإشارات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) كما جاءت في "رؤيا دانيال" وفي "سفر حزقيال"، وكذلك ما عرض في "رؤيا يوحنا اللاهوتي"، كل ذلك بما يحقق أهداف الكنيسة في عودة يسوع المخلص، وصارت أرض الميعاد حقيقة روحية، وليست رقعة جغرافية مادية.

من هنا تجسدت هذه العلاقة في إطار الحركات الدينية والمجموعة الأصولية الإنجيلية التي أهمها الطائفة التدبيرية أو الكنيسة المرئية، وهي طائفة لها أتباعها الآن في أمريكا، وتعرف بـ"التدبيريين"، أهم أقطابها بيل جراهام وجيري فالويل وبات روبرتسون وجيمي سواجرت وريتشارد هات، وتعتمد هذه الطائفة على الجانب المرئي في تبشيرها كوسيلة رئيسية لإيصال رأيها لعامة الناس. وهم جميعا يبشرون بنظرية هرمجدون

حيث يؤمنون بها ويعملون من أجل تحقيق هذه النظرية وهذا الهدف، ويجعلون من تأييد إسرائيل نوعا من العبادة لأنه بذلك تتحقق عودة المسيح. والطريقة المثلى لذلك هي المعركة الأخيرة بين الخير والشر، وبين إسرائيل وجيوش العرب والإسلام .

ولكن ما هي هرمجدون؟ تروي الكاتبة الأمريكية جريس هالسيل تجربتها في كتابها: "النبوءة والسياسة" حول البحث عن جواب لهذا السؤال: ما هي هرمجدون؟ وتقدم لطبيعة العلاقة بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية، كما تقدم التفسير الصحيح والعميق للمواقف الأمريكية المؤيدة للصهيونية والمعادية للعرب والإسلام، وهي الكاتبة التي شهدت بنفسها عمليات التضليل والتزوير الدينية الذي مارسته الصهيونية المسيحية من أجل تطويع نصوص الكتاب المقدس لخدمة المشروع الصهيوني والسياسة الأمريكية. كما يقدم الكتاب شهادة حية مدعمة بالوقائع والنصوص والأرقام للدور الكبير الذي لعبته الصهيونية المسيحية في الماضي لمصلحة إسرائيل والدعم الهائل الذي تقدمه هذه الحركة لتنفيذ سياسات الصهيونية العدوانية التوسعية. وتستمد هذه النظرية أصولها الدينية من "سفر دانيال" (الإصحاح السابع والثامن) و"سفر حزقيال" (الإصحاح ٣٨)، وكذلك "رؤيا يوحنا" (الإصحاح ١٣) . الأمر المثير أنه في عام ١٩٧٠ حذر القس بيلي جراهام الإنجيلي التدبيري الشهير في هذه الطائفة من أن العالم يتحرك بسرعة نحو هرمجدون وأن الجيل الحالي هو آخر جيل في التاريخ. وفي

مناسبة أخرى يقول: "إن أناسا كثيرين يتساءلون عن هرمجدون وعن موقعها . إن الكتاب المقدس يعلمنا أن آخر حرب في التاريخ سوف تكون في هذا المكان في الشرق الأوسط . إن ما جاء في "نبوءة دانيال" و"سفر حزقيال" و"رؤيا يوحنا" إنما تمثل المضامين السياسية لمستقبل العالم الإسلام، وما قدمه جورج بوش الجد الأكبر لآل بوش في كتابه المشار إليه هو تفسير لتلك النبوءات وتقديمها في الوعظ الديني الكنسي، إذ من الواضح أن هذه النبوءات هي التي تخطط السياسات وتضع الإستراتيجيات وفق نصوصها الموصوفة بأنها دينية . وهي تهدف لإزاحة الخريطة الإسلامية والاستفراد بشعوبها وتفريقها وتقسيمها وبث الخلاف بينها وإثارة النعرات، ويسقط بذلك العالم ويعود إلى الدين الحقيقي على حد تفسير بوش والتدبيريين لـ"رؤيا دانيال" و"رؤيا حزقيال" . . .

لابد أن نشير في هذا السياق إلى أن هذه الرُؤى والنبوءات وما صاحبها من تفسيرات لها تأثير كبير على السياسة الدولية، وصارت هي المحرك الأساس لها باعتبارها المعتقد الخاص للشعب الأمريكي، وهي بذلك ليست منفصلة عن الواقع السياسي في المنطقة وقضاياها . بل إن تأثير هذه التيارات الدينية وأفكارها الأصولية في العلاقة مع الغرب أمر لم يعد بالإمكان تجاهله، خاصة أن هذا التيار قد بدأ فعلاً في نقل معتقداته من حيز الإيمان إلى حيز الفعل والتنفيذ . تلك هي الأبعاد الحقيقية للمواجهة وللمخططات الأمريكية وسياساتها من أجل السيطرة

على مواقع عديدة في العالم لتؤكد مدى سيطرة البعد الديني على خريطة الأحداث الدولية.

وفي كتابه: "أقواس الهيمنة" يشير إبراهيم أبو خزام إلى أن التفوق الأمريكي أصبح من حقائق الحياة التي سوف تستمر، كما أن الإمبراطورية الأمريكية صارت فريدة في التاريخ حيث التفوق الشمولي في المجالات العسكرية والاقتصادية. هذه الرؤيا المستقبلية التي يقدمها مؤلف الكتاب حول مستقبل العالم في ظل أقواس الهيمنة إنما تؤكد أن الأسلوب الأمريكي في الحياة وما يتسم به من جاذبية أصبح استدعائيا يثير الإعجاب، فأمريكا ليست قوة مسيطرة فقط، وإنما هي ممسكة بمفاتيح السيطرة، ولن تسمح لغيرها بأن يقترب من منطقة السيطرة ومفاتيحها. ورغم أهمية ما يطرحه الكتاب إلا أن أهمية الجوانب الدينية في السياسة الأمريكية يبدو واضحا عبر التاريخ في الأحداث الدولية للسياسة الأمريكية وتداعياتها على العالم. النبوءات الدينية هي التي تخطط للسياسة الأمريكية، والطوائف الدينية في أمريكا قد عملت على تأكيد هذه النبوءات وتنفيذها على الواقع في أمريكا وخارجها، إذ تعتقد هذه الطوائف الأصولية الإنجيلية أن الحرب على العرب والمسلمين (الأشرار) وقتل أطفالهم ونسائهم هو عمل مقدس، وهو تنفيذ لأمر الرب كما ورد في "سفر دانيال" و"سفر حزقيال" (الإصحاح ٣٨). ويعتقد أتباع هذه الطوائف أيضا أن الرب يبارك من يؤيد إسرائيل. بل إن قيام إسرائيل وتفوقها وعودة بني إسرائيل هو واجب مقدس. الغريب أن

العديد من أتباع هذه الطوائف هم من الشعب الأمريكي، وهم يؤمنون بهذه العقيدة إيمانا حرفيا حيث هنالك إرساليات عديدة لنشر هذه الفكرة حول العالم، وخاصة بين مسيحيي الشرق. كما يؤمن هؤلاء بأنه حتّى يعود إليهم المسيح المنتّظر لابد من تحقيق الآتي: عودة اليهود إلى فلسطين. إقامة دولة يهودية. التبشير باللاهوت الإنجيلي لجميع الأمم. هنالك شعوب لا تؤمن بالمسيح ستقود حربا على إسرائيل، وهم الأشرار العرب والمسلمون.

ويروج لهذه الآراء والمعتقدات عديد من المبشرين حيث تمتلك الأصولية الإنجيلية محطات البث الإذاعي المرئي وشركات الإنتاج الإعلامي. كما تمتلك المدارس والجامعات والشركات التجارية والمؤسسات البحثية والمقاعد في مجلس الشيوخ والنواب، إلى جانب امتلاك الصحف والمجلات والمصارف. كما تعمل هذه الطوائف على إخضاع الآليات الحديثة والتقنية المتطورة لخدمة عقائدها وأهدافها. من ذلك أن مكوك الفضاء "تشالنجر" التقط صورا سنة ١٩٨٨ لما ادعى أنه بقايا مدينة توراتية أسطورية في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، بالتحديد في منطقة الربع الخالي، كانت تسير إليها سفن النبي سليمان من نواحي فلسطين بحسب الرواية. والجدير بالذكر أن الطائفة البروتستانتية الأصولية هي أكثر الطوائف الإنجيلية في تبني المعتقد الصهيوني، وتعرف آنذاك بـ"الطائفة التدبيرية"، ويبلغ عدد أتباع كنائسها أكثر من أربعين مليونا. وهي تضم الشخصيات الأبرز في المجتمع الأمريكي سياسيا

واقتصاديا وتربويا وإعلاميا، وحتى عسكريا . ومعظم الأصوليين أتباعها يعلنون عبقريتهم بصراحة. وهم يعتقدون بتفوقهم على السود والهنود والكاثوليك والصينيين واليابانيين والهندوس والمسلمين. كما تدعي هذه الطائفة بأنها تقوم بعملية تجديد ديني بإحياء النصوص التوراتية والإنجيلية. وهي تخرج عن السلطان الكنسي التقليدي في فهم النصوص بتفسيرها بعد أن كان ذلك خاصا برجال الكنيسة وحدهم في الماضي. لكن هذه الحركة في الإحياء والتجديد لها أبعاد سياسية ونفعية لفئات تتستر بالنصوص الدينية لتحقيق مصالح معينة. وحيث كان تأييد إسرائيل مطلوبا فإنها تقدم المسوغات لذلك باسم الرب. وحيثما كانت مواجهة الإسلام والحرب على المسلمين ومحو هويتهم فإنها تجد المبررات لذلك من النصوص المقدسة في التوراة والإنجيل. وحيث يكون الترويج للحرب لإنعاش تجارة السلاح فهي تدعو إلى ضرورة الحرب المقدسة. الأمر الأكثر غرابة أنه عندما يتناقض القرار الإسرائيلي مع النظم الدولية والشرعية الدولية والمعاهدات فإن السياسة الخارجية الأمريكية تعلن أن القرار الإسرائيلي يجب أن ينفذ ويحترم لأنه يعكس إرادة الرب. هكذا تقول نبوءاتهم في الأسفار المقدسة. إن ما يحرك الغرب المسيحي بطوائفه الدينية المتعددة هو معتقداتهم الخاصة ونبوءاتهم التوراتية التي بَنَوْا منها نظاما نظريا عن عودة اليهود إلى أرض الميعاد وإقامة مملكة صهيونية تمهيدا لعودة المسيح آخر الزمان! تلك هي بعض دعاوى نصوصهم المقدسة!"

(www.almotamar.com.ly) . ولمن يريد مزيدا من التفصيل يمكنه أن يقرأ تحليل جورج بوش الجد لنبوءة دانيال ورؤيا يوحنا فى نصه الإنجليزى وتعليقى على هذا العته الإجرامى المسعور وتفنيدى له فى الفصلين السابع والثامن من كتابى: "مختارات إنجليزية استشراقية عن الإسلام" (المنار للطباعة والنشر/ القاهرة/ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م/ ١٦٩-٢٢٦).

فهذه نقطة، أما النقطة الثانية فهى إشارة بوش إلى أن الهجوم على البنتاجون ومركز التجارة العالمى هو أول حرب تخوضها أمريكا داخل حدودها طوال ١٣٦ عاما لم تنغمس خلالها فى أى حرب داخل البلاد ما عدا ضرب اليابانيين لميناء بيرل هاربر فى يوم من أيام الآحاد عام ١٩٤١م. يقصد أن حروب أمريكا كانت داخل حدود البلاد الأخرى، وهو ما يعنى أن أمريكا دولة مفترية معتدية لا تترك أحدا فى حاله، بل تبادر بالهجوم على الآخرين فى عقر دارهم. وفعلا نجد أن التاريخ يسجل هذه الملاحظة، فقد دخلت الولايات المتحدة الأمريكية منذ إنشائها عشرات الحروب كانت كلها خارج الديار. وقد قرأت فى موقع "www.counterpunch.org" لفرانسيس كاتالين (Francis Catalin) أن أمريكا قد شنت الحرب على أربع وسبعين دولة (انظر مقالها: "An ABC of American Interventions"). ولأنه ليس فى الإمكان التعرض لكل تلك الحروب هنا فإننا نكتفى بتقديم بعض الأمثلة التى تنوب عن غيرها فى إعطاء صورة للإجرام

الأمريكى البشع الذى يريد أن يضحك على ذقون البشر متظاهرا أمامهم بأنه ضحية مسكينة، مما يذكرنا بالثعلب الخبيث الذى ارتدى يوما ثياب الواعظين، ومشى فى الأرض يهدى ويسب الماكرين، ويدعو الديكة والدجاج إلى الصلاة خاشعين، حتى يخرجوا من حظائرهم مطمئنين، فيكونوا له طعاما هنيئا، لعنه الله والملائكة والناس أجمعين. إن بوش، عندما يحاول ختلنا عن عقولنا بهذه الطريقة الفجة، ليذكرنا بعنوان تلك القصة القصيرة التى أبدعها قلم نجيب محفوظ، قصة "الشيطان يعظ"، إلا أن الشيطان الأمريكى المطرود من رحمة الله والملعون فى الأرض والسماء والبحار والقفار وفى جوف المحار ليتفوق على كل الشياطين والمردة والعفاريت والغيلان. إنه شيطان نسيج وحده، وبئس هذا لأمريكا تفردا وتميزا!

يقول حسني إبراهيم الحايك تحت عنوان "أمريكا بلد قام على الإرهاب": "إن المراقب للتاريخ الأمريكي تصدمه وقائع الطريقة التي تعامل بها الأمريكيون مع شعوب العالم، إذ سرعان ما يكتشف المرء ألا فرق بين نظرة اليهود إلى الأمميين ونظرة الأنجلوسكسون إليهم. والسبب هو أن الولايات المتحدة الأمريكية تشكلت، بعد اكتشافها، من عناصر أنجلوسكسونية كان الغالب عليها العرق البريطاني الأبيض الذي يشمل الإنجليز واليهود الغربيين، ورافقت حملات الإرهاب والإبادة ضد الهنود الحمر حملاتُ الاسترقاق من أفريقيا، والتي كان أهم تجارها من البروتستانت واليهود. وجميع الوثائق التاريخية تشير إلى ذلك دون مواربة

أو تعصب أو اتهام. وراحت الولايات تتشكل حتى جرت أحداث الحرب الأهلية الأمريكية بين الجنوب والشمال، وانجلت عن تشكل ما يسمى: "الولايات المتحدة الأمريكية". ومع مطلع القرن السابع عشر كان عدد الهنود الحمر في عموم القارتين الأمريكتين أقل من ثمانية ملايين بعد أن كان أكثر من خمسين مليونا . . . و يكفينا أن نذكر أنه في عام ١٧٣٠ أصدرت الجمعية التشريعية (البرلمان) الأمريكي لمن يسمون أنفسهم: "البروتستانت الأطهار" تشريعا يبيح عملية الإبادة لمن تبقى من الهنود الحمر، فأصدرت قرارا بتقديم مكافأة مقدارها ٤٠ جنيها مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر، و٤٠ جنيها مقابل أسر كل واحد منهم، وبعد خمسة عشر عاما ارتفعت المكافأة إلى ١٠٠ جنيه، و٥٠ جنيها مقابل فروة رأس امرأة أو فروة رأس طفل (هذه هي الحضارة الأمريكية التي يتشدق بها بعض المفكرين). وفي عام ١٧٦٣ أمر القائد الأمريكي (البريطاني الأصل) جفري أهرست برمي بطانيات كانت تستخدم في مصحات علاج الجدري إلى الهنود الحمر بهدف نشر المرض بينهم، مما أدى إلى انتشار الوباء الذي نتج عنه موت الملايين من الهنود، ونتج عن ذلك شبه إفناء للسكان الأصليين في القارة الأمريكية. إنها حرب جرثومية بكل ما في الكلمة من معنى، ونشر مرض الجدري من أسلحة الحرب الجرثومية. وكان أخطر ما فيه أنه لم يكن لهذا المرض أي وجود في القارتين الأمريكتين. يعني ذلك أن هذا المرض لم يكن مستوطنا هناك، ويعني هذا أيضا أن السكان الأصليين ليس لديهم أية مناعة ضد

هـذا الوبـاء الجرثـومي. والجرمـون الـذين اسـتخدموا هـذه الأسـلحة الجرثومية يعلمون بأنه سيفتك إلى حد الإبادة بالهنود الحمر، ورغم ذلك اسـتخدموه، فكانت هـذه الحادثـة هـي أول وأكبر اسـتخدام لأسـلحة الدمار الشامل بشكلها الشامل ضـد الهنـود الحمـر، حتى إن القنابـل النووية التي أطلقت بعد ذلك بما يزيد عن قرن ونيف على هيروشيما وناجازاكي لم تكن أكثر فتكا من جرثومة الجدري المستخدمة ضد الهنود، حيث قتل من اليابانيين ٥% من عدد ضحايا الهنود في تلك الجزرة. حتى في موضوع استخدامات أسلحة الدمار الشامل لا يسعنا إلا أن نذكر أن أمريكا أكثر مَن استخدم أسلحة الدمار الشامل في العالم. فهي استخدمت الأسلحة الجرثومية بشكلها الواسع وقتلت أكثر من سبعة ملايين هندي أحمر. وأمريكا أكثر مَن استخدم الأسلحة الكيميائية في الحرب الفيتنامية وقتل مئات آلاف من الفيتناميين. وأمريكا أول من استخدم الأسلحة النووية في تاريخ البشري. وأمريكا أول من صنع الأسلحة الهايدروجينية. وأمريكا أول من صنع الأسلحة النيوترونية. وبعد شبه فراغ القارة الأمريكية من الهنود الحمر اضطر الغزاة الإرهابيون إلى البحث عن قرابين بشرية جديدة يكلفونها بتعمير القارة التي أبادوا سكانها. وبعد أن فشلت حملاتهم على شمال أفريقيا ودُفنت أحلامهم وقُتل ملوكهم في معارك وادي المخازن بالمغرب، بعد كل ذلك اتجهوا إلى أفريقيا السوداء وبدأت ثاني أفظع جريمة إبادة وتهجير في التاريخ، وهي تجارة الرقيق الأسود بعد اصطيادهم وأَسْرهم من

السواحل الأفريقية في عمليات إجرام خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والتي أدت بدورها إلى مآس طالت خمسين مليون أفريقي أسود تم شحنهم من أنحاء القارة الأفريقية. وقد هلك معظمهم قبل أن يصلوا إلى العالم الجديد مما لقُوا من العذاب والجوع والقهر حيث تم قتل الكثيرين منهم لمجرد نشوة القتل والتسلي بهم! هل هناك إرهاب أفظع من ذلك؟ والعجيب بالأمر أن أمريكا هي التي أحبطت في مؤتمر دوربان عام ٢٠٠١ مطالب الأفارقة بالتعويض عما حدث لهم، بل رفضت أن يقدَم لهم مجرد اعتذار. ولعل الدافع وراء ذلك المفاهيمُ التوراتية، فحَسْب إيالكوت سيموني (245c.n.772): "كل من سفك دم شخص غير يهودي عمله مقبول عند الله، كمن يقدم قربانا إليه". لذلك يعتقدون أنهم بهذا الإرهاب والقتل والبطش والتشريد والذبح إنما يقدمون قرابين إلى إلههم الذي يدعوهم لفعل ذلك، فكيف يعتذرون عن ذلك؟

وفي الحرب العالمية الثانية في معركة واحدة دمرت الطائرات الأمريكية بالقذائف والنابالم الحارق في طلعة جوية واحدة ٦١ ميلا مربعا، وقتلت ١٠٠ ألف شخص في عمليات جحيم مستعر شمل طوكيو و٤٦ مدينة يابانية اخرى، وكانت نتائجها أفظع من نتائج استخدام الأسلحة النووية، وقبل أن تستخدم أسلحتها النووية فوق مدينتي هيروشيما وناجازاكي، التي حصدت بسببها عشرات الآلاف من الأرواح بلا أدنى تفريق بين مدني وعسكري، أو رجل وامرأة وطفل، مع أن الكثير من الباحثين أثبت أن اليابان كانت قد وافقت على شروط

الاستسلام قبل استخدام أمريكا للأسلحة النووية ضد الشعب الياباني، ورغم ذلك أصر الإرهابيون المتعطشون لدماء الشعوب على ممارسة هذه الإبادات البشرية الجماعية.

وفي كوريا تدخل الأمريكان لعزل الحكومة الشعبية فيها وأغرقوا البلاد في حروب طاحنة سقط خلالها فوق ١٠٠ ألف قتيل. و في فيتنام أدى التدخل الأمريكي إلى قتل أكثر من مليون شخص، وتؤكد مجلة نيويورك تايمز في مقالة نشرت في ١٩٩٧/١٠/٨ أن العدد الحقيقي للضحايا الفيتناميين بلغ ٦,٣ مليون قتيل، وفي بعض التقارير تم إثبات أنه بين عامي ١٩٥٢-١٩٧٣، قتل الأمريكيون زهاء عشرة ملايين صيني وكوري وفيتنامي وروسي وكمبودي. وفي جواتيمالا قتل الجيش الأمريكي أكثر من ١٥٠ ألف مزارع في الفترة ما بين ١٩٦٦و ١٩٨٦. وبتواطؤ أمريكا قُتل الملايين في مجازرَ عديدة في فلسطين ولبنان وسوريا ومصر والأردن وإندونيسيا ونيكاراجواً والسلفادور وهندوراس بالأسلحة الأمريكية الفتاكة، والتي منها أسلحة لم تدخل مخازن الجيش الأمريكي، بل صُنعت وصُدِّرت إلى بعض الأنظمة المتآمرة والمتعاملة مع الولايات المتحدة لاستعمالها ضد شعوبها. والنصيب الأكبر وُجِّه إلى الكيان الصهيوني الذي يمارس كافة أشكال الإرهاب والقتل والتنكيل والتشريد ضد الشعب الفلسطيني. ولم نسمع أن أمريكا مناصرة الحرية والديمقراطية في العالم قد طالبت بالإرهابيين الدمويين الصهاينة إلى المحاكم الدولية من أمثال بن جوريون وأشكول وجولدا مئير وموشي دايان

وإسحق رابين وشيمون بيريز ونتنياهو وباراك وشارون وموفاز وغيرهم الكثيرين في هذا الكيان الإرهابي! كما أنها لم تطالب بمحاكمة سوموزا في نيكاراغوا، وبينوشيه في تشيلي، وماركوس في الفليبين، وباتيستا في كوبا، وديم في فيتنام، ودوفاليه في هايتي، وسوهارتو في أندونيسيا، وفرانكو في إسبانيا.

وارتكب الأمريكان المجازر البشعة في حرب الخليج الثانية ضد العراق، ويمكن أن نكتفي بما ذكرته صحيفة "التايمز" البريطانية بعد إعلان وقف إطلاق النار لتوضيح مدى المجازر والإرهاب الذي ارتُكب في العراق حيث جاء فيها: "كانت الحرب نووية بكل معنى الكلمة، وجرى تزويد جنود البحرية والأسطول الأمريكي بأسلحة نووية تكتيكية. لقد أحدثت الأسلحة المتطورة دمارا يشبه الدمار النووي، واستخدمت أمريكا متفجرات الضغط الحراري المسماة (BLU – 82)، وهو سلاح زنته ١٥٠٠ رطل وقادر على أحداث انفجارات ذات دمار نووي حارق لكل شيء في مساحة تبلغ مئات الياردات. وكان مقدار ما أُلقيَ على العراق من اليورانيوم المنضب أربعين طنا. وألقي من القنابل الحارقة ما بين ٦٠- ٨٠ ألف قنبلة قُتل بسببها ٢٨ ألف عراقي. وقد سئل كولن باول حينذاك، والذي كان رئيسا لأركان الجيش الأمريكي، عن عدد القتلى العراقيين فقال: "لست مهتما به إطلاقا". لم يكن مهما عند كولن باول أن مائتي ألف عراقي قتلوا في هذه الحرب. هذه الحرب التي أطلق عليها الأمريكان الحرب النظيفة لأنها تقوم

على إستراتيجية التصويب العسكري الدقيق باستخدام أجهزة التسلح الإلكتروني! ما أنظف من هذه الأسلحة إلا من يطلقون على أنفسهم: "الأطهار"، وأياديهم من إرهابهم ملطخة بدماء الملايين من شعوب العالم!

والجديد بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكتف بحروبها الإرهابية ضد العالم، بل هي التي تدرّس الإرهاب في معاهد ومدارس لتخرج الإرهابيين ليتفننوا بتعذيب الناس وقتلهم... وقد ذكر الكاتب البريطاني جورج مونبيوت في جريدة "الجارديان" البريطانية في عددها الصادر في ٢٠٠١/١٠/٣٠ أنه "يوجد في مدينة فورت بينينج بولاية جورجيا معهد خاص لتدريب الإرهابيين يطلق عليه: "وسترن هميسفير للتعاون الأمني" (WHISK)، وتموّله حكومة الرئيس بوش، مشيرا أن ضحايا هذا المعهد يفوق قتلى انفجارات ١١ سبتمبر وتفجير السفارتين الأمريكيتين في أفريقيا. وكان يطلق على هذا المعهد: "مدرسة الأمريكيين" (SOA). ومن عام ١٩٤٦ حتى عام ٢٠٠٠ قام هذا المعهد بتدريب أكثر من ٦٠ ألف جندي وشرطي من أمريكا الجنوبية متهمين بأعمال التعذيب والإرهاب في بلادهم، ومن بين هؤلاء الخرجين الكولونيل بيرون ليما إسترادا المتهم بقتل الأسقف جوان جيرادي في جواتيمالا لأنه كتب تقريرا حول المذابح التي ارتكبتها المخابرات العسكرية برئاسة إسترادا، وبمساعدة اثنين من خريجي هذا المعهد والتي راح ضحيتها مئات الآلاف من الأبرياء. وفي عام ١٩٩٣ أعلنت الأمم المتحدة أسماء ضباط الجيش الذين ارتكبوا أكثر مذابح الحرب الأهلية

فظاعـة في سـلفادور، فكـان ثلثـا هـؤلاء الـضباط تـدربوا في مدرسـة "SOA". وأوضح الكاتـب البريطـاني أن هـذا المعهـد قـام بتـدريب أخطـر الـضباط الـذين ارتكبـوا جـرائم وحـشية مـا بـين قتـل وخطـف ومـذابح جماعيـة في دول أمريكـا اللاتينيـة، مثـل تـشيلي وكولومبيـا وهندوراس وبيرو. ويكفي هنا الإشارة إلى أن الرئيس الأمريكي جورج بوش كان قد حذر أي حكومة تؤوي الإرهابيين وتساعدهم في أعقاب انفجارات ١١ سبتمبر. ومما قاله آنذاك أن "أي عمل كهذا هو مشاركة لهم في الإرهاب!" (www.arabmail.de).

فى ضوء هذا كله يمكننا أن ندرك مدى فظاعة التأله الأمريكى والإجـرام الأمريكـى والفُحُـش الأمريكـى والتـدمير الأمريكـى والتقتيـل الأمريكى والاغتصاب الأمريكى والنفاق الأمريكى الذى يظن أنه قادر على استغفال خلق الله، فنراه يُكثر من الحديث عن الحرية والديمقراطية والسلام، ويتهم الأبرياء بالإرهاب، ويتوعدهم بأسوإ مصير جزاء وقوفهم (بمجرد وقوفهم) فى طريق البلدوزر الأمريكى الباطش الساحق الماحق. إن النفاق والإجرام الأمريكى البوشى لا يرضى من الأمم الأخرى إلا بأن تخر ساجدة عند قدميه وتلعقهما وتتغزل فى محاسنهما وفى الجمال الباهر للحذاء الذى تنتعلانه رغم نجاسته وقذارته ودنسه هو وصاحبه، ثم تتقبل مصيرها الرهيب بلسان شاكر وقلب ذاكر للرحمة الأمريكية. ألا لعنة الله على المجرمين!

لقد كان الظن برئيس الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن رأى الدمار الذى حاق بمبنيين من مبانيها الكبار، والموت الذى وقع بعشرات المئات من مواطنيها، أن يفكر فى الدمار الذى طالما ألحقته أمريكا ببلاد الآخرين لا بمبنيين اثنين فقط، وأن يفكر كذلك فى الموت الذى أوقعته أمريكا بالملايين بعد الملايين من الشعوب الأخرى لا بعدة آلاف فحسب، الله وحده هو الذى يعلم من قتلهم، وكيف تم التخطيط لقتلهم. لكن بوش، ككل مستبد جبار، لم يتعظ ولم يَرْعَوِ أو يفكر فى الاتعاظ والارعواء، بل مضى يزداد تجبرا وغطرسة وتهديدا ووعيدا، واهتبل الفرصة السانحة فشرع، والحديد ساخن، يملأ الدنيا جُؤَارًا ويرسل الشرر من عينيه الشيطانيتين يؤجج أجيجًا، ويقول بكل صفاقة: "ما علمت لكم من إله غيرى"! ثم بهذه الطريقة الإبليسية استطاع أن يبث الرعب فى قلوب الحكومات والدول فرافأه عدد كبير منها على خططه الإجرامية الباطشة، أما الذين أظهروا من المسؤولين الغربيين خروجا على تلك المخططات (ويعلم الله مدى إخلاصهم فى هذا، وإن كنت لا أحسبهم مخلصين فى شَرْوَى نَقِير منه، إنما هى مقتضيات الشيطنة المعروفة عن الحكومات الغربية) فلم يكن لهم أى تأثير فيما كانت أمريكا قد انتوته ووضعته للتو موضع التنفيذ. وإذا كانت النتائج الأولى قد جاءت فى صالح بوش وحكومته فإن ما حدث بعد ذلك كان كارثة على الولايات المتحدة بكل المقاييس، وإن كان الكِبْر والعناد والخوف على السمعة الكاذبة الخاطئة الدنسة تمنعه وتمنع مساعديه من الاعتراف

بالخسائر الفادحة المخزية التى وقعت ولا تزال تقع وستظل تقع بحكومة أمريكا وجيشها إلى أن تسحب جنودها وعتادها أو تتركهم ونفر بجلدها من العراق وأفغانستان!

يقول إبليس الخنيس إن العرب والمسلمين، أو فريقًا منهم على الأقل، يكره أمريكا وما ترفل فيه من نعمة، ومن ثم تآمروا ضدها وخططوا للهجوم عليها وضرْبها فى أعز رمزين من رموز قوتها ونعمتها، وهما مبنى البنتاجون ومبنى التجارة العالمى. وهذا كلام قد يصدقه هو وأمثاله ممن طمس الله على بصائرهم وختم على قلوبهم وجعل فى آذانهم وَقْرًا، فهم لا يبصرون ولا يفقهون ولا يعتبرون، إذ الإبصار والفقه والاعتبار إنما يُنْتَظَر من أولى الألباب، أما من طبع الله على ألبابهم وحال بينهم وبين الهدى فهؤلاء لا أمل يُرْجَى من ورائهم. إن هذا الشيطان يصر على استكباره وتألهه ولا يستطيع أن يبصر أن العرب والمسلمين لا يحقدون عليه ولا على رعيته من الأمريكان وأنهم بالعكس يقرون بفضائل الأمريكان من جَلَد على العمل ونزوع إلى الابتكار وعلوّ فى الهمة والطموح واستهانة بالصعاب والعقاب ومقدرة على التنظيم واحترام للوقت وتجويد للإنتاج ومراعاة للجمال واعتبارات الذوق وما إلى ذلك من قيم الحضارة الرفيعة. بَيْدَ أن هذا لا يعمينا ولا ينبغى أبدا أن يعمينا عما فيهم من أنانية وتأله فى الأرض بغير الحق وجنون إبليسى يعميهم عن أن للآخرين حقوقا مثل حقوقهم وأن جبار السماوات قادر على أن يخسف بهم الأرض جزاء تغطرسهم وكبرهم وكفرهم بأنعم الله وأن

يذيقهم، كفاءَ بغيهم وإجرامهم وما اقترفته أيديهم فى حق المستضعفين المظلومين على مدى تاريخهم من آثام لا نظير لها فى التاريخ، عذابًا لم يُعَذِّبه أحد من قبل فى العالمين. لقد غبر زمان على العرب والمسلمين كانوا دائمى الإشادة بأمريكا لأن أمريكا كانت، قبل أن يعرفوا حقيقة أمرها كاملة، تمثل لهم كل قيمة جميلة وعظيمة.

لكن ما إن سقطت ورقة التوت عن سوأتها القبيحة المنتنة حتى عرفوا أنها، وإن بدت للناظرين جميلة تسطع بهاءً وسنًا، فإنها تنطوى فى ذات الوقت على عيوب قاتلة، وأنها هى السبب فى كثير جدا مما يقاسونه فى عالم السياسة والمال والحروب من مآس. وليست خطيئتها فى فلسطين ولا المظالم المتصلة بها والمتولدة عنها هى جريمتها الوحيدة فى حقهم رغم أنها ليست بالجريمة التى يمكن اغتفارها أبدا مهما طال الزمن، بل إن لها جرائمَ وحشيةً أخرى منها مساندتها للحكومات العربية والإسلامية المستبدة فى التنكيل بشعوبها وسجن الأحرار منهم أو قتلهم على أعواد المشانق، لقاء أن تكون تلك الحكومات فى خدمتها هى وربيبتها العاهرة إسرائيل. ومنها أيضا عَسْفُها بالمسلمين الأفارقة الذين كان زبانيتها يصطادونهم لها قديما من القارة السمراء ويشحنونهم إلى العالم الجديد ليخدموا السيد الأمريكى الذى لا يعترف لأحد بجميل ولا يرى له حقا فى الحياة إلا حق العبودية والحقارة والذل، وكذلك القتل إذا رفع عينه، بله صوته بالشكوى والأنين من جراء البغى والهوان والنكال الذى ينزله به السيد الشيطان! ومنها كذلك عدوانها على ليبيا فى

آخر القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر، ذلك العدوان الذي يلخصه لنا الباحث الليبي فرج أبو العشة في السطور التالية: "قد يندهش القارئ إذا عرف أن أول حرب خاضتها أمريكا خارج قارتها، جرت بعد ثلاث سنوات، فقط، من إعلان استقلالها. ودامت أحداثها ما بين ١٧٩٩ و١٨٠٥ ضد دولة عربية إسلامية، وهي ليبيا. بدأت الحرب حملة بحرية، ثم تطورت إلى حملة عسكرية برية لغزو الأراضي الليبية من جهة الحدود المصرية. وكان هدفها تغيير نظام الحكم القائم في ليبيا، باسم "محاربة القرصنة"، وهو ما يماثل في معناه اليوم شعار "محاربة الإرهاب"! وقد يندهش القارئ أيضا إذا عرف أن النشيد الرسمي لقوات المارينز الأمريكية لا يزال يتغنى حتى الآن بأولى حروب أمريكا على العالم الإسلامي:

From the Halls of Montezuma
To the shores of Tripoli
We fight our country's battles
In the air on land and sea
First to fight for right and freedom

***

من ردهات مونتيزوما
إلى شواطئ طرابلس
نخوض حروب بلادنا
في الجو والبر والبحر
نقاتل من أجل الحق والحرية"

(جريدة "الشرق" القطرية/ السبت أول أبريل ٢٠٠٦م) .

ومن جرائم أمريكا أيضا فى السنوات الأخيرة تدميرها للعراق وتقتيلها مئات الآلاف من شعب العراق فى حرب الخليج الأولى بقسوة قلب لم تعرفها الإنسانية من قبل، ودون أى مسوغ، ورغم وجود بدائل أخرى أقل شنعا كان يمكن أن تحقق لها غاياتها الظالمة المجحفة الإبليسية مع ذلك كله . فهذا، وليس هذا سوى قطرة من بحر المظالم التى اقترفتها أمريكا فى حق العرب والمسلمين، هو الذى يبغض أمريكا إلى العرب والمسلمين، لا الحقد على ما هى فيه من نعمة كما تدعى كذبا، وإلا فمن الذى يعمل على حرمان الآخر من النعمة التى أنعم الله لها عليه؟ هل ذهب العرب والمسلمون إلى أمريكا وشنوا عليها الحرب وكسحوا خيراتها إلى بلادهم؟ هل ضرب العرب والمسلمون المدن الأمريكية بالقنابل والصواريخ وسَوَّوْا بها الأرض ودفنوا سكانها أحياء تحت أنقاضها أو بجزوهم فلم يعد لهم من أثر؟ أم هل فرض العرب والمسلمون على الأمريكان أن يغيروا مناهج تعليمهم ونظام حياتهم وقيمهم الاجتماعية والثقافية والدينية ليسقطوا غنيمة باردة بعد قليل فى كفهم؟ ألا يستحى بوش من الكذب الفجّ العارى المفضوح الذى يردده ترديد البلهاء؟ إن هذا لهو تصرف البلطجى، الذى يأبى مع ذلك إلا أن يكون إلها على غرار آلهة الوثنيين القدماء المغرمة بدماء عبّادها ولحومهم!

وهذا كله لو كان العرب والمسلمون هم الذين قاموا بتدمير مركز التجارة العالمى والهجوم على البنتاجون كما تدعى أمريكا، وكما لا

يصدق كثير من الكتاب والصحفيين والمفكرين والمحللين. ولنفترض أن مجموعة من شباب العرب والمسلمين قد هبوا يثأرون لأمتهم ودينهم وأوطانهم ويردون لأمريكا جزءا صغيرا من صاع واحد مقابل صاعاتها التى لا تُحصَى ولا تُعَدّ ضدهم، أفليس من الواجب على الأقل أن تُعْقَد لمن قبضت عليهم أمريكا خارج أمريكا ممن لم يشترك فى الهجوم والتدمير محاكمة عادلة يتبين بها الخيط الأبيض من الخيط الأسود من فجر الحقيقة، إن جاز القبض على أولئك أصلا؟ لكن أمريكا تعتقل المئات من أولئك الشبان منذ سنوات فى معسكرات البلطجة والإجرام فى جوانتانامو وغير جوانتانامو لا تحترم فيهم قانونا ولا تراعى إنسانية رغم كثرة دعاواها عن الحق والقانون والحرية والإنسانية وتصايحها بشعارات الكذب والعهر الذى لا يعرف الخجل.

وفى هذا الصدد يحسن أن نسوق السطور التالية من مقال بعنوان "حروب أمريكا المسيحية الصهيونية" للدكتور عودة بطرس عودة، الذى يؤكد فيها أنه "مهما يحاول المتحدثون الرسميون باسم البيت الأبيض أو الكونغرس أو البنتاغون نفى أو التخفيف من التصريحات العدائية للعرب والإسلام، فإن ما ارتسم عميقا في الأذهان هو أن الولايات المتحدة الأمريكية برئيسها الكذاب المركوب من الصهيونية تشن حروبا صليبية إجرامية ضد العرب والإسلام، أعلنها بوش الابن نفسه بلسانه في أول ظهور له على شاشات التلفزيون بعد يومين من أحداث ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ بقوله: "إنها الحرب الصليبية"! وكررها من بعده رامسفيلد

وزير دفاعه. ثم أكدها وزير خارجيته كولن باول بالكشف عن حقيقة ما صارت إليه الولايات المتحدة بقوله إنها دولة مسيحية يهودية. ثم ظهر أخيرا الجنرال وليام بويكن الذي عُيّن بإرادة بوش المجرم الكذاب نائبا لوكيل وزارة الدفاع، ليعلن على الملأ ما كان يروجه في الكنائس المسيحية والكنس اليهودية بأن الحروب التي تشنها الولايات المتحدة التي يرأسها بوش الابن على الإرهاب تجسد نضال المسيحية ضد الإسلام! بهذا فإن حقيقة ما تفعله أمريكا في أفغانستان وفي العراق، وما تفعله إسرائيل بحماية أمريكا ضد الشعب العربي الفلسطيني هو تجسيد لهيمنة الصهيونية على الولايات المتحدة. وتبدو هذه الهيمنة واضحة صارخة في عهد رئيسها الحالي بوش الابن، فإذا كان عدوانها بتجمع دولي رأسمالي على أفغانستان لموقعها الإستراتيجي وسط آسيا بمحاذاة روسيا وقرب الصين ومجاورة الهند وباكستان وإيران، وبقصد السيطرة على مخزونها من الثروات الطبيعية وتمكين الاحتكارات النفطية من تمرير نفط بحر قزوين على أراضيها بأمن وسلام إذا استقر الوضع لمجموعة العملاء بزعامة كرزاي، وهذا بمجموعه يشكل استهتارا بمجموعة الدول الإسلامية، فإن عدوانها الإجرامي على العراق بمشاركة تابعتها بريطانيا المبنيّ على أكاذيب بوش الابن وتوني بلير كان من أجل إتمام المشروع الصهيوني وتوفير الأمن الإستراتيجي لإسرائيل الصهيونية وتهيئة الأجواء الملائمة لهيمنتها على المشرق العربي أساسا، والمنطقة العربية المجزأة بأنظمتها الإقطاعية عامة. بُنِيَتْ هذه الإستراتيجية على أساس قناعة

بأنه إذا أمكن إخراج القوتين الأساسيتين في الوطن العربي: مصر والعراق من دائرة الصراع مع الصهيونية فإن أحلام الصهيونية والأطماع الرأسمالية والاحتكارات النفطية تصبح تحصيل حاصل".

وقد نشر البروفسور إريك فونر (Eric Foner)، أستاذ التاريخ بجامعة كولومبيا الأمريكية، مقالا بأُخَرة فى جريدة "الواشنطن بوست" يدور بوجه عام على تقييم رؤساء أمريكا وتصنيفهم حسب إنجازاتهم فى قائمة تبدأ بأحسنهم وتنتهى بأسوئهم، وإن كان موضوع المقال الأساسى هو رأى فونر فى جورج دبليو بوش وأدائه فى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص. والمقال منشور فى الصحيفة المذكورة يوم الأحد ٣ ديسمبر ٢٠٠٦م، وعنوانه: " What Will History Say? He's The Worst Ever". وإلى القارئ النص الأصلى للفقرة التى تعرّض فيها ذلك المؤرخ لرئيس بلده: " Bush has taken this disdain for law even further. He has sought to strip people accused of crimes of rights that date as far back as the Magna Carta in Anglo-American jurisprudence: trial by impartial jury, access to lawyers and knowledge of evidence against them. In dozens of statements when signing legislation, he has asserted the right to ignore the parts of laws with which he disagrees. His administration has adopted policies regarding the treatment of prisoners of war that have disgraced the nation and alienated virtually the entire world. Usually, during wartime, the Supreme Court has refrained from passing judgment on

presidential actions related to national defense. The court's unprecedented rebukes of Bush's policies on detainees indicate how far the administration has strayed from the ."rule of law

ويجد القارئ في جريدة "المصريون" الضوئية (بتاريخ الأحد الموافق للعاشر من ديسمبر ٢٠٠٦م) إشارة إلى مقال فونر هذا وما فيه من تأكيد بـ"أن الرئيس بوش الابن يعد واحدا من أسوإ الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة. وانتقد فونر بشدة عدمَ احترام بوش للقانون، وذكر أنه تفوق على الرئيس الأسبق ريتشاردً نيكسون في انتهاكه لسيادة القانون من خلال سعيه لتجريد المعتقلين المتهمين بارتكاب جرائم حرب من حقهم في الدفاع عن أنفسهم والمثول أمام محاكمة عادلة ومعرفة التهم الموجهة ضدهم. وأشار فونر إلى أن الإدارة الأميركية الحالية تبنت سياساتٍ ظالمةً بخصوص معاملة سجناء الحرب أضرت بسمعة الولايات المتحدة وعزلتها عن العالم بشكل فعلي. وشدد المؤرخ الأميركي الشهير على أن الانتقادات العنيفة التي وجهتها المحكمة الأميركية العليا لسياسات الرئيس بوش بخصوص انتهاك حقوق المعتقلين تشير إلى المدى التي وصلت إليه الإدارة الأميركية الحالية في عدم احترامها لحكم وسيادة القانون. وأكد فونر على أن الرئيس بوش ضلل الشعب الأميركي فيما يتعلق بأسباب شن الحرب على العراق. وشدد على ضرورة مراجعة صلاحيات رئيس الولايات المتحدة بخصوص اتخاذ قرار شن الحرب. واختتم فونر مقاله بأن بوش نجح بطريقة أو بأخرى خلال السنوات

الست الأولى من حكمه في جمع زلات رؤساء الولايات المتحدة السابقين، وأساء توجيه السياسات الخارجية لبلاده، وأساء أيضا استخدام صلاحيات منصبه. وصنف فونر المؤرخ الأميركي الشهير بوش كواحد من أسوإ الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة". ويمثل ما كتبته "المصريون" ترجمة جيدة للفقرة السابقة، إلا أن المترجم قد خفف دون أن يدرى من حكم فونر الشديد على بوش، إذ جعله "واحدا من أسوإ الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة" فقط، على حين أن عنوان المقال الأصلى يصرح بما لا يقبل أىّ لَبس بأنه "الأسوأ بإطلاق: He's The Worst Ever" بين أولئك الرؤساء جميعا.

كذلك أُلفَيتُ لنفس البروفسور كلمة أخرى كتبها فى الصفحة الثالثة من جريدة "النيشن: The Nation" بتاريخ ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤م، بعد إعادة انتخاب بوش رئيسا لفترة ثانية للولايات المتحدة الأمريكية، يقول فيها نفس ما قاله بعد ذلك بسنتين فى مقال "الواشنطن بوست" المذكور، إذ أكد أن بوش هو واحد من أسوإ الرؤساء الأمريكيين فى التاريخ، وأنه قد زج بأمريكا فى أتون الحرب بناء على مزاعم كاذبة، وأنه رَهَن مستقبل الولايات المتحدة من أجل مصالح الأغنياء. كما استغرب أن يتم اختياره رئيسا مرة أخرى بعد أن بغض العالم كله فى أمريكا، قائلا إن الرؤساء الذين سيأتون بعده لن يجدوا حافزا يدفعهم إلى العمل لمصلحة البلاد. وهذه هى الفقرة التى تضمنت هذا الكلام فى نصها الأصلى: " Rarely has a presidential

produced such widespread despair election on the left. By any objective standard, George W. Bush has been among the worst Presidents in American history. One of the main purposes of elections in a democracy is to act as a check on those in power by confronting them with the possibility of being removed from office. If Bush can be re-elected after having alienated virtually the entire world, brought the country into war on false pretenses and mortgaged the nation's future to provide economic benefits to the rich, what incentive will other Presidents have to act more reasonably?".

ومن هذا كله لا يجد المراقب أية غرابة فى الحوار الذى دار بين المؤرخ الأمريكي هوارد زين والصحفى الأمريكى توم ديسباتش فى الثامن من سبتمبر ٢٠٠٥م ونشر فى موقع "www.tomdispatch.com" تحت العنوان التالى: " The Outer Limits of Empire: A Tomdispatch Interview with Howard Zinn "، وترجمه إلى لغة الضاد حمد عبد العزيز العيسي الكاتب والمترجم السعودى بعنوان "المؤرخ الأمريكي اليساري هوارد زين: الإمبراطورية الأمريكية وصلت إلى حدودها القصوى، وهي في طريقها إلى الانهيار" (www.alkaheranews.gov.eg) . ذلك أن التخبط الذى تعانى منه سياسة أمريكا واستجلابها عداء الدنيا كلها عليها والإنفاق السفيه المجنون الذى تنفقه على حروبها، وكأن الله قد وضع فى خدمتها وتحت تصرفها خزائن الكون جميعا، فضلا عن حب جنودها

وضباطها للدنيا وارتعابهم من الموت والجروح والتشويه لعدم وجود مثل أعلى يحاربون من أجله، فى الوقت الذى لا تلوح بشائر النصر سريعة كما يتوقعون حسبما أفهمهم رؤساؤهم الكذابون، كل ذلك كفيل أن يقصم مع الأيام ظهر أمريكا، فقد قيل فى الأمثال: "خذ من التل يختل"! كما أن المظلومين الذين نكلت وتنكل أمريكا بهم لا يمكن أن يظلوا ساكنين أو عاجزين إلى الأبد فلا يفكروا فى الانتقام المريع من الثور الأمريكى المسعور، وإن الانتقام لقادم مهما طال الزمن، ولن يطول، على الأقل بحساب التاريخ! إنه قانون إلهى لا يتخلف، والمهم أن ينبض فى قلوب المظلومين عرق الكرامة والإباء وألا يأخذهم الخوف أطول من ذلك، فقد أملوا لأمريكا فى حبال الظلم بسكوتهم عليها، وآن لهذه الحبال أن تنفصم إلى غير رجعة، وساعتها سوف يكتشفون أن خوفهم منها لم يكن له مسوغ كبير، فها هى ذى ضربات المقاومة العربية المسلمة الباسلة تعلم رامبو، البكاش الذى لا يعرف البطولة إلا فى أفلام هوليود الخيالية، الأدب الشرعى وتربه أن الله حق لا ريب فيه. والعبرة أن تستمر الضربات حتى يخر الثور يشخب دما إلى أن تخور قواه، والكثرة (كما نعرف) تغلب الشجاعة، إن كان لدى الثور الأحمق أية شجاعة!

ويلفت النظر أيضا، فى خطبة الرئيس الأمريكى غداة الضربة التى وجهت إلى مركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون، إشادته بالموقف الذى وقفه بعض الناس فى بلاد العالم المختلفة وعده ذلك دليلا على التفاف الشعوب حول أمريكا فى مصابها وتعاطفها معها وتألمها لما نزل

بها . فليكن كلامه صحيحا، لكن ماذا عن خروج المسيرات المليونية فى كل بلد من بلاد العالم تقريبا، تلك المسيرات التى شاهدناها بأم أعيننا فى التلفاز ولم يقتصر الأمر على سماعنا لها من فم الرئيس الأمريكى؟ ترى إذا كان يحترم الرأى العام العالمى لهذا المدى الذى تعكسه خطبته الحالية، فلم إذن لم يحترمه بل عانده واحتقره ورمى به تحت قدمه عندما رفع هذا الرأى العام العالمى صوته محتجا على إعلانه النية فى الذهاب للعراق وضربه واحتلاله رغم أنف الدنيا كلها؟ أهذا رجل يعى ما يقول؟ حقا أنه غرور القوة المتوحشة وإجرامها القذر! ولقد لفت انتباهى بوجه خاص إشارته بالذات إلى عزف النشيد الوطنى لأمريكا فى عواصم بريطانيا وفرنسا وألمانيا، فوجدتنى أتساءل: ما الغرابة فى أن يقف اللصوص والقتلة وقت الأزمات مع لص وقاتل مثلهم؟ ألا إن ملة الكفر والظلم والعدوان واحدة! وبالمثل نراه يفاخر بما خصصته الحكومة الأمريكية لمحاربة الإرهاب من ميزانية ضخمة بعشرات المليارات، لكن ماذا هو قائل الآن، وقد أضحت تلك المصروفات تعد بمئات المليارات ولم تجُده شيئا بالمرة؟ واضح أن الرجل قد استخفّ كبار قومه فأطاعوه حتى لقد وقف معه الديمقراطيون غرماؤه السياسيون فى كل ما اقترح عمله آنذاك، لكن ما إن راحت السكرة وجاءت الفكرة ورأى الديمقراطيون الوكسة الثقيلة التى وكسها فى العراق حتى تخلوا عنه وأخذوا يسفهون سياساته وينادون بالانسحاب من ذلك البلد بعد أن

تصاعدت أعداد القتلى والجرحى وميزانية الحرب إلى أرقام مفزعة مهولة!

ويكذب بوش كذبا مخيفا حين يحاول أن يوهم الناس أن الله معه فى معركته التى أعلنها فى ذلك الخطاب زاعما أنها معركة الحرية ضد الإرهاب. صحيح أن الله يحب الحرية والعدل ويبغض الإفزاع والظلم، ولكن من يا ترى المظلوم هنا؟ ومن الظالم؟ ومن يا ترى يروع الآمنين الأبرياء؟ ومن يعمل على أن يرد بعضا من صاع لمن كال له صيعانًا لا تُحصَى ولا تَعَدّ من الغبن والإجحاف والتقتيل والتدمير والسرقة والاغتصاب والاعتداء على الكرامة والشرف وإدخال الفزع والرَّوْع فى كل البيوت والقلوب؟ أهم العرب والمسلمون أم هم بوش وعصابته المجرمة الآثمة؟ أمن الممكن أن يأخذ الله الكريم الرحيم العادل جانب أمريكا فى عدوانها الهمجى على المستضعفين الذين لم ترْعَ فيهم إلا ولا ذمة فى يوم من الأيام؟ إننى أكاد أسمع صراخ المسحوقين الرهيب المصم للضمائر قبل الآذان، والصواريخ الجهنمية تدفنهم تحت التراب، وأرى بعين خيالى، وأنا أقشعرّ من الرعب والألم، مَنْ أذابتهم القنابل الذرية وبخرتهم فى ملاجئهم التى لاذوا بها تحت الأرض أو فى الكهوف والغيران فلم يعد لهم وجود مادى على الإطلاق ولو على هيئة تراب ورماد! يا إلهى، هل يعقل أن تقف أنت الكريم الرحيم مع بوش ومجرميه؟ انظروا كيف يظن هذا الهتلر الجديد أنه قادر على احتكار الله لنفسه دون سائر العالمين! تعالى الله عن تلك التصورات الكافرة! ولعن الله كل متغطرس أفاك! ويوم

القيامة يُحشَر المجرمون فى أحط طبقات الجحيم حيث يَصْلَون أشد ألوان العذاب دون رحمة أو أمل فى الرحمة!

وبعد، فقد كان هذا خطاب بوش وتهديداته ووعوده وأمانيه الوردية قبل خمس سنوات، وهذا هو الوضع الحالىّ الكئيب الذى جلبته الولايات المتحدة على نفسها بسبب غطرستها وتألهها وعدم احترامها للقانون الإنسانى والقانون الدولى على السواء. ومن يجلب على نفسه بسلوكه الذميم الكوارث فلا ينبغى أن يلوم إلا نفسه! على أن هذا كله ما كان ليكون لولا المقاومة العربية المسلمة التى أوقفت اندفاعة الثور الأحمق الهائج وحمت بقية البلاد العربية والإسلامية من نفس المصير الذى كان الأمريكان ينوونه للعراق وأفغانستان، وهو التدمير والتنصير والإذلال وكسح الثروات إلى أمريكا يتمتع بها الأمريكان دون أصحابها من العرب والمسلمين.

وقد قرأت فى عدد نوفمبر- ديسمبر ٢٠٠٦م من مجلة "فورين أفيرز: Foreign Affaires" الأمريكية مقالا بعنوان " The End of an Era" يؤكد فيه البروفيسور الأمريكى ريتشارد هاس (Richard N. Haass) انتهاء الهيمنة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وهو المقال الذى أشار إليه ولخص أهم نقاطه فى عدد الثلاثاء ١٢ ديسمبر ٢٠٠٦م من جريدة "المصرى اليوم" الدكتور عمار علي حسن تحت عنوان "فشل إستراتيجية البحث عن عدو" فقال: "من يطالع المقال المهم الذي نشره ريتشارد هاس رئيس مجلس العلاقات

الخارجيـة الأمريكيـة في عـدد نوفمبر الماضـي مـن مجلـة "فورين أفيرز" الـشهيرة يكـشف للوهلـة الأولى مـدى الـشعور الهائل بالإخفـاق الـذي يسيطر على متخذي القرار وصانعيه بالولايات المتحدة حيال خطط بلادهم وإستراتيجياتها في الشرق الأوسط، الأمر الذي بات يفرض على واشـنطن أن تبحـث عـن رؤًى دبلوماسـية ناعمـة بـدلا مـن الغطرسـة العسكرية للتعامـل مـع دول المنطقـة، وخاصـة مـع مـا يـسميهم هـاس: "الفاعلون الجدد" الذين أخذوا زمام القوة والمبادرة من أمريكا، وبات من الحماقـة تجاهلهم. وفي ظـني فـإن هـذا الفـشل لا يرجـع فقـط إلى بـروز مقاومة شرسـة للمشروع الأمريكي، وغياب الخبرة الاسـتعمارية للولايات المتحدة، وحالة العمى التي تسببها غطرسـة القوة، بل أيضا إلى أن هـذا المشروع قام منذ البداية على افتراض وهمي وخـاطئ، وهـو ضـرورة أن تجد الولايات المتحدة عدوا تنازله بعد سـقوط الاتحاد السوفيتي حـتى تتمكن من تسويق إسـتراتيجياتها في العالم. ولـذا تعالت الصيحات التي تقـول إن صـراع الغـرب بعـد سـقوط الـشيوعية سـيكون ضـد الإسـلام. وعبر السيناتور داني كويل نائب الرئيس الأمريكي الأسـبق جـورج بوش (الأب) عـن ذلك بجلاء في الكلمـة التي ألقاهـا كويل في مـايو ١٩٩٠ أمـام خريجـي الأكاديميـة العـسكرية الأمريكيـة واعـتبر فيهـا أن العـدو الوحيـد المتبقـي في وجـه الغـرب هـو الإسـلام، ثـم صـنف الإسـلام على أنـه أيديولوجيا معادية للغرب الليبرالي، ويشكل له التهديد نفسه الذي كانت تمثله النازيـة والـشيوعية، فقـد قـال: "لا يـزال العـالم مكانـا خطـرا. لقـد

أخذتنا الدهشة من هذا القرن المنصرم ببروز الشيوعية والنازية والأصولية الإسلامية".

وقد ردد كويل هذه الأقاويل مرة أخري في كلمته أمام مؤتمر السياسة السنوي الحادي والثلاثين للجنة الأمريكية_ الإسرائيلية للشؤون العامة (إيباك) في يونيو من عام ١٩٩٠ نفسه، وفعل الرئيس جورج بوش (الابن) الشيء نفسه عقب حادث الحادي عشر من سبتمبر، حين تحدث عن "الأيديولوجيات المدمرة"، وشبه ما يعتقد فيه "الإسلاميون المتطرفون" بما كان يؤمن به النازيون والفاشيست، وكرر العبارة نفسها قبل أسابيع حين تحدث عما أسماهم: «الفاشيون الإسلاميون»، ما وجه بابا الفاتيكان نفسه إلي حديثه المغلوط المغرض وغير العلمي عن "الإسلام والعنف والعقل"، ليضع الدين مجددا في خدمة المشروع الإمبراطوري الأمريكي، على غرار ما جرى إبان الحروب الصليبية، وأيام التوسع العثماني في أوروبا.

وفي الحقيقة فإن هذه الصورة المنطبعة في الذهن الغربي عن العرب والإسلام ليست وليدة السنوات الأخيرة، بل تضرب بجذورها في عمق تاريخي بعيد، فقد استمر وعي الغرب بصورة العربي الموروثة عن القرون الوسطي يقوم علي أسس انفعالية مجبولة علي العداء، وهذا الوعي المشوه واصل سيره حتى القرن العشرين بتعديلات محدودة ليساهم في علاقة التبعية بين الدول العربية والغرب، مثلما ساهم في حركة الاستعمار. وبالطبع فإن هذا التصور العدائي والمتحامل لا يمكن رده إلى

الأفراد بل إلى المنظومة الحضارية الغربية برُمّتها في جوانبها السياسية والاجتماعية والإعلامية، والتي وجدت من سلوك بعض المتطرفين بيننا، خصوصا أتباع تنظيم القاعدة، مبررا لمواصلة التمسك بهذه التصورات.

ويُعزَى هذا الإدراك المشوه إلى جهل الغرب بالماضي والحاضر العربي، فباستثناء بعض المختصين الذين تكبدوا مشقة تعلم اللغة العربية والسفر مرارا إلى الوطن العربي والبحث عن المعلومات من مصادرها الأولى، فإن الغربيين قلما يعرفون واقع الوطن العربي. وعدم العودة إلى المصادر، أو تعمد التحيز، جعل وسائل الإعلام هي المنفذ الرئيسي، إن لم يكن الوحيد، في تشكيل الصورة العربية_ الإسلامية لدى الذهن الغربي. والإفراط في الإعلام الحدثي يميل في الغالب إلى تشويش الأفكار وخلط الأوراق والمسائل وحجب الرهانات. والرأي العام المضلل يلجأ إلى الأشياء المُقَوْلَبة والأفكار المعلبة والصور النمطية والأحكام المسبقة، التي تقوم على تفسير واقع الوطن العربي بالأصولية والعنف والثروة النفطية ومعاداة الغرب والهجرة. وهذه القضايا تساهم في تكريس الصورة القديمة للشرق في إدراك الغرب على أنه مقاتل ومتعصب واستبدادي وشره للاستهلاك.

وبدا هذا التصور يشكل تيارا في الغرب يؤمن بـ "صدام الحضارات" حسب تعبير الباحث الأمريكي صمويل هنتنجتون، الذي تحدث عما أسماها: "خطوط التقسيم بين الحضارات" باعتبارها نقاط تفجر الصراعات في المستقبل. وهي تحل في نظره محل الحدود السياسية

والأيديولوجية لحقبة الحرب الباردة، الأمر الذي يعني حتمية المواجهة بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وهو ما انعكس على العديد من الأدبيات السياسية الغربية التي راحت تتحدث عن أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي استمر في مواجهة مع الغرب طيلة التاريخ. لكن ذلك لم يمنع من تفهم بعض عناصر النُخب السياسية والفكرية الغربية لطبيعة الدين الإسلامي، ووجود «أوجه متعددة للإسلام» على حد ما ذكره هربر دكمجيان، وهو واحد من أكثر الباحثين الغربيين تعمقا في دراسة ظاهرة الإحياء الإسلامي الحديثة، وكذلك وجود اختلاف بين المسلمين أنفسهم في التوجهات السياسية والفكرية وفي نمط علاقتهم بالآخر، وخاصة الغرب. لكن صوت أصحاب هذه الرؤية لا يزال خافتا مقارنةً بالمروجين لفكرة صدام الحضارات و"الإسلام العدو" الذين وجدوا مؤسسات تتبنى وجهة نظرهم المغلوطة في سبيل تحقيق أهداف سياسية معينة في المحيط الخارجي. لكن حصاد ما زرعته المقاومة العراقية واللبنانية والفلسطينية، وتنامي الشعور بالعداء للولايات المتحدة في الشارع العربي عموما، وتقدم القوي السياسية المناهضة للمشروع الأمريكي في المنطقة، جعل استراتيجية «العدو المفترَض» موضع تساؤل جدي وعميق في دوائر صنع القرار بالولايات المتحدة ولدي كثيرٍ من الكتّاب والباحثين، بل لدي الشارع الأمريكي نفسه. ومن ثم بات علي واشنطن إما أن تتخلى عن هذه الاستراتيجية، أو تبحث عن طرق وأساليب جديدة للتعامل مع أعدائها الوهميين".

أما النص ذاته فها هو ذا كاملا كما نشرته المجلة المذكورة:

" Just over two centuries since Napoleon's arrival in Egypt heralded the advent of the modern Middle East -- some 80 years after the demise of the Ottoman Empire, 50 years after the end of colonialism, and less than 20 years after the end of the Cold War -- the American era in the Middle East, the fourth in the region's modern history, has ended. Visions of a new, Europe-like region -- peaceful, prosperous, democratic -- will not be realized. Much more likely is the emergence of a new Middle East that will cause great harm to itself, the United States, and the world.

All the eras have been defined by the interplay of contending forces, both internal and external to the region. What has varied is the balance between these influences. The Middle East's next era promises to be one in which outside actors have a relatively modest impact and local forces enjoy the upper hand -- and in which the local actors gaining power are radicals committed to changing the status

quo. Shaping the new Middle East from the outside will be exceedingly difficult, but it -- along with managing a dynamic Asia -- will be the primary challenge of U.S. foreign policy for decades to come.

The modern Middle East was born in the late eighteenth century. For some historians, the signal event was the 1774 signing of the treaty that ended the war between the Ottoman Empire and Russia; a stronger case can be made for the importance of Napoleon's relatively easy entry into Egypt in 1798, which showed Europeans that the region was ripe for conquest and prompted Arab and Muslim intellectuals to ask -- as many continue to do today -- why their civilization had fallen so far behind that of Christian Europe. Ottoman dècline combined with European penetration into the region gave rise to the "Eastern Question," regarding how to deal with the effects of the decline of the Ottoman Empire, which various parties have tried to answer to their own advantage ever since.

The first era ended with World War I, the demise of the Ottoman Empire, the rise of the Turkish republic, and the division of

the spoils of war among the European victors. What ensued was an age of colonial rule, dominated by France and the United Kingdom. This second era ended some four decades later, after another world war had drained the Europeans of much of their strength, Arab nationalism had risen, and the two superpowers had begun to lock horns. "[He] who rules the Near East rules the world; and he who has interests in the world is bound to concern himself with the Near East," wrote the historian Albert Hourani, who correctly saw the 1956 Suez crisis as marking the end of the colonial era and the beginning of the Cold War era in the region.

During the Cold War, as had been the case previously, outside forces played a dominant role in the Middle East. But the very nature of U.S.-Soviet competition gave local states considerable room to maneuver. The high-water mark of the era was the October 1973 war, which the United States and the Soviet Union essentially stopped at a stalemate, paving the way for ambitious diplomacy, including the Egyptian-Israeli peace accord.

Yet it would be a mistake to see this third era simply as a time of well-managed great-power competition. The June 1967 war forever changed the balance of power in the Middle East. The use of oil as an economic and political weapon in 1973 highlighted U.S. and international vulnerability to supply shortages and price hikes. And the Cold War's balancing act created a context in which local forces in the Middle East had significant autonomy to pursue their own agendas. The 1979 revolution in Iran, which brought down one of the pillars of U.S. policy in the region, showed that outsiders could not control local events. Arab states resisted U.S. attempts to persuade them to join anti-Soviet projects. Israel's 1982 occupation of Lebanon spawned Hezbollah. And the Iran-Iraq War consumed those two countries for a decade.

AMERICAN PASTORAL

The end of the Cold War and the demise of the Soviet Union brought about a fourth era in the region's history, during which the United States enjoyed unprecedented influence and freedom to act. Dominant features of this American

era were the U.S.-led liberation of Kuwait, the long-term stationing of U.S. ground and air forces on the Arabian Peninsula, and an active diplomatic interest in trying to solve the Arab-Israeli conflict once and for all (which culminated in the Clinton administration's intense but ultimately unsuccessful effort at Camp David). More than any other, this period exemplified what is now thought of as the "old Middle East." The region was defined by an aggressive but frustrated Iraq, a radical but divided and relatively weak Iran, Israel as the region's most powerful state and sole nuclear power, fluctuating oil prices, top-heavy Arab regimes that repressed their peoples, uneasy coexistence between Israel and both the Palestinians and the Arabs, and, more generally, American primacy".

The Islamophobia Myth

Kenan Malik
(www.kenanmalik.com)

Ten years ago no one had heard of Islamophobia. Now everyone from Muslim leaders to anti-racist activists to government ministers want to convince us that Britain is in the grip of an irrational hatred of Islam - a hatred that, they claim, leads to institutionalised harassment, physical attacks, social discrimination and political alienation. Former Home Office Minister John Denham has warned of the 'cancer of Islamophobia' infecting the nation. The veteran anti-racist Richard Stone, who was a consultant to the Stephen Lawrence inquiry, suggests that Islamophobia is 'a challenge to us all'. The Director of Public Prosecutions has worried that the war on terror is 'alienating whole communities' in this country. The government is so concerned that it is introducing a new law outlawing incitement to religious hatred.

But does Islamophobia really exist? Or is the hatred and abuse of Muslims

being exaggerated to suit politicians' needs and silence the critics of Islam? The trouble with Islamophobia is that it is an irrational concept. It confuses hatred of, and discrimination against, Muslims on the one hand with criticism of Islam on the other. The charge of 'Islamophobia' is all too often used not to highlight racism but to stifle criticism. And in reality discrimination against Muslims is not as great as is often perceived - but criticism of Islam should be greater.

In making a film on Islamophobia for Channel 4 what became clear is the gap between perception and reality. Islamophobia driven by what people want to believe is true, rather than what really is true. A good example is the debate about police harassment of Muslims. Last summer the Home Office published figures that revealed a 300 per cent increase in the number of Asians being stopped and searched under Britain's anti-terror laws. Journalists, Muslim leaders and even the Home Office all shouted 'Islamophobia'. 'The whole Muslim community is being targeted by the police', claimed Khalid Sofi of the Muslim Council.

Certainly, the bald figure of a '300 per cent increase' suggests heavy handed policing and continual harassment. But dig a little deeper and the figures reveal something very different. They show that just 3000 Asians had been stopped and searched in the previous year under the Terrorism Act. Of these probably a half were Muslim. In other words around 1500 Muslims out of a population of more thtan 1.6 million had been stopped and searched under the terror laws - hardly a case of the police targeting every Muslim.

A total of 21,577 had been stopped and searched under the terror laws. The vast majority of these - 14,429 - were in fact white. Yet when I interviewed Iqbal Sacranie, general secretary of the Muslim Council of Britain he insisted that '95-98 per cent of those stopped and searched under the anti-terror laws are Muslim'. The real figure is actually 15 per cent. But however many times I showed him the true statistics he refused to budge. I am sure he was sincere in his belief. But there is no basis for his claim that virtually all those stopped and searched were Muslim - th

figures appear to have been simply plucked out of the sky.

There is disproportion in the treatment of Asians. Asians make up about 5 per cent of the population, but 15 per cent of those stopped under the Terrorism Act. Could this be because of anti-Muslim prejudice? Perhaps. It's more likely, however, to be the result of majority of anti-terror sweeps taking place in areas - near Heathrow Airport, for instance - where there happen to be higher numbers of Asians. Almost two thirds of terrorism stop and search operations took place in London, where Asians form 11 per cent of the population.

The claims of Islamophobia become even anti-Muslim prejudice if we look at all stop and searches. Stop and searches under the Terrorism Act form only a tiny proportion of the 900,000 stop and searches that took place last year. If there was widespread Islamophobia within the police force we should expect to find Asians in disproportionate numbers in the overall figures. We don't. Asians are stopped and searched roughly in proportion to their population once age structure is taken into account.

All these figures are in the public domain and easily available. Yet not a single reputable journalist challenged the claim that Asians were being disproportionately stopped and searched. So pervasive is the acceptance of Islamophobia, that no-one even bothers to check if it is true.

As it happens, there is evidence that stop and search is used in a racist way. But the victims are not Asian. They're black. Blacks form 3 per cent of the population – but 14 per cent of those stopped and searched. You're five times more likely to be stopped and searched if you're black than if you're Asian - not that you'd know from all the hoo-hah about Islamophobia. One of the consequences of the exaggeration of anti-Muslim prejudice is to hide the real discrimination.

In the debate about police harassment, there are objective statistics against which to check claims about Islamophobia. When it comes to physical attacks, however, the truth is harder to discern. What constitutes racist attack has changed dramatically over the past 20 years. These days everything from name-calling to brutal assaults are

included in the statistics. The problem is compounded by the fact that in the wake of the McPherson Inquiry into the murder of Stephen Lawrence, the police are obliged to accept the victim's perception of the attack. If the victim believes it to be a racist attack the police have to treat it as such, leading to a large subjective element in the reporting.

If statistics for racist attacks are difficult to compile, it is even more difficult to define what is an Islamophobic attack. Should we treat every attack on a Muslim as Islamophobic? If an Afghan taxi driver is assaulted, is this a racist attack, an Islamophobic incident or simply a case of random violence? Such uncertainty gives licence to peddle all sorts of claims about Islamophobia. According to Iqbal Sacranie of the Muslim Council of Britain, Muslims have never faced greater physical danger than they do now. The editor of Muslim News Ahmed Versi similarly believes that 'after September 11th we had the largest number of attacks ever on Muslims'.

Both personal experience, however, and such statistics as do exist, challenge these claims. When I was growing up in the

70s and 80s racism was vicious, visceral and often fatal. Stabbings were common, firebombings almost weekly events. In May 1978, 10,000 Bengalis marched in protest from Whitechapel to Whitehall in protest at the murder of garment worker Altab Ali near Brick Lane - one of 8 racist murders that year. In the decade that followed there were at least another 49 such killings. For Muslims, the end of the 80s, in the period from the Salman Rushdie affair to the first Gulf War, was particularly tough. I remember having to organise patrols on East London estates to protect Asian families from racist thugs.

Britain is a very different place these days - even for Muslims. Certainly there are racist attacks, and vicious assaults on Muslims. Early in December, for instance, three young Muslims were beaten up in Manchester by a 15-strong gang in what the police described as a 'dreadful racial attack'. Yet, despite such incidents, we've moved a long way from the 70s and 80s, and I get little sense of the intensity of racism that we faced then.

What statistics are available lends weight to this personal perception. The

European Union was so concerned about Islamophobic attacks that it commissioned a special report in the immediate aftermath of 9/11. In the four months following the attack on the World Trade Centre, the EU discovered around a dozen serious physical attacks on British Muslims. That is certainly a dozen too many attacks, but it does not speak of a climate of vicious Islamophobia. 'There were very few serious attacks', acknowledges the report's author Chris Allen. Islamophobia 'manifested itself in quite basic and low level ways.'

Even Muslim organisations that campaign against Islamophobia find it difficult to make the case for there being widespread attacks on Muslims. The Islamic Human Rights Commission monitored 344 attacks on Muslims in the year after September 11, most of which were relatively minor incident such as shoving or spitting. For the victim, each attack is nasty and distressing. But taken together they do not suggest a climate of uncontrolled hostility towards Muslims.

What all this suggests is a huge gap between perception and reality. And it's a gap that's exploited by both Muslim leaders

and mainstream politicians. For Muslim leaders, inflating the threat of helps consolidate their power base, both within their own communities and within wider society. British Muslims have long looked with envy at the political power wielded by the Jewish community, and by the status accorded to the British Board of Deputies. One of the reasons for setting up the Muslim Council of Britain was to try to emulate the political success of the Board of Deputies. Muslim leaders talk about using Islamophobia in the same way that they perceive Jewish leaders have exploited fears about anti-Semitism.

Exaggerating anti-Muslim prejudice is also useful for mainstream politicians, and especially for a government that has faced such a political battering over the war on Iraq and its anti-terror laws. Being sensitive to Islamophobia allows them to reclaim some of the moral high ground. It also allows Labour politicians to pitch for the Muslim vote. Muslims may feel 'betrayed' by the war on Iraq, trade minister Mike O'Brien wrote recently in The Muslim Weekly. But 'the Labour government are trying to deliver an agenda

that has shown consideration and respect for Muslims.' According to O'Brien 'Iqbal Sacranie, the General Secretary of the Muslim Council, asked Tony Blair to declare that the Government would introduce a new law banning religious discrimination. Two weeks later, in the middle of his speech to the Labour Party Conference, Tony Blair promised that the next Labour Government would ban religious discrimination. It was a major victory for the Muslim community in Britain.'

Pretending that Muslims havc never had it so bad might bolster community leaders and gain votes for politicians, but it does the rest of us, whether Muslim or non-Muslim, no favours at all. The more that the threat of Islamophobia is exaggerated, the more that ordinary Muslims come to accept that theirs is a community under constant attack. It helps create a siege mentality, stoking up anger and resentment, and making Muslim communities more inward looking and more open to religious extremism. Muslim leaders constantly warn that Islamophobia is alienating Muslims and pushing many into the hands

of extremists. However, it's not Islamophobia, but the perception that it blights lives, that is often the bigger problem. In making my Channel 4 documentary I asked dozens of ordinary Muslims across the country about their experience of Islamophobia. Everyone believed that police harassment was common though no one had been stopped and searched. Everyone insisted that physical attacks were rife, though few had been attacked or knew anyone who had.

What is being created here is a culture of victimhood in which 'Islamophobia' has become one-stop cause of the myriad of problems facing Muslims. Take, for instance, the social problems which beset Muslim communities. The figures are truly appalling. Bangladeshis and Pakistanis (who comprise most of Muslims in this country) are two and a half times more likely to be unemployed than are whites. Average earnings among Muslim men are 68 per cent that of non-Muslim men. 65 per cent of Bangladeshis are semi-skilled manual workers compared with 23 per cent among other ethnic minorities and 15 per cent among white Britons. Fifty four per

cent of Pakistani and Bangladeshi homes receive income support. In 2000, 30 per cent of Pakistani students gained five or more good GCSEs, compared with 50 per cent in the population as a whole.

It has become common to blame all of this on Islamophobia. According to the Muslim News, 'media reportage and public discourse on Islam and Muslims have a huge impact on Muslim labour market performance'. Islamophobia shapes 'how Muslim children are treated in schools', the 'self-esteem on Muslim children' as well as 'their educational achievements'. Unemployment, poverty and poor educational standards is not, however, a new phenomenon in Muslim communities in this country. And the causes are myriad. Racism certainly plays a part. So does class. The social profile of Pakistanis and Bangladeshis is closer to that of Afro-Caribbeans than it is to Indians or Chinese. That is because while the latter are often from middle class backgrounds, most Banglandeshis, Pakistanis and Afro-Caribebans originally came from poor working class or rural, with few resources. especially to combat the intense racism

they faced in this country. Class plays as important a role as race or religion in explaining the poor performance of Muslims. Indeed, Indian Muslims tend to be far better of than those from Bangladesh or Pakistan - and conversely Bangladeshi and Pakistani non-Muslims tend to be worse off.

Some also point the finger at cultural practices within some Muslim communities. 'By and large', the journalist Yasmin Alibhai Brown acknowledges, 'the lowest achieving communities in this country are Muslim. When you talk to people about why this is happening the one reason they give you, the only reason they give you, is Islamophobia.' It's not an argument that Alibhai Brown accepts. 'It is not Islamophobia that makes parents take 14 year old bright girls out of school to marry illiterate men, and the girl has again to bring up the next generation who will again be denied not just education but the value of education.'

Alibhai Brown disagrees with me about the extent of Islamophobia, believing that it is a major force shaping Muslim lives. But, she adds, it has also become 'a

convenient label, a figleaf, a reason that is so comfortable for Muslims whenever they have to look at why they aren't in the places that they have to be. All too often Islamophobia is used as an excuse in a kind of way to kind of blackmail society.'

What all this suggests is the need for an open, frank debate about Muslims and their relationship to wider British society. There is clearly prejudice and fear of Islam in this country. Muslims do get harassed and attacked because of their faith. At the same time the degree of hatred and discrimination is being exaggerated to suit particular political agendas, stoking up resentment and creating a victim culture.

The likelihood of such a frank, open debate is, however, not very high. 'Islamophobia' has become not just a description of anti-Muslim prejudice but also a prescription for what may or may not be said about Islam. Every year, the Islamic Human Rights Commission organises a mock awards ceremony for its 'Islamophobe of the Year'. Last year there were two British winners. One was the BNP's Nick Griffin. The other? Guardian columnist Polly Toynbee. Toynbee's

defence of secularism and women's rights, and criticism of Islam, was, it declared, unacceptable. Isn't it absurd, I asked the IHRC's Massoud Shadjareh, to equate a liberal anti-racist like Polly Toynbee with the leader of a neo-fascist party. Not at all, he suggested. 'There is a difference between disagreeing and actually dismissing certain ideologies and certain principles. We need to engage and discuss. But there's a limit to that.' It is difficult to know what engagement and discussion could mean when leading Muslim figures seem unable to distinguish between liberal criticism and neo-fascist attacks.

It would be tempting to dismiss the IHRC as a fringe organisation. It's not. It is a consultant body to the UN. Its work has been praised by the CRE. More importantly its principal argument - that in a plural society, free speech is limited by the need not to give offence to particular religious or cultural groups - has become widely accepted. So, for instance, the government is proposing new legislation to outlaw incitement to religious hatred. The Serious and Organised Crime and Police Bill will make it an offence 'to knowingly

use words, behaviour or material that is threatening, abusive or insulting with the intention or likely effect that hatred will be stirred up against a group of people targeted because of their religious beliefs' Supporters of the law claim that it will extend to Muslims, and other faith groups, the same protection that racial groups already possess. Sikhs and Jews are already by the Race Relations Act. The new law is aimed squarely at meeting Muslim concerns that they seem to have been left out.

In fact it is already an offence to perpetrate religious hatred. The 1986 Public order Act was amended in 1998 to include the offence of 'religious aggravation'. A person commits and offence if he 'displays any writing, sign or other visible representation which is threatening abusive or insulting, within the hearing or sight of a person likely to be caused harassment, alarm or distress.' The offence 'may be committed in a public or private place.' Shortly after 9/11, Mark Norwood, a BNP member, was convicted under this law after he placed a poster in his window with a picture of the World

Trade centre in flames and the slogan 'Islam out of Britain'.

In any case, there is a fundamental difference between race and religion. You can't choose your skin colour; you can choose your beliefs. Religion is a set of beliefs. I can be hateful about other beliefs, such as conservatism or communism. So why can't I be hateful about religion too? It's a question that supporters of the law have continually ducked.

In practice the law could be a nightmare to enforce. Every Muslim leader I've spoken to wants to use the law to ban Salman Rushdie's The Satanic Verses. Several believe that my own articles on Islam and free speech are Islamophobic and should fall under the scope of the law. Ahmed Versi, the editor of Muslim News, thinks that Margaret Thatcher should have been prosecuted for suggesting that after September 11 there had not been 'enough condemnation of terrorism from Muslim priests'.

Ten years ago the then Conservative government rejected a similar law precisely because ministers feared that it could be used to ban The Satanic Verses. Today

Home Office Ministers and the Director of Public Prosecutions assure everyone that this won't happen. 'We will still be free to insult each other', the DPP Ken Macdonald told me. In which case many Muslims are not going to be satisfied. Having encouraged exaggerated fears about anti-Muslim prejudice, and led Muslims to believe that the new law has been designed to meet their concerns, ministers might find it difficult to dampen Muslim demands. The current view of the courts is that material that encourages public disorder can be seen as inciting racial or religious hatred. The new law may actually create greater public disorder as disgruntled groups attempt to censor what they consider to be offensive works. The scenes in Birmingham outside the Sikh play Behzti may well be repeated many times over.

In a sense, though, the flaws in the proposed law are irrelevant, because its real value is not practical but, in the words of the Director of Public Prosecutions, 'symbolic'. The legislation sets out, not to provide legal remedy for a real problem, but to make a moral statement about what

is and is not socially acceptable. The real aim of the law is not to censor us, but to get ourselves to censor ourselves.

In fact, we already live in a culture of growing self-censorship. A decade ago, the Independent asked me to write an essay on Tom Paine, the eighteenth century English revolutionary and freethinker. It was the 200th anniversary of his great polemic, The Age of Reason. I began the article with a quote from Salman Rushdie's The Satanic Verses to show the continuing relevance of Paine's battle against religious authority. The quote was cut out because it was deemed too offensive to Muslims. The irony of censoring an essay in celebration of freethinking seemed to elude the editor.

These days it is becoming increasingly common for liberals to proclaim free speech is necessary in principle - but also to argue that in practice we should give up that right. Ruminating in the Guardian about the fallout from the Behzti affair, Ian Jack, editor of Granta magazine, suggested that whatever liberals believe in principle, in practice we need to appease religious sensibilities. 'The state has no law forbidding a pictorial representation of the

Prophet', he pointed out, 'But I never expect to see such a picture. On the one hand, there is the individual's right to exhibit or publish one; on the other hand, the immeasurable insult and damage to life and property that the exercise of such a right would cause.' He added that 'In this case, we understand that the price is too high - even though we, the faithless, don't understand the offence.'

John Mortimor has described this as 'tiptoeing around doing our best not to irritate other people by disagreeing with their opinions'. The irony of this approach is that it actually undermines what is valuable about living in a diverse society. Diversity is important, not in and of itself, but because it allows us to expand our horizons, to compare and contrast different values, beliefs and lifestyles, and make judgements upon them. In other words, because it allows us to engage in political dialogue and debate that can help create more universal values and beliefs, and a collective language of citizenship. But it is precisely such dialogue and debate, and the making of such judgements, that contemporary multiculturalism attempts to

suppress in the name of 'tolerance' and 'respect'.

Anti-racist activists: مناهضو العنصرية
In the grip of an irrational hatred of Islam: تسيطر عليهم الكراهية اللاعقلانية للإسلام

Institutionalised harassment: الإيذاء المؤسّسيّ

Political alienation: الاغتراب السياسى

Veteran: محنّك (وبخاصة فى شؤون الحرب والسياسة)

A consultant to: مستشار لـ

The Director of Public Prosecutions: رئيس النيابة العامة

Outlawing incitement to religious hatred: مجرِّمًا التحريض على الكراهية الدينية

Abuse of Muslims: الإساءة إلى المسلمين

All too often: أكثر جدا مما ينبغى

To highlight racism: تُبرِز العنصرية

discrimination against Muslims: التمييز ضد المسلمين

the gap between perception and reality: الفرق بين التصور والواقع

the Home Office: وزارة الداخلية

figures: الأرقام

under Britain's anti-terror laws: في ظل القوانين الخاصة بمكافحة الإرهاب

The whole Muslim community is being targeted by the police: كل أفراد الجالية المسلمة مستهدَفون من قبَل الشرطة

heavy handed policing: تعامُل الشرطة بيد من حديد

In other words: بعبارة أخرى

he refused to budge: رفض أن يتراجع

the figures appear to have been simply plucked out of the sky: يبدو أن الأرقام قد اختُرِعت اختراعا

Asians make up about 5 per cent of the population: يشكل الآسيويون ٥ ٪ من تعداد السكان

anti-Muslim prejudice: التعصب ضد المسلمين

widespread Islamophobia within the police force: الإسلاموفوبيا المنتشرة بين رجال الشرطة

roughly in proportion to their population: متناسبة على نحو أو على آخر مع أعدادهم

You're five times more likely to be stopped and searched if you're black than if you're Asian: نسبة احتمال إيقافك وتفتيشك في حالة ما لو كنت أسود خمسة أضعاف ما لو كنت آسيويا

the hoo-hah about Islamophobia: الضجة المثارة حول الإسلاموفوبيا

there are objective statistics against which to check claims about Islamophobia: هناك إحصاءات موضوعية يمكن مراجعة المزاعم الإسلاموفوبية عليها

brutal assaults: اعتداءات وحشية

in the wake of the McPherson Inquiry: فى أعقاب التحقيق الذى قام به ماكفرسون

Such uncertainty gives licence to peddle all sorts of claims: ومثل هذا الشك مما يؤدى إلى انتشار مختلف المزاعم

Visceral: عميق/ غريزى

racist murders: جرائم عنصرية

thugs: بلطجية

What statistics are available lends weight to this personal perception: أية إحصاءات موجودة من شأنها تأكيد التصورات الشخصية

a dozen too many attacks: اعتداءات بالجملة

mainstream politicians: سياسيون يتبعون الخط العام

to try to emulate the political success of...: يحاول تقليد النجاح السياسى لـ . . .

anti-Semitism: معاداة السامية

to reclaim some of the moral high ground: يسترد شيئًا من الروح المعنوية

The Muslim Weekly: الجريدة الإسلامية الأسبوعية

consideration and respect for Muslims: احترام المسلمين ومراعاة مشاعرهم

a new law banning religious discrimination: قانون جديد لتجريم التمييز الدينى

Muslims have never had it so bad: لم يكن المسلمون فى مثل هذا الوضع السئ قط

a siege mentality: ذهنية المحاصَر

religious extremism: التطرف الدينى

it blights lives: يملأ حياة الناس بالتعاسة

physical attacks were rife: كانت الاعتداءات البدنية منتشرة على نطاق واسع

a culture of victimhood: اعتقاد الناس أنهم ضحية

the myriad of problems facing Muslims: مشاكل لا تعد ولا تحصى تواجه المسلمين

To beset: يزعج/ يحيط بـ

To comprise: يتضمن

ethnic minorities: الأقليات العرقية

the population as a whol: مجموع السكان

media reportage: التقارير الإعلامية
Unemployment: البطالة
The social profile of Pakistanis: الأوضاع الاجتماعية للباكستانيين
middle class backgrounds: ظروف الطبقة المتوسطة
rural: قروى
poor performance: أداء سئ
worse off: أفقر
a figleaf: ورقة التوت
a mock awards ceremony: حفل توزيع جوائز وهمى
A columnist: كاتب عمود (فى صحيفة)
Secularism: العلمانية
a neo-fascist party: أحد أحزاب الفاشستية الجديدة
a fringe organization: منظمة متطرفة
a consultant body: هيئة استشارية
to give offence to: يسىء إلى
new legislation: تشريع جديد
abusive or insulting: مسىء أو مهين
faith: عقيدة/ دين
squarely: بصراحة ووضوح

within the hearing or sight of...: على مسمع أو مرأى من . . .

In any case: على أى حال

conservatism or communism: الاتجاه المحافظ أو الشيوعية

The Satanic Verses: الآيات الشيطانية

the editor of Muslim News: محرر جريدة "مسلم نيوز"

disgruntled groups attempt to censor what they consider to be offensive works: جماعات ناقمة تحاول أن تفرض الرقابة على ما تعدّه أعمالا مسيئة

many times over: مرارا وتكرارا

to provide legal remedy for a real problem: يصف علاجا قانونيا لمشكلة حقيقية

self-censorship: الرقابة الذاتية

his great polemic, The Age of Reason: كتابه الجدلى العظيم المسمّى: "عصر العقل"

The quote was cut out because it was deemed too offensive to Muslims: تم حذف الاقتباس لأنه اعتُبر مسيئا جدا للمسلمين

to appease religious sensibilities: يلطف الحساسيات الدينية
a pictorial representation of the Prophet: تصوير النبى
tiptoeing around: يمشى على أطراف أصابعه
living in a diverse society: يعيش فى مجتمع يتسم بالتعددية

خرافة الإسلاموفوبيا

الفوبيا هي الخوف أو النفور المرضي الزائد عن الحد من شيء ما . والكلمة يونانية، وعادة ما تلحق بها كلمة يونانية أخرى تدل على الشيء المخوف، وربما ألحقوا بها كلمة لاتينية بدل اليونانية. وهناك مئات الفوبيات بقدر ما هنالك من مئات المخاوف المرضية والشاذة، إذ النفس البشرية بعيدة الأغوار شديدة التعقيد . ومن البشر من يأتون من التصرفات كل شاذ غير متوقع ولا مسوغ، وإن كان هناك دائما من العوامل والبواعث ما يكفل تفسير تلك التصرفات الغريبة متى ما وضعنا أيدينا عليها وفهمناها، إذ لا شيء ينشأ من فراغ أو دون أسباب مهما بدا لنا السبب تافها وغير معقول ولا مقبول.

وإلى القارئ بعضا من تلك الفوبيات كأمثلة ليس إلا، والباقي منها كثيرٌ جدُ كثير مما يخطر ولا يخطر على البال: فمنها الخوف من النظافة والاستحمام (Ablutophobia)، والخوف من الظلام (Achluophobia)، والخوف من الضجيج (Acousticophobia)، والخوف من الميكروبات (Bacillophobia)، والخوف من الأماكن المرتفعة (Batophobia)، والخوف من الأماكن المغلقة (Clithrophobia)، والخوف من المنحدرات (Cremnophobia)، والخوف من الزجاج والبلور

(Crystallophobia)، والخوف من مرض السكر (Diabetophobia)، والخوف من ممارسة الجنس (Genophobia)، والخوف من ألمانيا وثقافتها (Germanophobia)، والخوف من ارتكاب الخطايا (Hamartophobia)، والخوف من الزواحف والسلاحف وما أشبه (Herpetophobia)، والخوف من الرعد والبرق (Keraunophobia)، والخوف من التعب والإرهاق (Kopophobia)، والخوف من البرص (Leprophobia)، والخوف من القمل (Musophobia)، والخوف من الجنون (Maniaphobia)، والخوف من القذارة والعدوى (Molysmophobia)، والخوف من الضباب (Nebulaphobia)، والخوف من السحاب (Nephophobia)، والخوف من جراحة الأسنان (Odontophobia)، والخوف من الأدوية (Pharmacophobia)، والخوف من العفاريت (Phasmophobia)، والخوف من النار (Pyrophobia)، والخوف من الضفادع (Ranidaphobia)، والخوف من القذارة (Rupophobia)، والخوف من الأقارب (Syngenesophobia)، والخوف من الزنابير (Spheksophobia)، والخوف من الامتحانات

(Testophobia)، والخوف من البحر (Thalassophobia)، والخوف من العمليات الجراحية (Tomophobia)، والخوف من الدرن (Tuberculophobia)، والخوف من البول والتبول (Urophobia)، والخوف من زوج الأم (Vitricophobia)، والخوف من اللون الأصفر (Xanthophobia)، والخوف من السحر والساحرين (Wiccaphobia)، والخوف من الحيوانات (Zoophobia) . . . إلخ.

وأعرف من تجاربى الشخصية أناسا يخافون خوفا مرضيا من العمليات الجراحية ويهربون لهذا السبب من المستشفى متى ما تُرِكوا فيها دون رقابة، وأناسا يخافون من الامتحانات ولا يوفقون فيها أبدا، إذ يتركونها فى بدايتها أو على أبعد تقدير فى منتصفها فلا يتمونها رغم ذكائهم ومقدرتهم العقلية والكتابية، وأناسا يخافون من ركوب الطائرات كما كان الحال مع الفنان محمد عبد الوهاب، الذى كان يرتعب أيضا من ملامسة أى مريض بالبرد ويُهْرَع فيغسل يديه فى الحال بماء الكولونيا . وأذكر أنى جربت ذات مرة منذ سنوات أن أدخل الهرم الأكبر مع الداخلين من مصريين وأجانب، وكان علينا أن نسير صُعُدًا فى نفق ضيق لا يسمح للسائر فيه بالانتصاب، فلم أستطع أن أستمر أكثر من نحو دقيقتين وركبنى ضيق لا يقاوَم وأعلنت لأسرتى التى كانت معى أننى لا يمكننى البقاء، ورجعت القهقرى رغم أن الجميع كانوا فى حالة من السرور شاملة، وما إن خرجت من المكان حتى تنفست

الصُّعَداء. كذلك يلاحَظ على العرب بوجه عام فى هذه المرحلة التاعسة البائسة من تاريخهم كراهيتهم للقراءة وانصرافهم عن الاستزادة من العلم، ومعاناتهم الشديدة إذا كُتب على الواحد منهم أن يمسك بكتاب للمطالعة فيه. من هنا يمكننا أن نفهم السر فى قلة أعداد النسخ المبيعة لدرجة مخزية من أى كتاب يُطبَع فى بلادهم. ولعل القراء يتذكرون كذلك تشارلز برونسون فى فلم "الهروب الكبير" وكيف ركبه الرعب حين وجد نفسه تحت الأرض منبطحا على بطنه فوق نقالة ذات عجلات أربع خلال اشتراكه مع زملائه من ضباط الحلفاء وجنودهم فى حفر سرداب ضيق للهروب من معسكر الاعتقال النازى، فما كان منهم إلا أن أخرجوه على وجه السرعة حتى لا يغلبه الهياج على نفسه.

وها نحن نجد أنفسنا هذه الأيام وجها لوجه مع ما يسمى بالخوف أو النفور من الإسلام والمسلمين، وهى الفوبيا المنتشرة حاليًا بين الأوربيين والأمريكان بسبب ما يُنسَب للمسلمين من أعمال عدوانية ضد الغربيين الملائكة الذين لا يرفعون أيديهم أبدا بالأذى نحو أحد من عباد الله، ومع ذلك يبغضهم المسلمون الشياطين (هكذا لله فى لله) حقدا منهم على مسيرة الحضارة والتقدم التى يمثلها أولئك المسالمون الذين يوضعون على الجرح فيطيب فى الحال، هذه الحضارة التى لا يشارك المسلمون فيها ولا يتركون غيرهم ينجزها وحده، فهم لا يرحمون ولا يَدَعُون رحمة ربنا تنزل على عباده. والواقع أن كثيرا جدا مما ينسب للمسلمين من إرهاب ومعاداة للغرب إنما هو من فعل تخطيط شيطانى تقوم به مؤسسات غربية

فى أوربا وأمريكا لتفزيع شعوبها ودفعها إلى المزيد من كراهية الإسلام وأهله والخوف منهم، وإلا فالمسلمون هم فى الواقع الضحية وليسوا الجناة. وإن ارتكبوا شيئا فى حق الغربيين فهو لا يزيد عن فتاتة تافهة بالقياس إلى جبال الأذى والضرر التى تكبس على أنفاسهم جَرّاءَ ما أوقعه بهم مجرمو الغرب وشياطينه! أليست بلادهم هى التى جاء الغربيون من وراء البحار والمحيطات واحتلوها لعقود وعقود، ثم لما خرجوا منها ظلوا على ارتباط وثيق مع الأنظمة الحاكمة فيها، ثم لم يكتفوا بهذا بل أصروا على أن تكون السيطرة مرة أخرى ظاهرة للعيان لا موارية ولا مواراة فيها البتة، فرأينا جيوش أمريكا وبريطانيا مع إمدادات من هنا ومن ههنا من جيوش الدول الغربية الأخرى تأتى فتجتاح بلاد العرب والمسلمين من جديد، وتقتل رجالهم وأولادهم ونساءهم، وتغتصبهن كذلك فوق البيعة، وتنزح ثرواتهم وبترولهم بقوة البطش والإجرام، ثم يحدثوننا بكل صفاقة وبجاحة عن الديمقراطية التى أتوْا لنشرها فى بلادنا، وما هى إلا ديمقراطية السلب والنهب والدمار والتقتيل وهتك الأعراض وهدم البيوت وتدنيس بيوت الله واقتحام غرف النوم والسطو على كل غال وثمين فى بيوت أهلينا فى العراق وغير العراق، بالإضافة إلى ما يحدث فى فلسطين منذ عشرات السنين، وهى مأساة وحدها لا تماثلها مأساة فى التاريخ إلا مأساة إبادة الهنود الحمر، وذلك تحت سمع العالم كله وبصره، وما من سميع أو مجيب؟

والواقع أن هناك عواملَ متعددةً وراء بروز الفوبيا الإسلامية فى الغرب، منها ما يرجع إلى الماضى، ومنها ما يرجع إلى الحاضر: فأما بالنسبة إلى الماضى فينبغى ألا ننسى حلقات الصراع بين الإسلام ودول أوربا منذ أن بزغت شمس الله على العالم، فاصطدم دين محمد عليه السلام بإمبراطورية الروم اصطداما كان من عواقبه تقلص تلك الإمبراطورية تقلصا كبيرا وانحسارها عن بلاد الشرق تماما، إلى أن عاد الأوربيون فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين فى شكل حملات صليبية احتلوا بها بعض ديار المسلمين فى الشام لمدة قرنين من الزمان حتى استطاع المسلمون دَحْرهم وردّهم على أعقابهم وتطهيرَ بلادهم من دنسهم. كما كان هناك اصطدام عنيف آخر فى غرب أوربا فى شبه جزيرة أيبريا حيث استطاع المسلمون أن يقيموا دولة إسلامية هناك استمرت لثمانية قرون، إلى أن قامت حركة الاسترداد التى استرجع بها الإسبان ما كان العرب قد فتحوه أمام دعوة التوحيد. وهناك أيضا الصراع الجذرىّ بين الإسلام والنصرانية التى زيفها بولس والتى تؤله عيسى عليه السلام وتقول بصلبه مما ينكره الإسلام إنكارا لا هوادة فيه. فهذه الصراعات وما أحرزه المسلمون على الأوربيين فيها من انتصارات مذهلة وما شكّلوه لهم من خطر كبير هو أساس هذه الفوبيا. ثم انضاف إلى هذا السبب فى العصر الحديث ألاعيب المخابرات والساسة والاستشراق والتبشير، وهى الألاعيب التى أخذت على عاتقها تشويه الإسلام وتنفير الأوربيين منه عن طريق التخطيط العلمى

المدروس واتباع سياسة النفس الطويل فى حرب الأفكار. ومن ذلك الشائعاتُ الكاذبة التى يطلقونها لإرعاب الناس فى الدول الغربية من خطر الإسلام والمسلمين، كما هو الحال مثلا عندما رأيناهم يخططون لغزو العراق وتدميره، إذ بدأت معزوفة الخطر النووى العراقى رغم ما كان العالم كله يعرفه من أن العراق، وبالذات فى ذلك الوقت الذى كانت أظافره قد قُلِّمَتْ تماما، لم يكن يشكل أى تحدٍّ أو خطر على أى بلد فى العالم، ناهيكَ أن يكون هذا البلد هو أمريكاً أو بريطانيا. لكنها حرب الشائعات والأكاذيب المخابراتية. ولا ننس أيضا شائعات الجمرة الخبيثة فى أمريكا المتلاحقة الطنانة التى أريد من ورائها إفزاع قلوب الأمريكان والأوربيين وتنفيرهم من المسلمين وتبغيضهم فيهم وتقبيح صورتهم فى عيونهم وعقولهم وقلوبهم، وهى الشائعات التى انطفأت نارها بمجرد دخول الأمريكان والبريطان أرض الرافدين وكأن شيئا لم يكن، أى بعد أن آتت أكلها الخبيثة السامة. على أن هذا لا يعنى أن المسلمين بُرَءَاءُ من المسؤولية فى مسألة "الإسلاموفوبيا"، إذ هم، بكسلهم وكراهيتهم للعلم والثقافة والعمل والإتقان وعدم اهتمامهم بقيم الجمال والأناقة والنظافة والنظام، ليقدمون أسوأ مثل يمكن أن يُضرَب للتدليل على عظمة دين محمد عليه الصلاة والسلام. إنهم، بسلوكهم السيئ وبلادتهم وخيانتهم لدينهم العبقرى وإهمالهم لقيمه النبيلة الكريمة، ينفرون الناس من دينهم ويعطون أعداءهم الفرصة للقول عنهم بالحق والباطل. وهذا كله من شأنه تبغيض الناس فى الإسلام وتخويفهم منه.

وقد ترتب على انتشار الإسلاموفوبيا فى الغرب تعرُّض المسلمين فى كل أرجاء أوربا وأمريكا لألوان من العدوان والتضييق والاشتباه لمجرد أنهم يختلفون ديانةً وعاداتٍ وتقاليدَ عن المحيط الذى يعيشون فيه، ذلك المحيط الذى لا يطيق أن يشذّ أحد عن منهاجه لتصوره أنه خُلِق ليكون قائدا للمسيرة الإنسانية، وعلى الآخرين أن يأتمروا بأمره لا يعصون له مطلبا بل لا يخالفون له عن ذلك المطلب مجرد مخالفة، بل لا ينبغى أن يستمتع بنعم الدنيا أحد سواه، اللهم إلا بالفتات المتساقط من مائدته على الأرض، مع أنه ليس عريقا فى مضمار الحضارة، بل هو أقرب إلى أن يكون مُحْدَث نعمة. بيد أن للقوة منطقها الذى يصنع الأعاجيب فى شؤون الفكر والاقتناع، والغرب قوىٌّ بلا شك قياسا إلى باقى دول العالم. ولا ريب أن بعض هذه القوة راجع إلى جدّه واجتهاده وعمله وعلمه وحيويته، لكن بعضا آخر، ولعله هو الجزء الأكبر، راجع إلى إجرامه وجرأته على نهب الشعوب وعدم احترامه لأى قانون رغم تشدقه المستمر بقيم الحرية والديمقراطية من ناحية، وخنوع هذه الشعوب بدورها له وخوفها منه ورضاها بالدَّنِيّة وكسلها وكراهيتها للحركة وتقاعسها عن بذل الجهد المطلوب وإيثار النوم على اليقظة طلبا للسلامة الموهومة للأسف من ناحية أخرى!

ويحاول كاتب المقال الذى نحن بصدده أن يقلل تماما من ألوان الأذى والمضرة التى يتعرض لها المسلمون فى بريطانيا مع أن المسألة أوضح من أن يمارى فيها أحد. وبخاصة بعد أن تم تقنينها فى إجراءات

رسمية بحجة أنها تتعلق بأمن البلاد ومواطنيها . ونراه فى هذا السياق يتهم السياسيين ورجال الدولة الذين يحاولون التخفيف من حدة المشكلة، بأنهم يلعبون بورقة التمييز العنصرى والدينى الواقع على المسلمين تطلعا إلى يوم الانتخابات، وكأن المسلمين يشكلون جماعة ضغط تستطيع أن تفرض رأيها على مجريات السياسة والانتخابات، رغم أنهم أضعف من أن يكون لهم ذلك التأثير، إذ لا يملكون شركات كبيرة، ولا يجدون بوجه عام تعاطفا من البريطانيين كالذى يجده اليهود مثلا، وليس هناك شىء مشترك يربط بين الفريقين كالعهد القديم الذى يؤمن به كل من اليهود والنصارى. كما أنه لا توجد فى عصرنا الحاضر دولة إسلامية واحدة يمكنها أن ترفع عينها من الأرض وتمارس شيئا من الضغط على حكومة جلالة الملكة بشأن رعاياها ممن يدينون بدين محمد مثلما تفعل أمريكا بخصوص الأقباط فى مصر على سبيل المثال. فعن أىّ وَهْم إذن أو مبالغات من جانب السياسيين البريطانيين يتحدث الكاتب؟ إن بريطانيا فى الواقع هى آخر بلد يمكن أن يتعاطف مع المسلمين تحت أى ظرف، فإذا أتيح لهم بعض السياسيين الذين دانوا التعصب الطائفى وانتشاره بين البريطان ضد المسلمين ونبهوا إلى خطره على استقرار المجتمع فلا يُعقَل أن يكون ذلك التصرف هو نتاج عاطفة جيّاشة طيّاشة تغلب صاحبها على عقله، بل لا بد أن يكون بالحَرَى وليد اقتناع تام وملاحظة صادقة لما يجرى على أرض المملكة المتحدة وخوف على مستقبل البلاد .

ويمضى الكاتب فى نفيه وجود تعصب طائفى يستحق الوقوف عنده زاعما أن المراد من شهر سلاح الاتهام بالإسلاموفوبيا هو خنق الرأى الحر والقضاء على أى انتقاد يوجَّه إلى الإسلام، فى الوقت الذى يحتاج فيه البريطانيون إلى المزيد من انتقاد الإسلام وتبيين عيوبه ومآخذه. يقول هذا فى جرأة يُحْسَد عليها، وكأن القلة البريطانية التى تنقد التعصب ضد المسلمين ودينهم قد تحولت إلى الإسلام وأضحت تعادى المجتمع البريطانى وتنتصر لدين محمد . وهو أمر يبعث فى الواقع على الضحك، لكنه الضحك المرّ الذى لا يجلب سرورا ولا يَعِدُ به! كذلك يزعم الكاتب أن الزيادة التى بلغت هذا العام ٣٠٠٪ فى عدد من تعرَّض له رجال الشرطة بالتضييق والاشتباه والقبض من الآسيويين ليسوا كلهم مسلمين، بل لا يزيد المسلمون فيما يبدو عن نصفهم. ونتساءل: "على أى أساس يرى الكاتب أن المسلمين لا يزيدون عن نصف هذه الزيادة؟"، فلا نجد إلا عبارة "من المحتمل"، وكأن أمثال تلك الأحكام يكفى فيها أن يقول المتحدث: "من المحتمل"! وكأن المسؤولين البريطان كذلك قد فاتهم هذه الـ"من المحتمل" فلم ينتبهوا إلى وجوب القيام بتحرٍ لحقائق الأوضاع! وكأن القانون الذى يشير له الكاتب، وبمقتضاه يجوز القبض على المسلم بمجرد الاشتباه، قد وُضِع لغير المسلمين! وكأن بريطانيا ليست هى الشريكة الأولى بل الوحيدة أحيانا لأمريكا فى عدوانها المستمر منذ سنوات على بلاد المسلمين! ثم أين هم المسلمون الذين قُبِض عليهم وحوكموا أمام القضاء البريطانى ثم ثبت أنهم فعلا

يشكلون ضررا أو خطرا على المجتمع هناك؟ ودعونا من المؤامرات المضحكة السخيفة التى تلفقها الشرطة بين الحين والحين لبعض المسلمين مما لا يمكن أن يدخل عقل عاقل، ثم يتضح فيما بعد أنها فرقعاتٌ فشِنْك لا أكثر ولا أقل تنتهى إلى لا شىء .

أما قوله إن ألفا وخمسمائة فقط من المسلمين من مجموع مليون ونصف لا يمثل رقما يُذْكَر فهو كلام أخرق، إذ معناه أنه لا يمكن أن يكون هناك اضطهاد لطائفة ما من طوائف المجتمع إلا إذا عم كل أفراد الطائفة. وبالمثل ينبغى ألا ننسى أن نسبة كبيرة جدا من هذا المليون والنصف هم مسلمون بريطانيون أُصَلاء لا مسلمون آسيويون يعيشون فى بريطانيا ممن حصلوا على الجنسية البريطانية أو لم يحصلوا لكنهم يقيمون بصفة مؤقتة هناك. وبطبيعة الحال لا يتعرض البريطانى الأصيل لنفس المعاملة الظالمة التى يلقاها المسلم غير البريطانى، وإلا كانت الفزعة له لا تقارن بفزعة بعض الصحفيين أو المسؤولين البريطان للمسلمين ذوى الأصول الآسيوية والإفريقية الذين يعيشون فى بريطانيا . ترى هل الألف والخمسمائة مسلم الذين يتعرضون لمعاملة الغبن والتمييز العنصرى على أيدى الشرطة البريطانية، ودعنا مما يقع للمسلمين ومنازلهم وممتلكاتهم ومساجدهم من اعتداءات من قبل البريطان العادين، هو عدد قليل؟ وهذا بافتراض أن ما ذكره الكاتب من نسب وإحصاءات هو كلام صحيح. ثم ما هى، يا ترى، الزيادة المئوية فى عدد غير المسلمين الذين تعرضوا لمثل تلك المضايقات والتحزبات العنصرية فى ذلك الوقت ذاته؟

هذا هو السؤال الذى ينبغى طرحه، لا تلك السفسطة الفارغة التى يلجأ لها الكاتب للتخفيف من وقع الأرقام المؤذية لضمير كل حر!

وأخيرا هل كل ما يعلنه بعض المسؤولين والصحافيين البريطان من رفض للتمييز العنصرى والطائفى فى بريطانيا نابع من القلب فعلا؟ أترك الإجابة لصحيفة "الأوبزرفر" البريطانية التى اطلعتُ على ما كتبتْه عن هذا الموضوع فى موقع "المركز الفلسطينى للإعلام" بتاريخ ٥/ ١٢/ ٢٠٠٦م وتحت عنوان "الأوبزرفر: الحكومة البريطانية تحث الشرطة على تضييق الخناق على المسلمين"، وهذا نص ما قرأت: "أفاد تقرير صدر عن مؤسسة أبحاث بريطانية كبيرة أن تصرفات رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير هي المسؤولة عن شعور الاستياء الذي ساد البريطانيين المسلمين. وذكرت صحيفة "الأوبزرفر" أن الحكومة البريطانية كانت تدعو، عقب هجمات السابع من تموز/ يوليو ٢٠٠٥، إلى فتح حوار مع المسلمين، ولكنها في الواقع كانت تحث على تضييق الخناق عليهم من قبَل الشرطة. ونقلت الصحيفة البريطانية عن تقرير أعده معهد للدراسات الإستراتيجية، وساهم في تمويله حكومة طوني بلير، قوله إن المسؤولين البريطانيين كانوا يحثون زعماء المسلمين في بريطانيا على التعاون والاندماج في المجتمع، بينما يدعون الشرطة من جهة أخرى إلى التجسس على أبناء الجالية الإسلامية. من جهة أخرى قالت صحيفة "صنداى تايمز" إن إدارة المكتبات التابعة للكنيسة في بريطانيا قررت رفع القرآن الكريم من على أرفف المكتبات. وأضافت الصحيفة أن القرار يشمل

كل الكتب الدينية وليس القرآن الكريم فقط. إلا أنها في الوقت ذاته أوضحت أن القرآن الكريم هو الكتاب الديني الوحيد الذي رفع، إذ إن كتب الديانات الأخرى وجودها نادر في المكتبات التابعة للكنيسة".

وعودةً إلى الأرقام والنسب نجد الكاتب يقول إنه قد جرى بينه وبين كاتم سر المجلس الإسلامي في بريطانيا جدال حول تلك الإحصاءات، فكان المسلم يؤكد أن ٩٦ ٪ من المقبوض عليهم بمقتضى قانون مكافحة الإرهاب هم من المسلمين، على حين يصر كاتبنا على أنهم لا يتجاوزون نسبة الـ١٥ ٪ بحال، وإن كان قد أضاف أن المسؤول المسلم لا يكذب، بل مخدوع فيما يورده من أرقام. أيهما إذن ينبغي أن نصدق؟ ثم هل من المقبول تكذيب المسؤول المسلم الذي يمكن شنّه حيًا لو ثبت أنه يكذب فعلا، بل وتمكن مقاضاته إذا لزم الأمر، أو على الأقل يمكن دعوته إلى مناظرة تلفازية يشارك فيها مسؤول في الجهات التي تشرف على تلك الإحصاءات بحيث لا يكون لدى المسلم أية فرصة للجدال السوفسطائي الذي يشير إليه صاحبنا؟ ولكن، في ذات الوقت، لماذا لم يقل لنا صاحبنا من أين حصل هو على أرقامه؟ وما السبب يا ترى في هذا الخلاف الحاد بينه وبين الطرف المسلم؟ ولماذا، لو كان على حق في نفيه أن يكون هناك تعصب ضد المسلمين من جانب الشرطة في بريطانيا، نراه أثناء تساؤله عن السر في التحامل على المسلمين في تطبيق قانون مكافحة الإرهاب يكرر الالتجاء إلى عبارة "من المحتمل"، إذ كان جوابه بأن "من المحتمل" فعلا أن يكون

التعصب ضد الإسلام هو السبب فى ذلك، وإن كان قد عاد فى الحال لطرح احتمال آخر كنوع من التشتيت الذهنى للقارئ وحيلة يلجأ لها لنسخ ما قاله فى الجملة السابقة مباشرة، وهى حيلة معروفة يستخدمها من لا يقدر على تجاهل الحقائق، لكنه رغم هذا لا يريد العُنُوّ لحكمها؟ وهذا الاحتمال هو أن معظم وقائع القبض على الآسيويين قد تمت فى لندن، وفى منطقة يكثر فيها أعدادهم. لكنه نسى أن يفسر لنا السر فى طروء هذا الازدياد فى أعداد المقبوض عليهم من المسلمين الآن رغم أن كثرة أعداد الآسيويين فى لندن، وفى تلك المناطق بالذات، ليست وليدة اليوم. إنه، كما يرى القارئ، يحاول الهروبَ من الحقيقة بكل ما عنده من لَوْذَعِيّة، إلا أن سلطان الحقيقة قاهر. ولكنه، كما نعرف جميعا، مجرد سلطانٍ معنوى بطبيعة الحال، وإلا فإن القوة الغشوم تقدر أن تركلها بل أن تسحقها بقدمها متى شاءت واستطاعت، وهى مع المسلمين تستطيعه بكل تأكيد!

كذلك يؤكد الكاتب أن أحدا لا يبالى بالتحقق من الوقائع والأرقام الصحيحة حتى بين الصحفيين. وكالعادة لا يقدم لنا تفسيرا لهذه الظاهرة الغريبة، فالمسلمون لا يملكون لأنفسهم فى بريطانيا، فضلا عن أن يملكوا للصحفيين والسياسيين البريطان أصحاب البلد، شيئًا بالمرة. ومع هذا كله فإنه يعود فيقر بأن هناك تحاملا عنصريا فعلا فى بريطانيا من جانب الشرطة، لكن ليس ضد المسلمين بل ضد السُّود، الذين يقول إنهم يمثلون نسبة ٣ ٪ من مجموع السكان هناك، على حين يشكلون ١٤

من المقبوض عليهم فى ظل قانون مكافحة الإرهاب، مضيفا أن هذا هو التمييز الحقيقى الذى يلجأ البعض إلى الحديث عن "الإسلاموفوبيا" للتعمية عليه. لكن لماذا؟ لا جواب بكل أسف رغم لامعقولية ما يطرحه من رأى، إن جاز تسمية ذلك رأيا!

ويعزو الكاتب كثرة شكاوى المسلمين من التمييز العنصرى ومن الاعتداءات على الهوية الدينية إلى عاملين: الأول اختلاف التصور حول مفهوم تلك الاعتداءات، فالمسلم يضخم الوضع، على حين أن الواقع يحصر مثل تلك الاعتداءات فى عشرات الحالات فقط، وفى حوادث ليست بالخطورة التى يزعمها المسلمون وقادتهم. تَصَوَّرْ: عشرات الحالات من الضرب الرهيب والبصق والشتم وما إلى ذلك (إن كان لنا أن نصدق أن الأمر يقف عند هذا الحد)، ومع هذا يراها الكاتب شيئا هينا لا يستأهل كل تلك الضجة، وكأنه لا يعترف بوقوع تمييز عنصرى ضد المسلمين بالذات إلا إذا اتخذ هذا التمييز صورة القتل والحرق فى الميادين العامة، وشَمِل المسلمين على بَكْرَة أبيهم فلم يغادر منهم أحدا! أما العامل الثانى فى نظره فهو أن زعماء المسلمين يشعرون بالغيرة من اليهود ومما وصلوا إليه فى المجتمع البريطانى من نفوذ سياسى مستغلين ما يسمى بـ"معاداة السامية"، فهم بدورهم يريدون أن يستغلوا "معاداة الإسلام" فى تحقيق مثل ذلك النفوذ. وإنا لنتساءل: وما الذى يُغضب الكاتبَ فى أن يتطلع المسلمون إلى أن يعامَلوا كاليهود وأن يكون لهم نفس التأثير والمكانة اللذين لليهود، وبخاصة أنهم يفوقون اليهود أعدادا على

نحو هائل، وقاموا وما زالوا يقومون بخدمات لبريطانيا لا تقدر بثمن، وتحملوا كثيرا من ألوان المعاناة والعنت أثناء قيامهم بهذه الخدمات، ومنها على سبيل المثال العمل فى شق أنفاق المترو تحت الأرض فى ظروف رهيبة كما هو معروف، بالإضافة إلى أن بريطانيا قد أنزلت بهم وببلادهم فى كل مكان من ضروب الظلم والإذلال والاستغلال والتنكيل والاستنزاف الاقتصادى ما لا تُعَدّ المكانة التى يطمحون إليها فى المجتمع البريطانى شيئا مذكورا بجانبها، إذ هى مهما يكن من طموح المسلمين بل من جموحهم فى هذا الصدد لا يمكن أن تصل إلى ما يتمتع به البريطان الأصليون أو اليهود هناك أبدا ؟

لقد بلغ من تدليل بريطانيا لليهود أن خلقت لهم من العدم دولة على حساب العرب والمسلمين، دولة لا تعرف إلا لغة التهجير والتنكيل والتهديم والقتل والسجن، ومصادرة الأراضى والقرى والمدن، والحصار والتجويع والتشويه السياسى، كل ذلك بمساعدة بريطانيا سابقا ولاحقا وحتى الآن وإلى ما شاء الله. ولا أظن المسلمين يتطلعون أبدا إلى عُشْر معشار هذا، بل إنهم لا يفكرون مجرد تفكير أن تعود بريطانيا إلى رشدها فتساعد العرب والمسلمين على استرداد فلسطين وتكفّر بذلك عن جرائمها ووحشيتها التى لا تغتفر ! أم تراه يبصر على رأس اليهود ريشة لا ينبغى أن يطمح المسلمون إلى حيازة ريشة مثلها فى أى يوم من الأيام؟ لكن لماذا ؟ ألا يرى القارئ كيف يتعصب الكاتب ضد المسلمين موحيًا على الأقل بأنهم أقل وأذل من أن يكون لهم ذات التطلع الذى كان

لليهود يوما وحققوه فعلا وتمادوا فيه إلى درجة مرعبة؟ أما إن كان يرى أن اليهود يحصلون على ما ليس من حقهم، ومن ثم لا ينبغى للمسلمين التطلع بدورهم إلى إحراز ما ليس لهم بحق، فليَدْعُ إذن إلى تجريد اليهود من ذلك الذى بلغوه من مكانة وتأثير وامتيازات لا يستحقونها، وبذلك تكون هناك مساواة بين الفريقين ويقطع من ثَمّ الطريقَ على المسلمين فلا يفكرون فى شىء من الشرور التى يفكرون فيها الآن مما يزعجه هو وأمثاله! كذلك يتهم الكاتب المسلمين بأنهم يحاولون أن تكون لهم هيئة تمتع بنفس الثقل الذى تتمتع به هيئة النواب البريطانية، ولهذا السبب أنشأوا المجلس الإسلامى البريطانى كما يقول. ومرة أخرى نتساءل: أحرامٌ على المسلمين دون غيرهم أن يذوقوا بعض ثمار الديمقراطية البريطانية؟ أم إن عليهم الغُرْم، ولليهود وأمثالهم الغُنْم كلَّ الغُنْم؟ أوهذا من مقتضيات الديمقراطية؟ فليكن الكاتب صريحا وينفض ما فى نفسه دون جَمْجَمَة أو لفّ ودوران!

ورغم إقرار الكاتب أن ثمة تمييزا واضحا بين المسلمين والبيض فى التعليم والدخل والتأهيل المهنى وغيره فإنه يصر على أن "الإسلاموفوبيا" ليست هى المسؤولة فى هذا الصدد، بل تصوُّر المسلمين لذلك، وكأن المسلمين فى بريطانيا هم جماعة من المرضى الذين يحتاجون إلى العرض على الأطباء النفسانيين أكثر من حاجتهم إلى قوانين أكثر إنسانية ومعاملة أوفر عدلا! أو كأنهم من القوة بحيث يفرضون وقفهم ورأيهم على الحكومة والبرلمان وكبار رجال الدولة والصحف!

كذلك نراه يتهم الحكومة البريطانية العمالية بأنها تريد، من خلال تشجيع المسلمين والاستجابة لما يقولونه عن "الإسلاموفوبيا" والتصرف بمقتضاه، أن تمحو من نفوسهم ما أقدمت عليه من إيلامهم باحتلال العراق، بغية ضمانها انتخابهم للنواب العماليين فى الاقتراعات المقبلة. وعلى ضوء هذا يمكن، حسبما قال، النظر إلى ما قاله تونى بلير فى إحدى خطبه من أن الحكومة بصدد الإعداد لإصدار قانون جديد يحرّم ويجرّم التمييز بين المواطنين على أساس الدين. وفى هذا السياق نرى الكاتب يرتدى زى الواعظ المصلح والمعالج النفسانى فيحذر من أن الاستجابة لهذا الوهم الذى يعشّش فى رؤوس المسلمين فى المملكة المتحدة والذى يخيّل لهم أنهم مضطَهَدون ومكروهون من شأنه أن يزيدهم عزلة وانكفاء على ذاتهم وابتعادا عن الانخراط فى المجتمع ونزوعا نحو التطرف. وهذه أول مرة نسمع مثل هذا الكلام، وهو ما يوحى بأن الغبن، أو على الأقل: الإبقاء عليه، هو الحل الناجع لمشكلة المسلمين هناك والسبيل السليم لشعورهم بالأمن والاطمئنان ولزومهم جادة الطريق والمشى على العجين دون أن يلخبطوه! أما محاولة استدلاله بأن من ظهروا فى برنامجه الوثائقى فى القناة التلفازية الرابعة ببريطانيا لم يستطيعوا فى الغالب إثبات دعاواهم عن اضطهاد المسلمين ومعاملتهم معاملة ظالمة فكلنا يعلم كيف تُعَدّ أمثال هذا البرنامج سلفا بحيث لا تُظْهِر سوى ما يريد مُعِدّو البرنامج، مع التظاهر فى ذات الوقت بالحيادية والموضوعية! وهذا طبعا إن كان ما يقوله عن البرنامج صحيحا!

ويستمر الكاتب فى مقاله معدّدًا عوامل أخرى كالطبقة والعصبية العنصرية يراها مسؤولة عن تقصير المسلمين فى دراستهم، وكذلك عن البطالة والفقر وانخفاض مستوى التعليم بين أظهرهم، إلى جانب التمييز العنصرى الذى لا ينكر وجوده ضدهم، والذى يؤكد رغم ذلك أنه مبالغ فيه من قبَل المسلمين أنفسهم حتى لقد جعلوا منه شماعة يعلقون عليها تقصيرهم أو ورقة توت يغطون بها عيوبهم. ونحن لا نخالف فى أن المسلمين البريطانيين يتحملون شطرا من المسؤولية وأنهم لا يخلون من الملاحظات والمآخذ، إذ هم فى نهاية المطاف بشر من البشر، كما أن المسلمين بوجه عام ليسوا فى أحسن حالاتهم فى الوقت الحاضر كما قلنا ونقول وسنظل نقول، وهو ما ينعكس على أوضاع إخوانهم فى بريطانيا وفى غيرها من الدول الأوربية. وهنا نقول إن على المسلم أينما كان أن يكون وفيا لقيم دينه العبقرية، تلك القيم التى توجب عليه العمل المثمر والإتقان الدقيق والطموح إلى المعالى فى كل مناحى الحياة والابتعاد عن التذمر السلبى والنفور من تبرئة النفس بالباطل مع إلقاء اللوم دائما على كاهل الآخرين، والسعى لتحصيل العلم والتبريز فيه والتزام التفكير المنهجى والتخطيط السليم لحياته وكل ضروب نشاطه، والحرص على الاستقامة والصدق فى كل ما يفعل، والاهتمام المناسب بنواحى الجمال والذوق السليم، والإعلاء من شأن الجوهر على الأمور الشكلية التى يظن كثير من المسلمين الآن أنها هى لب لباب الدين. . . ذلك أنه من العيب الذى لا يليق والذى سوف يحاسبنا الله تعالى عليه أن نقصّر عن

غيرنا من أهل الأديان والحضارات الأخرى هذا التقصير المخل المخجل رغم أن ديننا يتفوق على ما لدى غيرنا تماما فى هذا الصدد، ثم نظن رغم ذلك أننا أفضل من هذا الغير لمجرد أننا مسلمون، ومن ثم نظل نقاسى ضروب المذلة والهوان والتخلف فى كل مكان!

إلا أن هذا كله لا ينبغى أن يجعلنا ننساق مع الكاتب فى التقليل من شأن الاضطهاد العنصرى والدينى الذى يتعرض له المسلمون فى بريطانيا. كذلك نحن لسنا من أنصار إرجاع أية ظاهرة، وبالذات إذا كانت اجتماعية أو سياسية، إلى عامل واحد فرد، إلا أن هذا لا ينبغى أيضا أن يجعلنا ننساق مع الكاتب فى التقليل من شأن الاضطهاد العنصرى والدينى الذى يتعرض له المسلمون فى بريطانيا. ومع هذا فنحن لا نملك إلا أن نوافقه على مقترحه الخاص بإقامة مناظرة بين القائلين من المسلمين باشتداد الاضطهاد الذى يتعرضون له وبين من ينفون مثل ذلك الاضطهاد أو يحاولون تصغير حجمه بشرط أن يكون المتحدثون باسم المسلمين ممن يمثلونهم حقا لا ممن يُختارون اختيارا لإفساد قضية المسلمين أصلا، إذ حتى لو لم تؤد مثل تلك المواجهة الجدالية إلى نتيجة سريعة، فإنها سوف تساعد بكل تأكيد على كسر الحواجز القائمة بين الطرفين مع مرور الزمن، أو على الأقل سوف تكون متنفسا مباشرا يشعر فيه كل منهما أن الطرف الآخر قد جاء ليسمعه ويقول له ما يريد قوله مواجهةً، غير مكتف بالجمجمة التى لا يسمعها ذلك الطرف كما هو الحال عند قراءته على سبيل المثال مقالا فى

صحيفة لا يتفق مع وجهة نظره، مما يبدو الأمر معه وكأنه يخاطب نفسه، وهو ما يزيد المشكلة تفاقما وتعقيدا ويباعد من ثَمّ بينها وبين الانفراج.

ومن الناحية الأخرى فنحن لا نتفق مع الكاتب فى انتقاد المسلمين البريطانيين لاتخاذهم من المواقف ما يعبرون به عن رفضهم لهذا السلوك أو ذاك من هذا الشخص أو ذاك حين يرون أن هذا السلوك يسئ إليهم وإلى دينهم، ومنه تنظيمهم لجائزة سنوية تهكمية يعطونها لمن تفوق على غيره فى الإساءة إليهم. أليس هذا حقهم؟ إن الكاتب لا يقبل فكرة مراعاة حد معين عند انتقاد الصحفيين البريطان للإسلام! حسنا، فلماذا يضايقه أن يقوم المسلمون بالتعبير عن ضيقهم مما يكتبه أولئك الصحفيون؟ أويريد سيادته أن تكون حرية الانتقاد من طرف واحد هو الطرف المعادى للإسلام والمسلمين؟ أهذه هى الديمقراطية؟ الواقع أننى أحبذ هذا التصرف الإسلامى كثيرا لأكثر من سبب: أولا لما فيه من نزعة فنية من شأنها أن ترسم البسمة على وجوههم حتّى لو كانت تشوبها المرارة، وذلك بدلا من الاقتصار على الجدال الحادّ مع أمثال أولئك الصحفيين. كما أن التنفيس بهذه الطريقة عن الغضب الإسلامى المشروع سوف يؤدى، فيما أحسب، إلى الابتعاد عن العنف، إذ من المعروف أن الضغط الدائم يولد الانفجار. وفوق ذلك فإن مثل ذلك التصرف من قِبَل المسلمين هو نزعة بريطانية خَبَرْتُها جيدا أيام أن كنتُ هناك أدرس للحصول على درجة الدكتورية من ١٩٧٦م إلى ١٩٨٢م، وهو جزء مما يسمونه: "sense of humour: الحسّ

الفكاهى" عندهم. فما المشكلة إذن فى هذا؟ وأخيرا فليس كل من تناول الإسلام من الغربيين يلتزم جانب التناول الموضوعى، بل كثيرا ما تشوَّه الحقائق وتُقلَب الأوضاع ويتم تزييف الأمور بشكل منهجى شيطانى. وما الأكاذيب التى روجها الأمريكان والبريطان عن العراق قبل احتلاله وبغية اقتراف هذا الاحتلال ببعيدة. إننا لا نزال نشعر بلهيبها المحرق الرهيب ونحن نرى ما يقع كل يوم من دمار وقتل وتخريب فى العراق، فى الوقت الذى تصر فيه الحكومتان على أن ما أنجزتاه فى ذلك البلد شىء عظيم لا مثيل له رغم انكشاف أكاذيبهما الإجرامية لكل من له عينان وكل من ليست له عينان على السواء!

وما دمنا بصدد الحديث عن الصحفيين الذين ينتقدون الإسلام فى الجرائد والمجلات البريطانية، ومنهم بولى توينبى الذى رأى المسلمون فى بريطانيا أنه يستحق جائزتهم التهكمية على تعصب كتاباته ضد المسلمين ودينهم، فأرجو من القارئ أن يكون على ذكر مما قاله الكاتب عن توينبى هذا وانتقاده للإسلام، إذ ورد عرضا أثناء هذه الإشارة أنه مهموم بحقوق النساء. وهنا أحب أن تكون لى وقفة قصيرة، إذ كثيرا ما نسمع الغربيين وأذيالهم بين ظَهْرانَيْنا يبدون مشاعر العطف الكاذبة تجاه المرأة المسلمة متهمين الإسلام بأنه يحقّر من شأن النساء. وهو أمر خاطئ تماما، والعكس هو الصحيح، إذ الكتاب المقدس هو الذى يقلل من شأن المرأة ويعزو إليها كل مصيبة ويجعلها السبب فى الكارثة الأصلية التى أهبطت البشرية من السماء إلى الأرض على ما هو

معروف لكل من قرأ ذلك الكتاب بعهديه القديم والجديد . أما الإسلام فإنه يحمّل تلك المسؤولية للطرفين جميعا ، بل إنه ليَذْكُر آدم وحده عند الإشارة إلى العصيان الذى أدى إلى نزوله هو وامرأته الأرض: "فعَصَى آدمُ ربَّه وغَوَى" ، وإن كنت أفهم رغم ذلك من إيراد اسم "آدم" هنا أن المقصود هم البشر جميعا ، فـ"آدم" فى الآية يعنى "الإنسان" ذكرا وأنثى، أو آدم وحواء معا على اختلاف "الآدَمين" كلهم و"الحَوّاءات" كلهن منذ بدء الخليقة إلى يوم الميعاد .

وإنى لا أدرى كيف يجرؤ عاقل غير موتور على قذف الإسلام بأنه يعادى القوارير، إذ الإسلام هو الدين الذى أبدى من ضروب العطف على المرأة والتألم لحالها والعمل بكل سبيل لمساواتها بالرجل بل وتفضيلها أحيانا عليه ما لا يوجد له نظير بين الأديان الأخرى. لقد جعل تربية الرجل ابنته وتزويجه إياها بابا مشرعا إلى الجنة، وجعل حقها فى اختيار شريك حياتها أو رفضه حقا مقدسا لا جدال فيه، وقدم الأم على الأب فى كل مناسبة، وأوصى بالنساء دائما خيرا، ودعا إلى الرفق بهن والصبر على ما قد يبدر من بعضهن من حماقات أو يبدو فيهن من عيوب، وخص المرأة بنصيب فى الميراث خالص لها بخلاف نصيب الرجل الذى ألزمه فيه بعدد من الواجبات كما نعرف جميعا ، وأسقط عنها الصلاة والصيام فى فترات الحيض والنفاس، وإن لزمها أن تعيد الصوم (الصوم فقط) بعد تطهرها ، وأعفى المرأة الذمّيّة من الجزية، وأوجب على الزوج المسلم احترام حقوق امرأته الكتابيّة تمام الاحترام

وعدم إلزامها بما لا تلتزم به فى دينها ما لم يكن أمرا متعلقا بالفضائل الإنسانية العامة التى لا يختص بها دين دون دين. لكنْ صحيح أيضا أنه أعطى الرجل عليها درجة هى درجة القوامة لقاء قدرته على ضبط الأمور الأسرية على نحو أفضل، وكذلك لقاء الواجبات المالية والأخلاقية التى كلفه بها دونها.

ويتحدث الكاتب عن قانون مُزْمَع إصدارُه لحماية المسلمين وغيرهم من أى اعتداء على دينهم باللغة أو بالصورة أو ما إلى ذلك، فيظهر فى كلامه أنه ضد هذا القانون بحجة أن المسلمين سوف يستخدمونه فى منع أى شخص من انتقاد دينهم ومصادرة أى عمل أدبى أو فنى يقوم بهذا. والغريب أنه يعترف بأن اليهود والسيخ يتمتعون مِنْ قِبَلُ بحماية قانون كهذا، ولا أدرى لماذا يصر على استبعاد المسلمين من المعاملة بالمثل. ومرة أخرى نتساءل: أعلى رأس اليهود والسيخ ريشة ليست على رؤوس المسلمين؟ بسيطة! نشترى لهم ريشة بل ريشا يضعونه على رؤوسهم وبذلك نكون خالصين، ولا أحد أحسن من أحد، فكلنا أولاد حواء وآدم، وكلنا أولاد تسعة! أليس كذلك؟

ثم إن هناك قانونا يمنع أى باحث أو عالم من التفتيش فيما يسمى بـ"الهولوكوست" النازى للتأكد من حقيقته أولاً، ثم من أعداد المقتولين من اليهود بهذه الطريقة ثانيًا. ويا ويل من لم يلتزم ويَلُذ بأهداب الأدب، بل يطرح الموضوع على بساط البحث ويصل منه إلى رؤية جديدة أو رأى مخالف لما يقوله اليهود، إذ ليس له فى تلك الحالة إلا السجن والتغريم

الذى يقصم الظهر ! فأين كاتبنا من ذلك؟ إنه يبدى خوفا شديدا من أن يستغل المسلمون القانون المزمع لمصادرة كتاب سلمان رشدى: " The Satanic Verses" ! أويعرف القراء ماذا كتب سلمان رشدى فى روايته البائسة هذه؟ لن أتعرض لها هنا من الناحية الفنية، وعلى من يريد أن يعرف رأيى فى مستواها الفنى وفى بنائها ولغتها، وفى مضمونها كذلك، بالتفصيل الشديد فيمكنه الرجوع إلى كتابى: "ماذا بعد إعلان سلمان رشدى توبته؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية"، بل كل ما أريد الإشارة إليه هو أن الروائى السافل قد أطلق لنفسه العنان فوصف إبراهيم الخليل بـ"ابن الحرام"، وسخر من الله وصوّره صورا يزعج ضمير كل مؤمن، ثم كأنه قد وُصّىَ بالمسلمين توصية خاصة فعمل كل ما بوسعه وما فوق وسعه فى إهانة النبى وزوجاته، حتى لقد اختلق منظرا يجمع سيدنا وسيده وسيد آبائه وأمهاته أجمعين أبصعين أكتعين محمدا عليه الصلاة والسلام وهندا بنت عتبة زوجة أبى سفيان فى الفراش وهى تطعمه قطع الشمّام وتعبث بيدها فى صدره. كما اصطنع ماخورا كبيرا اسمه "الحجاب" ("الحجاب": لاحظ!) يضم تسع مومسات بأسماء أمهات المؤمنين، ولم يُعْفِ من ذلك حتى السيدة زينب بنت خزيمة، التى كانت قد ماتت فى حياة الرسول، وذلك بغية إشباع المزاج الشاذ عند غير الأسوياء ممن يتلذذون بمضاجعة الموتى. لعنة الله على كل أدب (أو قل: "قلة أدب") من هذا العيار المنحط، ولعنة الله على كل سافل يدافع عن هذا الإجرام.

والمضحك فى هذا السياق أن الكاتب يفرق بين لون البشرة والدين قائلا إن الإنسان لا يختار لون بشرته، ومن ثم فلا مانع عنده من تجريم التهكم على لون أى شخص، بخلاف الدين الذى يؤكد أنه اختيار الإنسان، ولا مانع إذن من التهكم عليه. ولكن ماذا هو قائل لو رُدَّ عليه بأن أشد ما يؤلم مخلوقا ما أن تعيب اختياره الشخصى لأنك بهذا إنما تطعنه فى عقله وذوقه وضميره؟ وبهذه المناسبة هل أستطيع أن أسأله السؤال التالى: ترى أبإمكانك التهكم على دين اليهود؟ بل أترضى بذلك أصلا؟ أم إن الإسلام هو الحائط المائل الذى يستند إليه بل يهدمه كل أحد دون أن يحق عليه العقاب؟ أما إن قال سفيه من السفهاء إننا لا نبالى أن يصور أحد الأدباء مثلا المسيح أو مريم عليهما السلام بصورة تسىء إليهما، فالرد عليه هو: يا أخى، أنت حر فى التفريط فى رموز دينك، أما نحن فيؤلمنا أن يتطاول مجرم على نبينا أو قرآننا، ولا نرضاه أبدا، ولا نتقبله بضمير رحب على الإطلاق. ولكل امرئ ما يحبه ويريده!

ويبدى الكاتب دهشته لما يسميه بـ"المفارقة"، المتمثلة فى أن مقاله الذى طلبت إليه صحيفة "الإندبنت" البريطانية أن يكتبه عن تُومْ بِينْ المفكر الحر ابن القرن الثامن عشر، والذى بدأه باقتباس من رواية سلمان رشدى المذكورة، قد حذفت الجريدة هذا الاقتباس منه بذريعة أنه يسىء إلى المسلمين أشد الإساءة، مما جعله يتساءل قائلا: أيعقل أن تقوم الصحيفة المذكورة بحذف جزء من مقاله عن مفكر حر معروف

كَوْمْ بِنْ خارجةً بذلك على مبادئ التفكير الحر ذاتها ؟ لكن الكاتب نسيَ أن يذكر لنا ما هى طبيعة النص الذى اقتبسه من سلمان رشدى ليبدأ به المقال؟ الواقع أنه لا بد أن يكون من النوع الذى أشرت إليه قبل قليل، وإلا فلن يغضب منه المسلمين. والسؤال هو: وما علاقة شتائم سلمان رشدى للنبى وأهله وسفالته عليهم بالتفكير الحر وتوم بين؟ أضاقت الدنيا كلها عن أن يجد فيها اقتباسا آخر يفتتح به مقاله عن ذلك الرجل؟ ولماذا لم يفكر فى أن يقتبس نصا يسىء لليهود مثلا؟ أم إن حرية الفكر لا تكون على أصولها ما لم تسىء للرسول عليه السلام بالذات دون سائر الخلق؟ ولا تتوقف سفسطة الرجل عند هذا الحد، بل يمضى فى السخرية من الليبراليين لتفرقتهم، كما يقول، بين حرية التعبير من حيث المبدأ وبينها هى نفسها فى الواقع العلمى، إذ يقولون إن علينا مراعاة المشاعر الدينية لدى الآخرين عند ممارستنا لتلك الحرية التى نقدسها مع ذلك، لكن ليس على حساب الغير، وهو ما لا يعجب الكاتب الهمام. ولْنُلاحظ مرة أخرى أن حرية التعبير التى يقصدها كاتبنا إنما هى حرية التطاول على الإسلام وأهله وحدهم، وكأن الحرية هنا قد اختُزلتْ فى إهانة المسلمين!

ولا يفوت الكاتبَ مع كل هذا أن يتحفنا بما قاله جون مورتيمر عن الاعتبارات التى ينبغى مراعاتنا لها عند التعامل مع الآخرين، إذ يشبّه الأمر بشخص يتوجب عليه المشى على أطراف أصابعه باذلا كل جهده فى عدم إزعاج من يخالفونه فى الرأى. وهو تشبيه طريف،

أعترف بذلك، إلا أن الكاتب قد نَسِىَ أنه هو أيضا سوف يستفيد من هذا المبدإ، إذ لا أظنه يرحب بمن يهينه ويتطاول عليه ويلوث سمعته، إن كانت له سمعة غير ملوثة، تحت ستار حرية التعبير. ومرة أخرى، كنت أود لو جرّب الكاتب الشجاع أن يمارس حريته التى تأكله على هذا النحو فى التطاول على اليهود أو دينهم كى نصدق أنه فعلا حريص إلى تلك الدرجة على حرية التعبير! أما قوله إن العيش فى مجتمع متعدد الثقافات يقتضى أن يقول كل منا ما عنده بغض النظر عن استياء الآخرين مما نقول أو لا، فإننى لا أستطيع مشاطرته ذلك الرأى، وإلا تحول المجتمع ساعتئذ إلى بيمارستان أو إلى ساحة قتال. صحيح أن تلاقح الأفكار واجب ثقافى وحياتى، بيد أن تلاقح الأفكار شىء، والتطاول على الآخرين (التطاول عليهم لا مناقشة أفكارهم وعقائدهم) شىء آخر. إنه يزعم أن المجتمعات المتعددة الثقافات فى العصر الحديث تبذل كل جهدها لوأد الحوار والمناظرات بين الجماعات المختلفة، وهو زعم غير صحيح، إذ المقصود هو عدم إهانة الآخرين بذريعة ممارستك لحرية التعبير، ودون أن يكون أولئك الآخرون قد استفزوك بشىء. أما إن كان كلامك الشديد فيهم ردا على إهانة فَرَطَتْ من قبل منهم، فتلك حكاية أخرى، فالقانون الأخلاقى يعطيك الحق حينئذ فى شفاء نفسك إن أردتَ بمعاقبتهم بذات الطريقة التى أهانوك بها.

وفى نهاية المطاف أجد من المناسب بل من الضرورى أن أقتبس التقريرين التاليين اللذين نشرتهما جريدة "الأهرام" وجريدة "المصريون"

الضوئية المصرية: فأما "الأهرام" فقد نشرت تقريرها فى الصفحة الأولى من عدد الثلاثاء (الموافق ١٩/ ١٢/ ٢٠٠٦م) تحت عنوان "أوروبا تعترف بالتمييز ضد المسلمين"، وهو ينسف كل مزاعم الكاتب ومداوراته المكشوفة، إذ لا يمكن القول أبدا هذه المرة إن كاتبى التقرير فى الاتحاد الأوربى يجاملون المسلمين. ذلك أنه ليس هناك انتخابات يستطيع كاتبنا تعليق شماعة افتراءاته عليها بقوله إن أولئك الكتاب ينافقون المسلمين كى ينتخبوهم، فالمسلمون لا تصل أيديهم بطبيعة الحال إلى الاتحاد الأوربى. ثم لو كان الاتحاد الأوربى يعمل حسابا للمسلمين لما تعاونت أية دولة من دول ذلك الاتحاد مع أمريكا فى العدوان على بلاد المسلمين، وهو ما يكذبه الواقع أيما تكذيب. كما أن استطلاعات الرأى التى استند إليها كاتبو التقرير لم تقتصر على بريطانيا، بل شملت عددا كبيرا من البلاد الأوربية. وليس من المعقول أن يكون هناك تدليس فى كل تلك البلاد. ولصالح من؟ لصالح أقلية مهمشة لا تملك لنفسها، فضلا عن أن تملك لأهل المجتمعات التى تعيش فيها، شيئا! يقول التقرير: "في أول دراسة من نوعها تغطي المسلمين في شتى أنحاء أوروبا حذر الاتحاد الأوروبي من أن مسلمي أوروبا يتعرضون لتمييز مستوطن في التعليم والإسكان والوظائف يمكن أن يعزلهم عن التيار السائد في البلاد. وأشار إلي أن الخوف من الإسلام (إسلاموفوبيا) الناتج عن الميل المتزايد للربط بين المسلمين والأعمال الإرهابية التي يقوم بها قلة يزيد من الاتجاه إلي معاداة الأجانب ليذكيَ التمييز في الكثير من نواحي الحياة.

وعرض التقرير الذي أجراه المركز الأوروبي لمراقبة التمييز ومعاداة الأجانب لقاءات مع شبان مسلمين تحدثوا عن تهميشهم داخل المجتمعات التي وُلدوا بها . وسرد التقرير في ١١٥ صفحة تحت عنوان "المسلمون في الاتحاد الأوروبي: التمييز والإسلاموفوبيا" عشرات من استطلاعات الرأي والدراسات في العديد من الدول الأوروبية. وجاء فيه أن الكثير من الشبان المسلمين يعانون القيود المفروضة على زواجهم، وأيضا مشكلات متعلقة بالتقدم الاجتماعي وتشيع بينهم مشاعر اليأس والإحباط. وحث التقرير الساسة الأوروبيين على تطبيق قواعدَ لمناهضة التمييز، وتدريب الشرطة على التعامل مع نوعيات مختلفة، وضمان الاندماج العنصري والطائفي في الفصول المدرسية، وتشجيع وسائل الإعلام علي التغطية المتوازنة لتفادي جعل المسلمين يشعرون بـ"وصمة عار".

وفي غضون ذلك افتُتِحتْ أمس في برلين أوبرا "إيدومينو" لموتسارت وسط مقاطعة القيادات الإسلامية العرض الذي كان قد أثار جدلا حادا حيث يظهر في أحد مشاهدها تماثيل برؤوس مقطوعة لأنبياء منهم المسيح والرسول محمد صلي الله عليه وسلم، وتم منع عرضها من قبل في سبتمبر الماضي خشية اندلاع أعمال احتجاجية من جانب المسلمين".

ويبقى تقرير "المصريون"، وقد نشرتُه في عدد السبت ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٦م، وعنوانه: "نائب جمهوري: وصول مسلم للكونجرس الأمريكي

يهدد قيم أمريكا !"، وهذا نصه: " اشتد الجدل في الولايات المتحدة الأمريكية على تصريحات النائب الجمهوري فيرجيل جود بشأن وصول نائب مسلم إلى مجلس النواب، معتبرًا أن هذا من شأنه أن "يهدد القيم والمعتقدات التقليدية في الولايات المتحدة" . وأعرب عن امتعاضه إزاء وصول المسلم كيث إليسون إلى مجلس النواب. ونقلت مصادر إعلامية عن فيرجيل قوله إن "النائب المسلم عن ولاية مينيسوتا انتخبه ناخبو دائرته، وإذا لم يستدرك المواطنون الأمريكيون الوضع ولا يؤيدون موقف فيرجيل جود حول الهجرة سيزداد عدد المسلمين المنتخبين الذين سيطالبون باستخدام القرآن خلال مراسم أداء اليمين"، وفق شبكة "الإسلام اليوم" .

وإثر نشر هذه الرسالة طالبت منظمة مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية "كير" جود بالاعتذار. وقال كوري سايلور المسؤول في المنظمة إن "ملاحظات جود المعادية للإسلام تبعث برسالة عدم تسامح لا تليق بأي عضو منتخَب" . وأشار المتحدث باسم جود إلى أن النائب لا ينوي تقديم اعتذار، وأنه يتحمل بالكامل مسؤولية ما كتب. وجدير بالذكر أن إليسون أمريكي أسود أتى جدوده إلى الولايات المتحدة عام ١٧٤٢ . وكان دنيس بريجير المعلق الإذاعي قد سبق أن طلب من كيث إليسون أداء اليمين على الإنجيل، وليس على القرآن . وقال بريجير: "أيها السيد إليسون، إن أمريكا وليس حضرتكم، من يقرر على أي كتاب

مقدس يؤدي المنتخبون اليمين"، معتبرًا أن القسم على القرآن سيحول دون تسلمه مهامه كنائب".

Islamofascism

(brainyencyclopedia.com)

"Islamofascism" is a term used to describe the ideologies and tactics of certain modern Islamist movements and states that they allegedly have fascist, neofascist, or totalitarian aspects. Groups sometimes characterized as "Islamofascist" include Al-Qaeda, the current Iranian government, the Taliban, The Muslim Brotherhood, Hamas, and Hezbollah. Opponents of the term "Islamofascism" argue that it is a pejorative political epithet which is offensive and inaccurate

Application

Some writers have used "Islamofascism" to refer specifically to the The Muslim Brotherhood and similar movements in Sunni Islam inspired by the writings of Sayyid Qutb, while others have applied it to all highly politicized strains of Islam, including Shi'a radicalism as practised in Iran.

While several modern political and militant organizations describe themselves as "Islamist", none refer to themselves as "fascist." Some view the term as an

historically inaccurate metaphor. The term is generally not used to describe historic fascist organizations that had Muslim members. A few scholars have cautiously used the term fascism to discuss certain forms of militiant Islamic fundamentalism. See: Neofascism and religion.

A more common and less loaded term for politicized strains of Islam that seek to place governments in Muslim countries under the guidance of Sharia law is Islamist. Islamism is a very broad political category used to describe mainstream political movements such as Turkey's Justice and Development Party, which do not seek to replace secular constitutions. However, Islamism has nothing to do with corporatism, an important component of "classic" fascist governments in Italy and Germany. If anything the islamist idea of Ummah could be compared to the german facist idea of Volksgemeinschaft.

Origins

The origins of the term are unclear, but appear to date back to an article, "Construing Islam as a language", by Malise Ruthven that appeared on

September 8, 1990 in The Independent, where he wrote:

Nevertheless there is what might be called a political problem affecting the Muslim world. In contrast to the heirs of some other non-Western traditions, including Hinduism, Shintoism and Buddhism, Islamic societies seem to have found it particularly hard to institutionalise divergences politically: authoritarian government, not to say Islamo-fascism, is the rule rather than the exception from Morocco to Pakistan.

Ruthven is here talking about governments in the Muslim world, rather than Islamist groups. There can be seen an evolution of the term from a description of authoritarian governments, such as those in Pakistan and Saudi Arabia, into an epithet applied to describe Islamic enemies.

For a discussion on related issues prior to the end of World War Two, see Amin al-Husayni.

The Guardian attributes the term to an article by Muslim scholar Khalid Duran in the Washington Times, where he used it to describe the push by some Islamist clerics

to "impose religious orthodoxy on the state and the citizenry".

British journalist Christopher Hitchens used the term "Islamic fascism" or "theocratic fascism" to describe the fatwa declared on February 14, 1989 by Ayatollah Khomeini against Salman Rushdie over The Satanic Verses, an event that was pivotal in shaping the attitude toward Islamism of Hitchens and several other prominent journalists on the left. Hitchens also used the term "fascism with an Islamic face" in The Nation after the 9/11 attacks, when the phrase spread to the blogosphere, shortened to "Islamofascism." On October 6, 2005 President George W Bush used it in a speech to the National Endowment for Democracy.

Radio talk show host Michael Savage has used the term "Islamofascism" frequently on his program. The context suggests the invocation of Islam to justify fascist-like activities.

In his 2004 book Power, Terror, Peace and War, Walter Russell Mead invoked a different but related term, which he calls "Arabian Fascism", to describe both

secular and Islamic "enemies" of America in the Middle East.

Examples of use in public discourse

"The bombers of Manhattan represent fascism with an Islamic face, and there's no point in any euphemism about it. What they abominate about "the West," to put it in a phrase, is not what Western liberals don't like and can't defend about their own system, but what they do like about it and must defend: its emancipated women, its scientific inquiry, its separation of religion from the state." — Christopher Hitchens in Against Rationalisation, The Nation 2001.

"What we have to understand is ... this is not really a war against terrorism, this is not really a war against al Qaeda, this is a war against movements and ideologies that are jihadist, that are Islamofascists, that aim to destroy the Western world." Clifford May, president of the Foundation for the Defense of Democracies.

"[Islamic terrorist] attacks serve a clear and focused ideology, a set of beliefs and goals that are evil, but not insane. Some call this evil Islamic radicalism; others, militant Jihadism; still others, Islamo-fascism. Whatever it's called, this ideology

is very different from the religion of Islam. This form of radicalism exploits Islam to serve a violent, political vision: the establishment, by terrorism and subversion and insurgency, of a totalitarian empire that denies all political and religious freedom." George W Bush, President of the United States speaking before the National Endowment for Democracy, October 6, 2005

"Far too many people on the Left are inclined to make excuses for Islamic fundamentalism. They accept its misogyny so long as it doesn't target Western women. They accept its fascism so long as it is anti-American fascism. We now have a Stop the War coalition led by Islamic fascists and Marxist-Leninists, and much of the Left is silent about it. Acknowledging the horrors of Islamic fundamentalism would sully their consciences, which they want to keep clean for the battle against America ... Much of the Stop the War coalition now actually supports a fascist resistance movement and ignores their Iraqi comrades entirely. You have to look back to the Hitler-Stalin pact for a historical parallel. The concept of

fascism is being lost. It's something you hear about on the history channels. But Islamic fascism is still fascism... Islamofascism has been ripping through the Arab world, often supported by America, and it should be the Left's worst nightmare. It's everything the Left has resisted since the French revolution. To equivocate in the face of it would be an absolute abdication of intellectual responsibility... " —Nick Cohen, The Observer.

Criticism of the use of the term

Some critics view it as an oxymoron and a rhetorical device or propaganda. Juan Cole, professor of modern Middle East and South Asian history at the University of Michigan, argues that the term "Islamofascism" is offensive and tantamount to hate speech, because it is a desecration that is profoundly insulting to Muslims,

"It is hard to see the difference between the bigotry of anti-Semitism as an evil and the bigotry that [Michael] Medved displays toward Islam. It is more offensive than I can say for him to use the word "Islamo-fascist." Islam is a sacred term to

1.3 billion people in the world. It enshrines their highest ideals. To combine it with the word "fascist" in one phrase is a desecration and a form of hate speech. Are there Muslims who are fascists? Sure. But there is no Islamic fascism, since "Islam" has to do with the highest ideals of the religion. In the same way, there have been lots of Christian fascists, but to speak of Christo-Fascism is just offensive."

Others argue that grouping disparate ideologies into one single idea of "Islamofascism" may lead to an oversimplification of the root causes of terrorism.

"The idea that there is some kind of autonomous "Islamofascism" that can be crushed, or that the west may defend itself against the terrorists who threaten it by cultivating that eagerness to kill militant Muslims which Hitchens urges upon us, is a dangerous delusion. The symptoms that have led some to apply the label of "Islamofascism" are not reasons to forget root causes. They are reasons for us to examine even more carefully what those root causes actually are." He adds "'Saddam, Arafat and the Saudis hate the

Jews and want to see them destroyed' . . . or so says the right-wing writer Andrew Sullivan. And he has a point. Does the western left really grasp the extent of anti-Semitism in the Middle East? But does the right grasp the role of Europeans in creating such hatred?" —Richard Webster, author of A Brief History of Blasphemy: liberalism, censorship and 'The Satanic Verses' writing in the New Statesman.

Others argue that movements characterized as "Islamofascist" are dissimilar to fascist movements of the past. According to Roxanne Euben, a professor of political science at Wellesley College,

"Fascism is nationalistic and Islamicism is hostile to nationalism. Fundamentalism is a transnational movement that is appealing to believers of all nations and races across national boundaries. There is no idea of racial purity as in Nazism. Islamicists have very little idea of the state. It is a religious movement, while Fascism in Europe was a secular movement. So if it's not what we really think of as nationalism, and if it's not really like what we think of as Fascist, why use these terms?"

The use of the term "Islamofascist" by proponents of the War on Terror has prompted some critics to argue that the term is a typical example of wartime propaganda.

"Islamofascism is nothing but an empty propaganda term. And wartime propaganda is usually, if not always, crafted to produce hysteria, the destruction of any sense of proportion. Such words, undefined and unmeasured, are used by people more interested in making us lose our heads than in keeping their own." — Joseph Sobran, paleoconservative Catholic commentator.

Islamofascism: الفاشية الإسلامية

Ideologies: معتقدات

Tactics: مخططات

Allegedly: حسبما يقال

totalitarian aspects: جوانب شمولية

characterized as...: تم تصنيفها على أنها . . .

the current Iranian government: الحكومة الإيرانية الحالية

The Muslim Brotherhood: جماعة الإخوان المسلمين

Opponents of the term "Islamofascism" argue that...: ويرد المعترضون على مصطلح "الفاشية الإسلامية" بأن . . .

a pejorative political epithet: كلامٌ سياسيٌ مهين

offensive and inaccurate: مسيء وغير دقيق

Application: استعمال/ تطبيق

to refer specifically to...: يشير على وجه خاص إلى . . .

highly politicized strains of Islam: اتجاهات إسلامية مغرقة فى التسييس

Shi'a radicalism: التطرف الشيعى

militant organizations: التنظيمات الجهادية
Some view the term as an historically inaccurate metaphor: بعض (الكتاب) ينظرون إلى المصطلح على أنه مجاز غير دقيق من الناحية التاريخية
Cautiously: فى حذر
militiant Islamic fundamentalism: الأصولية الإسلامية الجهادية
A less loaded term: مصطلح أقل إساءة
to seek to: يسعى إلى/ يعمل على
under the guidance of Sharia law: يخضع لحكم الشريعة
a very broad political category: جماعة سياسية شديدة الاتساع
Turkey's Justice and Development Party: حزب العدالة والتنمية التركى
Islamism has nothing to do with corporatism: الإسلاموية لا علاقة لها بالحركة النقابية
The origins of the term appear to date back to...: يعود تاريخ أصول هذا المصطلح إلى . . .
a political problem affecting the Muslim world: مشكلة سياسية تؤثر فى العالم الإسلامى
In contrast to: على العكس من

Heirs: الوارثون

to institutionalize: يجعل (من الأمر) نظامًا مؤسَّسيًا

divergences: الاختلافات

authoritarian government: الحكومة المتسلطة

the rule rather than the exception: القاعدة وليس الاستثناء

related issues: القضايا المتصلة (بالموضوع)

prior to: قبل

To attribute: ينسب

Clerics: رجال الدين

the citizenry: المواطنون

theocratic fascism: الفاشية الدينية

The Satanic Verses: الآيات الشيطانية

Pivotal: محوريّ/ أساسيّ

prominent journalists: صحفيون بارزون

the blogosphere: عالم المدوَّنات

shortened to: اُختُصر إلى

Radio talk show host Michael Savage: مايكل سافدج مقدم برنامج "راديو توك" الإذاعى

The context suggests the invocation of Islam to justify fascist-like activities: ويوحى السياق باستخدام الإسلام لتسويغ الإجراءات الفاشية

a different but related term: مصطلح مختلف، وإن كانت له صلة (بالمصطلح الأوّل)

secular: علمانى

Examples of use in public discourse: شواهد على استعمال (المصطلح) فى الأحاديث العامة

Euphemism: تأنق لفظى

To abominate: يبغض

Liberals: الحرّيون

scientific inquiry: التحقيق العلمي

Rationalisation: عَقلَنة

a set of beliefs and goals: نظام من العقائد والغايات

To exploit: يستغل

Vision: رؤية

subversion and insurgency: التخريب والتمرد

totalitarian: شمولى

Islamic fundamentalism: الأصولية الإسلامية

misogyny: كراهية النساء

so long as: ما دام

The Left: اليساريون

To sully: يلوث

the Stop the War coalition: التحالف الداعى لإيقاف الحرب

To equivocate in the face of it: يتذبذب فى مواجهته

an oxymoron: إرداف خُلفىّ (اجتماع لفظين متناقضين مثل "متشائم سعيد"، أو "كوميديا سوداء")

a rhetorical device: أداة بلاغية

tantamount to: مساوٍ لـ

hate speech: لغة كراهية

desecration: النيل من قداسة الشىء أو الشخص/ إهانة

bigotry: التعصب

anti-Semitism: معاداة السامية

To display: يُبدى

a sacred term: مصطلح له قداسته

To enshrine: يغلف/ يتضمن

their highest ideals: مثلهم العليا

To combine it with...: يزاوج بينها وبين...

Others argue that...: ... ويرد آخرون على ذلك بأن

Grouping: التصنيف فى جماعات

disparate ideologies: العقائد المختلفة

oversimplification: التبسيط المخل

the root causes of terrorism: أسباب الإرهاب الجذرية

autonomous: مستقل بذاته

cultivating that eagerness to: ... تغذية الرغبة فى

a dangerous delusion: خداعٌ خطر

symptoms: أعراض

the label of "Islamofascism": لافتة "الفاشية الإسلامية"

the right-wing writer: الكاتب اليمينى الاتجاه

To grasp: يدرك معنى

the extent: البعد/ المدى

Does the western left really grasp the extent of anti-Semitism in the Middle East?: ترى هل يدرك اليسار الأوربى أبعاد معاداة السامية فى الشرق الأوسط؟

Blasphemy: التجديف/ إهانة المقدسات

characterized as…: صُنِّفتْ على أنها . . .

dissimilar to: مختلفة عن

According to Roxanne Euben: طبقا لما قاله روكسان يوبن

hostile to nationalism: معاد للقومية

appealing to believers: يرضى به المؤمنون

racial purity: النقاء العنصرى

The use of the term "Islamofascist" by proponents of the War on Terror has prompted some critics to argue that the term is a typical example of wartime propaganda: دفع استعمالُ مصطلح "الفاشية الإسلامية" من قبَل المعضّدين للحرب على الإرهاب بعضَ النقاد إلى الرد بأن هذا المصطلح يمثل الأسلوب التقليدى المتبع فى الدعاية الحربية

crafted to produce hysteria: خُطّط له بحيث يدفع الناس إلى الهستيريا

proportion: تناسب

undefined and unmeasured: متروك دون تعريف أو تحديد

people more interested in making us lose our heads than in keeping their own: مهتمون بأن نفقد عقولنا نحن لا بأن يحتفظوا بعقولهم هم

paleoconservative: من المحافظين القدماء

الفاشية الإسلامية

يشكل هذا المقال مادة من المواد التى تتضمنها موسوعة "brainyencyclopedia.com"، وفيه يتناول كاتبه مصطلح "الفاشية الإسلامية" كما جاء على أقلام بعض المعلقين والصحفيين والكتاب الغربيين فى الفترة الأخيرة ما بين مؤكد لوجود هذه الفاشية ومنكر لها، عارضاً للرأيين جميعا ومعطيا الفرصة لأصحاب كل من الرأيين كى يوضحوا وجهة نظرهم، وإن بدا لى وكأنه قد أبرز الرأى المتهم للجماعات الإسلامية السياسية بـ"الفاشية" والمحبذ لاستخدام هذا المصطلح للدلالة عليها أكثر من الرأى الآخر. ومع هذا فيُشكر له أنه حاول أن يقف على الحياد، أو على الأقل: حاول أن يبدو كذلك، وهو ما تستلزمه طبيعة المواد التى تتضمنها دوائر المعارف المحترمة، أو التى تريد أن تكون محترمة، أو على الأقل: التى تتظاهر بأنها محترمة. ومن هنا فليس لى كلام مع كاتب المقال، بل سيكون كلامى مع الذين يستخدمون مصطلح "الفاشية الإسلامية".

وأول شىء ينبغى أن نفعله هو أن نحاول معرفة معنى "الفاشية".

ومعناها، كما جاء فى موسوعة "الويكيبيديا" المشباكية حسب تعريف روبرت باكستون (Robert O. Paxton) الأستاذ السابق بجامعة كولومبيا الأمريكية، هو: "Fascism may be defined as

a form of political behavior" marked by obsessive preoccupation with community decline, humiliation, or victim-hood and by compensatory cults of unity, energy, and purity, in which a mass-based party of committed nationalist militants, working in uneasy but effective collaboration with traditional elites, abandons democratic liberties and pursues with redemptive violence and without ethical or legal restraints goals of internal cleansing and external expansion." Paxton further defines fascism's essence as: "1. a sense of overwhelming crisis beyond reach of traditional solutions; 2. belief that one's group is the victim, justifying any action without legal or moral limits; 3. need for authority by a natural leader above the law, relying on the superiority of his instincts; 4. right of the chosen people to dominate others without legal or moral restraint; 5. fear of foreign `contamination."

ويمضي كاتب المادة قائلا:

"Fascism is associated by many scholars with one or more of the following characteristics: a very high degree of nationalism, economic corporatism, a

powerful, dictatorial leader who portrays the nation, state or collective as superior to the individuals or groups composing it"

ويلاحظ فى هذا التعرف أنه يبرز العنصر الوطنى أيما إبراز، وهو ما تفتقده الحركات الإسلامية السياسية تماما، إذ إنها جميعا لا ترى إلا الإسلام بكل أممه وأجناسه ولا تفكر فى القومية، فضلا عن الوطنية. فالإسلام قد جاء للقضاء على العصبيات من كل لون، وعلى رأسها العصبيات الوطنية والقومية، لأنه أكبر وأقوى من كل العصبيات. ومن ثم فلا مكان فى تفكيرها السياسى للقائد الذى يجسد الدولة أو الأمة، ويتمتع بسلطات استبدادية واسعة، ويعتمد على حدسه وإلهاماته فى الحكم على الأمور، ولا يحتاج إلى انتخابات أو استفتاءات شعبية، ولا يخضع لقانون أو حساب. وعلى الناحية الأخرى لا وجود فى تفكير تلك الجماعات لمفهوم النقاء العنصرى، فالناس جميعا فى الإسلام، ومن ثم فى تفكير تلك الجماعات، سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى إلا بالتقوى والعمل الصالح. كما أن العمل النقابى لا مكان له فى نظام تلك الجماعات طبقا لما هو معروف من كتاباتهم ونشاطاتهم. ثم إن تلك الحركات لا تعتمد بالضرورة على حزب ذى قاعدة جماهيرية. كذلك فكثير من تلك الجماعات يحمل على الاستبداد السائد فى العالم الإسلامى، ويدعو إلى إعمال الشورى، وهى شىء يختلف عن الاستبداد اختلافا تاما كما نعلم جميعا.

من كل هذا فإن مصطلح "الفاشية" لا يتسق مع فكر تلك الجماعات، وبخاصة أن المحرك الأساسى لها هو المُثُل والأهداف الدينية والأخلاقية التى تتغيّا تطبيقها فى دنيا الواقع مسترشدة دائما بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وتفسيرها لا بالفكر البشرى ابتداءً وانتهاءً، فضلا عن أن يكون نسقها الفكرىّ والقيمىّ مزيجا مأخوذا من مصادر بشرية متنوعة كما هو الحال فى الفاشية. ثم إن الفرد فى الجماعات الإسلامية، على العكس من الفاشية أيضا، له وجوده المستقل بجانب وجود الدولة، وليست الدولة كل شىء. وبالمثل لا تضع تلك الجماعات، فى نسقها الفكرى، الحرب والانتصار كهدف فى حد ذاته كما هو الوضع عند الفاشيين، بل تعمل على إقامة أمة فاضلة تعبد الله وتطبق أوامره وتتجنب نواهيه وتقيم المجتمع المسلم النظيف. . . وهكذا إلى آخر ما ورد فى المادة المذكورة فى "الويكيبيديا" من سمات الفاشية مما لا يتسق مع أى فكر معروف لتلك الجماعات.

ويشير كاتب المادة إلى أن المصطلح قد اتسع بمرور الأيام وأضحى غائم المدلول، وتحول من مجرد مصطلح سياسى إلى شتيمة لتحقير الخصم مثلما هو الأمر هنا، إذ يطلق عدد من الكتاب الغربيين هذا الاسم (كما لاحظ بعض من استشهد بهم كاتبنا) على الجماعات الإسلامية بغية تشويه صورتها وتضليل القارئ عن حقيقة الأمر الذى يتلخص فى أن تلك الجماعات إنما تحاول، بغض النظر عن صواب خططها أو خطئها، إنقاذ أمتها من المصير البشع الذى يريده الغرب لها

ويدفعها نحوه فتجرى الأمة إليه دون أن تدرى، أو على الأقل: دون أن تقدر على العدول عنه لعجز فى الوسائل المتاحة لها أو لسقوط همتها وبلادة حركتها ومشاعرها . ولقد وصل الأمر ببعض من يستنكرون إطلاق هذا المصطلح على الجماعات الإسلامية السياسية أن وصفوه بأنه ضرب من الحرب الدعائية التى يلجأ إليها الخصوم أثناء الحروب.

وأرى أن ملاحظة هؤلاء الكتاب الذين وصفوا اتهام الجماعات الإسلامية السياسية بالفاشية بأنه من قبيل الحرب الدعائية على الخصوم هى ملاحظة صحيحة مائة فى المائة، إذ إن خصوم المسلمين يريدون منهم أن يظلوا فى نومهم وغفلتهم وشللهم حتى يكونوا لقمة سائغة لهم. إن دولهم وحكوماتهم تنكل بالمسلمين منذ عقود وعقود قد تصل فى بعض الأحيان إلى قرون، وتستنزف ثروات بلادهم وتهينهم وتدمر ماضيهم وحاضرهم وتعمل على تدمير مستقبلهم أيضا، ومع ذلك كله يأنس هؤلاء الشياطين فى أنفسهم الجرأة والقدرة، لأنهم خبيثون ومنافقون ومجرمون من الطراز الأول، على اتهام المسلمين بالإرهاب والفاشية، مع أن أحدا لم يصطل بنار الفاشية كما اصطلى بها العرب والمسلمون. لكن ما العمل، ونحن نتعامل مع قوم لا يخجلون ولا يستشعرون فى ضمائرهم تحرجا البتة من ارتكاب أى إثم أو عار وإلصاقه بالأبرياء المساكين الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم كما ينبغى ضد هذه الاتهامات الظالمة المقيتة؟ وصدق المثل القائل: "رَمَتْنى بدائها وانسلّت"!

إن للحرب فى الفكر الفاشى موضعا بارزا كما رأينا فى الاقتباس السابق من "الويكيبيديا"، فأين الحرب عند الجماعات الإسلامية ضد الدول الغربية، وهذه الجماعات لم تصل بعد إلى الحكم فى أى مكان تقريبا من العالم الإسلامى، ومن ثم فليس لها جيش ولا أسلحة يمكنها أن تشن بها هذه الحرب الموهومة المزعومة؟ وحتى طالبان، التى وصلت إلى تشكيل حكومة فى أفغانستان لبعض الوقت، لم يكن لديها القدرة على شن حرب على دولة الصراصير ذاتها، إن كان للصراصير أو يمكن أن يكون لها دولة! فكيف يقال إن تلك الجماعات هى جماعات فاشية؟ الحق أن السبب فى تلك الكذبة هو عداء تلك الجماعات لمخططات الغرب التى تهدف إلى سحق مستقبل المسلمين وحاضرهم كما سحقت ماضيهم زمنا طويلا والعمل بكل سبيل للحيلولة بينهم وبين التقدم والكرامة والاستقلال. ومن هنا هاجت آلة الحرب الدعائية فى كل مكان من أوربا وأمريكا وأى بلد آخر يوجد فيه كتّابٌ ذيولٌ لأوربا وأمريكا يأتمرون بأمرهما وينفذون سياستهما الدعائية لقاء عَرَض من الدنيا هزيل!

والواقع أن أحسن رد على هذا الكذب المفضوح هو فضحه أكثر وأكثر وتعرية ما فيه من نفاق وإجرام ووقاحة ودمغ الكذابين على خراطيم وجوههم بعلامة لا تمحى أبد الدهر من خلال الوقائع الصحيحة والإحصاءات الدقيقة حتى يعلم المضللون المخدوعون حجم ما فى تلك الدعاية من كذب جلف لا يعرف الحياء ولا اختلاج الضمير. ترى من

الذى احتل بلاد الآخر ومرغ بكرامته الأرض وسرق خيرات أرضه وهدم البيوت وقتل البشر واغتصب النساء ويتّم الأطفال؟ نحن أم هم؟ ترى من هم شذاذ الآفاق الذين لمّهم الغربيون من كل أرجاء الأرض وسرقوا وطنا كاملا وأعطوه لهم ثم استداروا لأهل الوطن المسروق جهارا نهارا فاتهموهم بالقسوة والوحشية والفاشية؟ الفلسطينيون أم الصهاينة؟ ترى من الذى عنده السلاح النووى يهدد به الآخرين ويرعبهم، بل استخدمه ضدهم فعلا؟ العرب أم أوربا وأمريكا؟ ترى من الأقوى من الفريقين، ومن ثم يستطيع الاعتداء على الآخر، بل يعتدى عليه فعلا منذ قرون؟ المسلمون أم الغربيون؟ إن المسألة واضحة تمام الوضوح، بيد أن الجبارين المنافقين من شياطين البشر عندهم من جمود الوجه ووقاحة العين ما يجعلهم يُقْدِمون على الكذب والتضليل فى أمور المفروضُ أنها لا ينتطح فيها عنزان! وقديما قال الشاعر: "يُرْضَى القتيلُ، وليس يَرْضَى القاتلُ"! فنحن القتيل، وهم القاتل المجرم البشع الإجرام! ثم يتهمون فريقا من المسلمين بأنهم فاشيون، مع أن الفاشية هى من نبت الغرب لا من نبت أرضنا ولا من زرع أيدينا! وأخيرا من الذى يحتل الآن بلاد الآخرين ويرميهم بالقنابل والصواريخ ويهدم بيوتهم ويقتحمها ويهتك عِرْض نسائهم ويعذبهم فى أقبية السجون ويجبرهم على ممارسة اللواط بعضهم مع بعض ويغتصب ثرواتهم وينقل آثارهم إلى بلاده، كل ذلك على مرأى ومسمع ومَشَمٍ من العالم أجمع؟ العراق أم الولايات المتحدة وبريطانيا ومن خلفهما الصهيونية التى تحتمى فيهما وتستغل قوتهما

وتستغلانها هما بدورهما فى تخويف العرب والمسلمين وشغلهم عن التفكير فى التنمية والتقدم والنهوض؟

إن بعض الكتاب الذين أشار إليهم صاحب المقال يزعمون أن العرب والمسلمين يكرهون أمريكا ويتآمرون عليها . وهم بهذا يقلبون الحقائق رأسا على عقب، فأمريكا هى التى تتآمر على العرب والمسلمين منذ وقت بعيد، وما أمر أمريكا ووقوفها خلف إسرائيل تدافع عنها فى المحافل الدولية وتمنع الأمم المتحدة من اتخاذ أى إجراء عقابى ضدها وتمدها بالسلاح والتعاون المخابراتى وتزجيها للاعتداء عليهم، بالذى يمكن أن يجهله جاهل . كما أن أمريكا قد هاجمت ليبيا وإيران، واحتلت العراق وأفغانستان بمعاونة البريطان وغيرهم من الأوربيين، وليس العرب ولا غير العرب هم الذين احتلوا أمريكا . أم إن هناك من يشكك فى هذا؟ بل هل يصدق عاقل أو حتى مجنون أن أحدا من العرب أو المسلمين يمكنه تهديد أمريكا، فضلا عن احتلالها والإضرار بها؟ ومع هذا فإن إحدى التعلات التى تذرعت بها أمريكا لضرب العراق مثلا والاستيلاء على أراضيه والتخطيط لنهب ثرواته هو أن العراق يهدد أمن أمريكا! ترى أهذا كلام يقوله من فى قلبه بعض حياء أو فى عقله بعض احترام للمنطق؟ العراق يشكل تهديدا ضد أمريكا؟ عشنا وشفنا! وها قد مرت أكثر من ثلاث سنوات ولم تستطع أمريكا أن تبرهن على أن ما قالته عن امتلاك العراق سلاحا نوويا يمكنه أن يهدد سلامتها وأمن مواطنيها، أو حتى سلامة قطة جرباء وأمن

أولادها، هو كلام صحيح. فما الذى حدث؟ هل انسحبت أمريكا من العراق واعتذرت له وعوضته عن كل المآسى التى أوقعتها بأهله؟ أبدا، ومع هذا تمضى أمريكا وكتابها وذيولهم فى ترديد المقولات السخيفة البائسة عن تآمر العرب والمسلمين على أمريكا وكراهيتهم لها! ترى بالله ما الذى يمكن أن يفعله الإنسان إزاء ذلك الكذب الفاجر؟

وفى هذا السياق يتحدث بعض عديمى الحياء عن انتشار معاداة السامية بين العرب والمسلمين فى المنطقة. والمقصود أننا نكره اليهود المستضعفين المساكين أصحاب الحق فى فلسطين ونريد أن نأكلهم أحياء لأننا شعوب بدائية متخلفة لا تعرف الرحمة إلى قلبها طريقا! وهم بذلك يلجأون إلى أحط ألوان الكذب والنفاق، فالعالم كله، وهم على رأسه، يعرف أن اليهود لم يكونوا من أهل هذه المنطقة يوما، اللهم إلا أعدادا قليلة جدا كانوا مختلطين بالسكان العرب والمسلمين، ثم إن الغربيين أرادوا لأغراضهم الشيطانية أن ينشئوا لليهود فى فلسطين دولة مكان دولة العرب، واتخذوا لذلك من الإجراءات وطبخوا من المؤامرات وأنزلوا بأصحاب الأرض من الفظائع والخيانات ما استطاعوا به إنشاء الدولة المذكورة، ثم لم يكتفوا بذلك بل أخذوا منذ اليوم الأول لوقوع تلك الجريمة البشعة يكذبون ويدعون علينا الادعاءات الوقحة التى لا ترعى فى الأمانة والصدق إلا ولا ذمة، وقلبوا الحق بل ذبحوه واتهموا وما زالوا يتهمون العرب والمسلمين بأنهم يريدون استئصال اليهود، رغم أن اليهود هم الذين يفعلون ذلك، وفى وضح النهار وأمام العالم كله، والعالم عاجز

عن أن يصنع شيئا، أو لا يبالى بما يراه! وبالمناسبة فنحن العرب، وفى عرف من اخترعوا مصطلح "معاداة السامية"، ساميون أيضا مثل اليهود. ومع هذا يتهموننا بمعاداة السامية، أى بمعاداة أنفسنا. أليس هذا أمرا يبعث على الغم؟ والعجيب أن الذين يعادون السامية حقا إنما هم الغربيون الذين طالما أنزلوا باليهود فى بلادهم الويلات، ثم استداروا يتظاهرون بالطيبة ورقة الفؤاد والعطف على أولئك المغلوبين على أمرهم مع العرب الوحوش، طالبين من العرب أن يكفوا عن هذه الوحشية المزعومة وأن يكونوا رحماء مع القوم المظلومين!

وحتى لو صدق الكتاب الذين يرمون الجماعات السياسية الإسلامية بالفاشية فى بعض اتهاماتهم، فهل هذا مسوغ لاستعمال مصطلح "الفاشية الإسلامية"؟ لقد رد بعض الكتاب المحايدين الذين لم يشاؤوا الانسياق مع الموجة الكاذبة بأن وجود بعض الفاشيين بين المسلمين لا يبرر إلصاق الفاشية بالإسلام كما هو الحال الآن، وإلا ففى النصارى فاشيون بكل تأكيد لا ظنا ولا تخمينا، إذ هم الذين اخترعوا الفاشية وليس أحدا آخر غيرهم، فهل يجوز إذن أن نقول: "الفاشية النصرانية" مثلما يقال: "الفاشية الإسلامية" بما يفيد أن للنصرانية صلة بذلك الاتجاه السياسى، ومن ثم يُسَاء إليها كما يُسَاء إلى الإسلام والمسلمين؟ كذلك رَدَّ هؤلاء الكتاب الذين يحترمون أنفسهم وقراءهم بأن هذه التسمية ما هى إلا وسيلة من وسائل الدعاية الحربية الكاذبة هدفها تحطيم الخصم وتشويه صورته بالباطل. ولقد ترتب على هذا،

ضمن ما ترتب، أن انشغل العرب بالدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات مضيعين بذلك وقتهم وجهودهم. وكان أحرى بهم أن يستخدموا، بدلا من أسلوب الدفاع، أسلوب الهجوم، فهم على الحق، وعدوهم على الباطل يقينا، وهذا العدو هو الذى ينبغى أن يقف موقف المدافع عن نفسه ووحشيته وكذبه وإجرامه لا هم.

لقد كان على الكتاب الغربيين الذين يبدون مخاوفهم الكاذبة المصطنعة من الجماعات الإسلامية السياسية ويعطونها حجما أكبر من حقيقتها ويضفون عليها من الخطورة ما لا أصل له فى الواقع ولا فصل، أن يتوجهوا بنقدهم إلى دولهم التى تريد أن تسوق العالم أمامها بالعصا وتعامله بالقسوة المفرطة، وبخاصة العالم العربى والإسلامى. بيد أن المشكلة فى هؤلاء الكتاب وأمثالهم أنهم لا يقصدون تحرى الحقيقة، بل همهم محاربتنا دعائيا ومعنويا حتى يتسنى لهم هزمنا فى كل مواجهة هزيمة سريعة وسهلة، إن لم تكن هزيمة مسبقة نرفع فيها الراية البيضاء قبل بدء المعركة. كذلك كان عليهم أن يخصوا المدللة الفاسدة إسرائيل بشىء من هذا النقد ولو لذرّ الرماد فى العيون، إلا أنهم يعلمون جيدا أننا الآن فى عز ضعفنا وأننا لا نستحق حتى هذه المجاملة التافهة.

وكمثال على ذلك التحيز أذكر فى هذا الصدد ما كتبه جيمى كارتر الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية بشأن كتابه الخاص بقضية فلسطين والصراع العربى الصهيونى الذى صدر هذه الأيام، إذ نقرأ فى هذه الكلمة أن اليهود ومن يناصرهم من الأمريكان لا يطيقون أن

يقول أحد كلمة قد يُشتَمّ منها شيء عن حقيقة الأوضاع. ومن هنا اتهموا الرئيس الأمريكي الأسبق بالخيانة والكذب ومعاداة السامية رغم أنه عَرّاب اتفاقية كامب ديفيد ذات الشروط المجحفة المذلة للعرب، ورغم أنه كان يوما رئيس أمريكا التي تدلل إسرائيل تدليلا لم تُدَلّله دولة من قبل على طول التاريخ الإنساني، والتي ليس على حجرها الحنون أحد سوى إسرائيل، وكذلك رغم أن كلام كارتر لا يساوي الآن بصلة، إذ إنه خارج الحكم، ومن ثم فليبل العرب كلامه هذا ويشربوا ماءه فلعله يشفي من البلغم، وهو أقصى ما يمكن أن يستفيدوه منه. وإلى القراء نص ترجمة ما قاله جيمي كارتر عن كتابه هذا تحت عنوان "جيمي كارتر يتحدث عن كتابه: اتهموني بالخيانة والكذب ومعاداة السامية" (نشرة "المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب" بتاريخ ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٦م):

"كنت قد وقعت قبل عامين عقدا مع دار سايمون وشوستر للنشر يتضمن قيامي بوضع كتاب عن الشرق الاوسط، يستند إلى ملاحظاتي الشخصية أثناء قيام مركز كارتر بمراقبة ثلاثة انتخابات جرت في فلسطين كما يستند إلى مشاوراتي مع الزعماء السياسيين الإسرائيليين وناشطي السلام في إسرائيل. في الأعوام ١٩٩٦ و٢٠٠٥ و٢٠٠٦ عندما انتُخب للرئاسة ياسر عرفات ومن بعده محمود عباس إلى جانب انتخاب أعضاء البرلمان الفلسطيني، قمنا في المركز بتغطية جميع المناطق الفلسطينية، وكانت الانتخابات تقرب من الكمال حيث لم تكد تشوبها

شائبة. وكان الإقبال على صناديق الاقتراع عاليا باستثناء القدس الشرقية حيث حالت التقييدات الإسرائيلية المشددة دون وصول أكثر من ٢ بالمئة من الناخبين المسجلين إلى الصناديق.

بين الإسرائيليين وبين دول أخرى يدور الجدل بكثافة حول القضايا الخلافية العديدة المتعلقة بموضوع فلسطين وطريق السلام الذي يمكن أن تسلكه إسرائيل. لكن مثل هذا الجدل غير موجود في الولايات المتحدة. فعلى مدى الثلاثين عاما الماضية توفر لي أن أشهد وأجرّب القيود المشددة المفروضة على أية مناقشة حرة ومتوازنة لهذه الحقائق. ويعود هذا الامتناع عن انتقاد أي من المواقف السياسية التي تتخذها الحكومة الإسرائيلية إلى الجهود الاستثنائية التي تبذلها لجنة العمل السياسي الأمريكية الإسرائيلية "أيباك" وإلى غياب الأصوات المهمة المعاكسة. إن اتخاذ المواقف المتوازنة من إسرائيل وفلسطين، أو الإشارة إلى أن على إسرائيل أن تلتزم بالقانون الدولي، أو التحدث دفاعا عن العدالة أو حقوق الإنسان الفلسطيني يكاد أن يكون انتحارا سياسيا لأعضاء الكونجرس الأمريكي، وقلة قليلة منهم فقط تتنازل لتزور المدن الفلسطينية مثل رام الله أو نابلس أو الخليل أو غزة أو حتى بيت لحم وتتحدث إلى سكانها المنكوبين.

ومما يصعب فهمه أن تمارس الصحف والمجلات الرئيسية في الولايات المتحدة وصفحات الرأي فيها مثل هذا الامتناع الذاتي المناقض للآراء الخصوصية التي يعبر عنها بقوة ملحوظة مراسلو تلك الصحف في

الأراضي المقدسة. انطلقتُ إلى وضع الكتاب بدرجة من التحفظ وبشيء من عدم التأكد من نوع الاستقبال الذي سوف يحظى به. استخدمت الخرائط والوثائق والنص المكتوب لإعطاء وصف دقيق للموقف ولبحث السبيل الوحيد الممكن إلى السلام، وهو أن يعيش الإسرائيليون والفلسطينيون جنبا إلى جنب داخل حدودهم المعترف بها دوليا. إن هذا الاختيار ينسجم مع القرارات الدولية المهمة التي لاقت القبول من قِبَل كل من الولايات المتحدة وإسرائيل، والمواقف الأمريكية الرسمية منذ عام ١٩٦٧ والاتفاقيات الموقع عليها من قِبَل الزعماء الإسرائيليين وحكوماتهم في عام ١٩٧٨ و١٩٩٣ "والتي نالوا عليها جوائز نوبل للسلام"، ومبادرة الجامعة العربية إلى عرض الاعتراف بإسرائيل عام ٢٠٠٢، وخطة "خارطة الطريق" إلى السلام التي وضعتها اللجنة الرباعية والتي قُبِلَتْ من جانب منظمة التحرير الفلسطينية ورُفِضَتْ معظم فقراتها من قِبَل اسرائيل.

إن الكتاب مكرَّس للأحداث والظروف التي تخص فلسطين، وليس إسرائيل حيث تسود الديمقراطية ويعيش المواطنون جنبا إلى جنب ويتمتعون قانونيا بالمساواة. على الرغم من أنني لم أنفق سوى أسبوع واحد في جولات الترويج للكتاب، فقد توفر لديَّ ما يكفي للحكم على ردة فعل الجمهور وأجهزة الاعلام. لقد كانت مبيعات الكتاب نشيطة، وأُجْرِيَتْ معي مقابلات شيقة على التلفزيون بضمنها الظهور في برنامج لاري كينج: "على الهواء" و"هارد بول" و"قابل الصحافة"

و"الساعة الخبرية" مع جيم ليهرير وبرنامج شارلي روز وغيرها. لكني لم أر إلا عددا قليلا من التغطيات الصحافية لكتابي في الصحف الرئيسية. ما نشر في الصحف الكبرى من مراجعة للكتاب كتبه في معظم الحالات ممثلو المنظمات اليهودية الذين لا يُحْتَمَل أن يكونوا قد زاروا الأراضي المحتلة، وكان انتقادهم الابتدائي للكتاب هو أنه معاد لإسرائيل. من جانب آخر أعلن اثنان من أعضاء الكونجرس انتقادهما للكتاب: أولهما نانسي بيلوسي، رئيسة مجلس النواب القادمة، التي أصدرت بيانا ظهر قبل صدور الكتاب جاء فيه أن "المؤلف لا يتكلم باسم الحزب الديمقراطي فيما يخص إسرائيل". وقد نعتتني بعض المراجعات التي نُشِرَتْ على موقع "أمازون" الإلكتروني بأنني "معاد للسامية"، فيما اتهم آخرون الكتاب باحتوائه على "الأكاذيب" و"التشويهات". وقد انضم إلى هؤلاء عضو سابق في مركز كارتر، في حين وصف الآن درشويتز عنوان الكتاب بأنه "غير محتشم".

لكن ردة الفعل على الكتاب كانت كاسحة على صعيد التعاطي الفعلي بعيدا عن أجهزة الاعلام. وقد قمت بتوقيع النسخ المباعة في خمسة مخازن كان في كل منها أكثر من الف مشتر. ولم أستمع خلال ذلك إلا لملاحظة سلبية واحدة قال فيها قائلها إنني يجب أن أحاكَم بتهمة الخيانة، كما وصفني أحد المتحدثين عبر الهاتف بمعاداة السامية. وكانت التجربة التي أزعجتني أكثر من غيرها هي رفض عروضي للتحدث، دون مقابل مادي، في المواقع الجامعية التي يكثر فيها عدد

الطلاب اليهود وأن أرد على الأسئلة التي يطرحها الطلاب والأساتذة. وقد لاقيت تشجيعا خاصا من عدد من اليهود بينهم بعض المواطنين البارزين وأعضاء في الكونغرس الذين شكروني بعيدا عن الأضواء لما قدمته من حقائق وأفكار جديدة. يتناول الكتاب القهر والاضطهاد غير المألوفين السائدين في الأراضي الفلسطينية المحتلة التي يقسمها نظام صارم يتطلب استصدار موافقات وأذون خاصة للانتقال من مكان إلى آخر والتي يفرض فيها العزل الحاد بين المواطنين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود في الضفة الغربية. ويجري حاليا بناء جدار حبس ضخم يتلوى كالأفعى عبر ما تبقى من فلسطين على النحو الذي يخصص المزيد من الأراضي للمستوطنين الإسرائيليين.

وهذا اضطهاد يفوق في كثير من جوانبه الاضطهاد الذي عرفه السود في جنوب أفريقيا أيام الحكم العنصري. وقد أوضحت في كتابي أن الدافع في هذه الحالة ليس العنصرية، إنما رغبة أقلية من الإسرائيليين في الاستحواذ على مناطق مختارة من فلسطين واستعمارها ثم استخدام القوة في خنق أي اعتراض يمكن أن يصدر عن المواطنين الذين شردوا. من الواضح أنني أدين كل عمل من أعمال العنف أو الارهاب ضد المدنيين الأبرياء، وقد قمت بتقديم المعلومات عن الخسائر الفادحة في الأرواح لدى الجانبين. إن الغاية النهائية لكتابي هي تقديم الحقائق حول الشرق الاوسط، وهي الحقائق التي يعتبر أغلبها غير معروف لدى الامريكيين. كما يرمي الكتاب إلى تصعيد الجدل والمساعدة في استئناف

محادثات السلام (المتوقفة منذ ست سنوات) والتي يمكن أن تقود إلى سلام دائم لكل من إسرائيل وجيرانها . ولديّ أمل آخر بأن يشكل كتابي دافعا لليهود ولغيرهم من الأمريكيين الذين يشاركونني الغاية نفسها كي يعبروا عن وجهات نظرهم علنا وبشكل جماعي ومنسّق إن امكن.
وسوف أكون مسرورا للمساعدة في مثل هذا الجهود" .

وهذا المقال هو تلخيص لحوار دار بين كارتر وناثان جاردلز فى " بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٦م، وإلى Global Viewpointلمجلة "
القارئ هذا الحوار فى أصله الإنجليزى:

"Nathan Gardels: Otherwise revered figures like yourself or fellow Nobel Laureate Desmond Tutu are accused of anti-Semitism when you describe the Israeli occupation under which Palestinians live as "apartheid." Why is this description so inflammatory in the U.S. when it is so readily accepted everywhere else in the world?

Jimmy Carter: If you look at the record, the Israeli attorney general who served under the late Prime Minister Yitzhak Rabin and even (under) Benjamin Netanyahu has used this same phrase. "apartheid." But I didn't get it from him.

I'm talking about Palestine, not Israel. Everyone knows Israel is a democracy, with equal rights guaranteed under the law for both Arabs and Jews. But the persecution and rigid separation of the Palestinians from the Jewish settlers in the occupied territories is indeed as penetrating as anything that happened in South Africa. There are differences: This apartheid is not based on racism, but on the desire of a small minority of Israelis to acquire and hold Israeli land.

Now, people in the United States, including me, are naturally inclined to support Israel. I'm an evangelical Christian who teaches the Bible every Sunday at my church. I teach half the Old Testament and half the New Testament. We Americans identify the Hebrews, the Israelites, with ourselves.

But there is something else. The Israelis want to prohibit any sort of overt criticism of their abuse of Palestinians under this system. The reluctance to criticize any policies of the Israeli government in the U.S. is because of the extraordinary lobbying efforts of the American Israel Public Affairs Committee and the absence of any significant contrary voices. For the last 30

years, I have personally witnessed and experienced the severe restraints on any free and balanced discussion of the facts due to their influence.

It would be almost politically suicidal for members of Congress to espouse a balanced position between Israel and Palestine, to suggest that Israel comply with international law or to speak in defense of justice or human rights for Palestinians. If they did so, they couldn't be re-elected. As a result of this AIPAC influence, there haven't been any serious peace talks sponsored by the U.S. in six years.

Gardels: Isn't the apartheid-type separation also out of fear of Israeli security?

Carter: I don't agree with that. It is not about security. Take Hamas, for example. It is usually accused of being the most radical group. But it declared a self-imposed cease-fire — a hudna. Not a single Israeli life has been lost to so-called Hamas terrorism since August 2004. Since they have won political office, Hamas has stopped its terrorist activity.

Gardels: The neo-cons who took the U.S. into war in Iraq were fond of saying the

road to Middle East peace was through Baghdad, not Jerusalem. Now the Iraq Study Group led by James Baker says the opposite — the road to peace in Baghdad and the rest of the Middle East must go through Jerusalem.

Is the Israel-Palestine conflict still the key to peace in the whole region? Is the linkage policy right?

Carter: I don't think it's about a linkage policy, but a linkage fact. There is no doubt: The heart and mind of every Muslim is affected by whether or not the Israel-Palestine issue is dealt with fairly. Even among the populations of our former close friends in the region, Egypt and Jordan, less than 5 percent look favorably on the United States today. That's not because we invaded Iraq; they hated Saddam. It is because we don't do anything about the Palestinian plight. Without doubt, the path to peace in the Middle East goes through Jerusalem.

Gardels: Even if the U.S. did sponsor a major peace initiative, does Israeli have a partner for peace? It can't deal with Hamas, can it?

Carter: Mahmoud Abbas is the president of the Palestinian National Authority as well as the leader of the PLO (Palestine Liberation Organization.) Hamas has nothing to do with the PLO — the only organization recognized officially by Israel in exchange for its recognition of Israel as a legal entity.

If they want to, right now, Israel can negotiate both with the Palestinian Authority and the PLO. Moreover, the Hamas prime minister has said he favors direct peace talks between Mahmoud Abbas, representing the Palestinians, and Israel. If they reach a peace agreement, and it is approved by the Palestinians at large in a referendum, then he says Hamas will accept it.

Further, in my talks with Hamas leaders, they've told me a hudna — or unilateral truce with Israel under Islamic law — could last two, 20 or even 50 years.

Gardels: "No nation can make itself secure by seeking supremacy over others," Kofi Annan said in his final address as U.N. secretary-general on Monday.

Speaking with me during the Israeli war with Hezbollah, your former national security adviser Zbigniew Brzezinski said

something similar: "Neocon prescriptions of security through supremacy, of which Israel has its equivalent, are fatal for America and ultimately for Israel. They will turn the overwhelming majority of the Middle East's population against the U.S. Eventually, the U.S. will be expelled from the region, and that will be the beginning of the end for Israel as well." Do you agree?

Carter: I wouldn't go that far. True, these policies have already turned the Middle East against the U.S. and Israel. But I wouldn't go so far as to say it will cause the downfall of Israel. It is not too late for Israel to have good-faith talks with the Palestinians or, for that matter, with Syria about the Golan Heights.

Having said this, there is no doubt in my mind that Israel will never have peace unless it agrees to something similar to the Geneva Initiative — endorsed by myself, by Bill Clinton and by Jacques Chirac among many others — which, in essence, completed the Taba talks which fleshed out the proposals that Ehud Barak and Clinton worked out during Clinton's last days in office. The Geneva Initiative was in fact put

together by the same negotiators of Oslo and Taba.

The initiative provides for secure borders and overwhelming recognition by the Arab world for Israel and a sovereign, contiguous, viable state for Palestinians recognized by the international community. The dividing border would be based on the 1967 lines but with a mutual exchange of land, giving Israel some of its largest settlements, Jewish neighborhoods in East Jerusalem and the Jewish Quarter of the Old City.

An international religious authority would control central holy sites, with the Temple Mount officially under Palestinian sovereignty and the Western Wall and Jewish Quarter of the Old City under Israeli sovereignty. Israel would decide unilaterally how many Palestinian refugees would be admitted to Israel, and other refugees could return to Palestine or receive appropriate compensation as a fulfillment of U.N. Resolution 194.

Gardels: One of the paradoxes of the U.S. intervention in Iraq is that it has, in effect, helped complete the Iranian revolution — that is, it has undermined

moderate Sunni regimes and expanded Shiite influence throughout the Middle East. Do you see it that way?

Carter: There is no doubt that Iran's influence has become enormously elevated in the region. There is no doubt about the esteem with which they are now addressed by other countries in the area. They have been boosted in every way by the Iraq war, not least because the empowered majority in Iraq now is Shiite.

Gardels: Augusto Pinochet, the Chilean dictator, died over the weekend. So did Jeanne Kirkpatrick, Ronald Reagan's U.N. ambassador who famously called for tolerance of Latin America's dictators in her famous "Dictatorship and Double Standards" essay that distinguished between totalitarian leaders and Latin America's brand of authoritarianism. Kirkpatrick's argument was in response to your policy of promoting human rights in the hemisphere.

Do you feel vindicated now that Latin America has gone democratic and Pinochet has died in disgrace?

Carter: I never felt the need for vindication. Espousing human rights was, for me, part of my American heritage and

American duty. But I do remember with anguish that, as soon as I left office, Reagan sent Kirkpatrick down to Chile and Argentina to tell those dictators that "Carter's human-rights policy is over." I know she was angry that Somoza had been overthrown in Nicaragua by the Sandinistas.

However, three or four years later, Reagan himself began to understand the importance of human rights and became less ideological. Ultimately, I know that the policies initiated under my presidency helped end the military regimes not only in Chile and Argentina, but in Brazil, Ecuador and other places".

وبالمناسبة فأنا لا أتعاطف أبدا مع كارتر لأنه فى الوقت الذى كان يمكنه أن يصنع شيئا ينصر به حق العرب والمسلمين أيام كان رئيسا للولايات المتحدة لم يفعل شيئا على الإطلاق. والآن، وبعد فوات الأوان، يبيع لنا كلاما لا قيمة له. ونحن من جانبنا نستحق هذا وأكثر لا لأننا لسنا أصحاب حق، بل لأننا لم نفهم حتى الآن حقائق الحياة التى تصرخ بأعلى حسها أن الغلبة للقوى، وأن المكسب والبركة كلها لمن غلب، أما الكسلان البليد الذى لا يحاول بذل جهده للخروج من دائرة الضعف والتخلف الجهنمية فليس له أن ينتظر إنصافا ولا رحمة. هذه هى حقيقة السياسة فى الدنيا، ولن يفلح فى تغييرها تصايح ولا شكاية،

فالحل الوحيد هو الكفاح فى كل ميادين الحياة وتحصيل العلم والإبداع الخلاق والعمل والإتقان والحرص على النظافة والنظام ورهافة الحواس والذوق، وهو ما ينقصنا بشكل مخز. وشوارعنا وبيوتنا ومؤسساتنا وكل أمور حياتنا تقول هذا بصوت طلْقٍ فصيح، ونحن ولا نحن هنا. فإذا كان هذا هو موقفنا من أنفسنا وأوطاننا، فكيف ننتظر من أعدائنا أن يكونوا أحرص منا على مصالحنا وأرأف منا بنا؟ ترى هل يمكن أن يبضّ الصخر المصمت بالماء الزلال؟ كيف؟ ومتى؟ وأين؟

وبعد أن قلت ما قلت فى كارتر وفى كتابه وعدم تعاطفى معه على الإطلاق وصلنى على بريدى المشباكى المقال التالى للدكتور إبراهيم علوش، وعنوانه "حملة إعلامية صهيونية عن كتاب جيمى كارتر الرئيس الأسبق للولايات المتحدة عن تلكّك إسرائيل فى العملية السلمية"، وهو لا يختلف فى شىء عن موقفى من كارتر ومما قاله ومن هجوم الصهاينة فى الولايات المتحدة عليه، إلا أنه أكثر تفصيلا. يقول الدكتور علوش فى مقاله القيم: "لعل أجمل ما في العدو، من وجهة نظر مصلحة الأمة، هو إصراره على خوض معارك كبيرة للحصول على دفعة إضافية من التنازلات الصغيرة من الذين سبق أن قدموا له حتى ملابسهم الداخلية. والقانون نفسه ينطبق على الشخصيات الغربية. جيمي كارتر مثلاً، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية، عَرّاب اتفاقية كامب دايفيد التي أخرجت مصر من الصف العربي وتركت المشرق العربي مكشوفا للصهاينة، والتي وضعت أساس فكرة الحكم الذاتي الفلسطيني قانونيا

والحلول المنفردة، هذا الرئيس الأمريكي يعترف أيضا بحق دولة الكيان بالوجود ويدين العنف، خاصة العمليات الاستشهادية الفلسطينية، ويروج لكل الاتفاقيات الموقعة مع العدو الصهيوني كأوسلو. أي أنه ملتزم تماما بكل شروط اللجنة الرباعية المطلوبة من حماس. وبالرغم من ذلك يتعرض حاليا لهجمة إعلامية شرسة من أنصار اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة! السبب هو كتابه الأخير المعنون "فلسطين: السلام لا الأبارتيد" الصادر عن دار نشر سايمون أند شوستر في ٢٠٠٦/١١/١٤، أي قبل بضعة أسابيع، يقول فيه أساسًا إن "إسرائيل" تتحمل مسؤولية عدم تقدم "العملية السلمية" إلى الأمام.

وبالطبع، بسبب غياب الالتزام الواضح ببرنامج التحرير في الساحة الفلسطينية، فإن جيمي كارتر، بالرغم من مواقفه السياسية المبينة أعلاه، كان يكفيه أن يتحدث قليلاً عن "معاناة الفلسطينيين" في "المناطق" (أي الضفة وغزة)، وعن رفض الصهاينة التعاون في إنجاح ما يسمى عملية السلام، حتى يصبح رمزا وطنيا فلسطينيا في زمن فقدان البوصلة، وحتى ينجرّ كثيرون، من بوابة حسه الإنساني المرهف، إلى تبني برنامجه السياسي التسْوَويّ ذي السقف المتدنّي أصلاً ولو لم يعجب العدو لأنه يرغب دومًا بسقوف أدنى وأدنى. المهم، ليس الهدف هنا التهجم على جيمي كارتر طبعاً، بل رؤية الهجمة الصهيونية عليه بحجمها الطبيعي كانعكاس لتشدد العدو المفرط، وليس كانعكاس لتأييد جيمي كارتر المفرط للقضية الفلسطينية إذا كان المقصود بالتأييد هو تجاوز

الحس الإنساني إلى موقف سياسي واضح، أي تأييد تحرير الأرض من الاحتلال كما يفترض أن يعني التأييد عندما تقع أية أرض في أي مكان تحت الاحتلال الأجنبي. على كل حال لا يحتمل اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة أي خروج عن طوعه من السياسيين والمثقفين الأمريكيين حتى لو كانوا قد قدموا له خدمات جليلة من قبل.

وكما يقول جيمي كارتر تعليقًا على الحملة ضده وضد كتابه الصادر مؤخرا في مقال نشره في صحيفة إل إيه تايمز (L A Times) في ٢٠٠٦/١٢/٨: "كتبت مراجعات الكتاب في وسائل الإعلام الرئيسية أساسا من قبل ممثلين لمنظمات يهودية من غير المرجح أن يقوموا بزيارة المناطق المحتلة، وكان نقدهم الرئيسي للكتاب أنه معاد لإسرائيل. وانتقده نائبان في الكونجرس علنا: رئيسة مجلس النواب القادمة نانسي بلوسي (من الحزب الديموقراطي ومؤيدة بشدة للوبي الصهيوني - المترجم)، أصدرت بيانا حتى قبل صدور الكتاب تقول فيه إنه لا يعبر عن موقف الحزب الديموقراطي من إسرائيل". المشكلة طبعا هي إصرار الرئيس الأسبق كارتر، وهو من الحزب الديموقراطي أيضا، أن دولة العدو رفضت مبادرة السلام العربية عام ٢٠٠٢ ورفضت خريطة الطريق عمليا، بينما قبل الفلسطينيون الاثنتين... ومن وجهة نظر العدو الصهيوني واللوبي اليهودي في أمريكا يشكل موقف كارتر هذا ضغطا غير مقبول على الكيان لتقديم تنازلات ولو في الجزئيات.

ولهذا يتم حشد عدد من الشخصيات السياسية والأكاديمية في وسائل الإعلام الأمريكية اليوم لدحض "مزاعم" كارتر في كتابه الأخير عن تلكك دولة العدو فيما يسمى: عملية السلام. فعملية السلام كما بات معروفا في الشارع العربي تعني تنازلات باتجاه واحد إجمالاً لمصلحة الطرف الأمريكي_ الصهيوني. وقد كتب نورمان فنكلستين مؤلف كتاب "صناعة المحرقة" في موقع كاونتربنش (Counterpunch) اليساري الأمريكي مقالة في ٨/ ١٢/ ٢٠٠٦ يتهكم فيها على أهم صحيفتين في البلاد: النيويورك تايمز والواشنطن بوست لانشغالهما بالرد على كارتر على صفحاتهما الأولى، مستخدمتين ذريعة استقالة أحد الباحثين الثانويين في مركز الأبحاث الذي يديره كارتر، وكأن تلك قصة عظمى. ويقول فنكلستين ساخرا: "كنت جالسا في المطار عندما أُعلن ذلك الخبر الذي يفترض أن يهز الأرض هزا على شاشة قناة السي إن إن CNN". وسبب سخرية فنكلستين طبعا أن الباحث المستقيل كنيث شتاين لم يكن باحثا معروفا داخل مركز كارتر نفسه، ناهيك عن الدوائر الأكاديمية، إلى أن قررت وسائل الإعلام الأمريكية الرئيسية أن تنشغل به وباستقالته الآن لتحرج كارتر.

ويضيف فنكلستين هنا معلومة مهمة جدا: "إن الجزء التاريخي من كتاب كارتر يحتوي أخطاءً، نعم، ولكن في أنه يكرر الخط الدعائي الإسرائيلي حول المسائل موضع البحث". وقد جاء ذلك التعليق ردا على قول الباحث المستقيل كنيث شتاين لوسائل الإعلام بأن كتاب

كارتر مليء بالمغالطات. . . في الواقع لا يكتفي العدو أبدا أن يسلّم له المرء بالحق التاريخي بأرض فلسطين، بل تكون تلك عادةً مجرد مقدمة للتعود على إدمان عادة التنازلات اليومية. ولا يعني ذلك أن نتجاهل أو نسطّح أو أن نستخف بالتناقضات العابرة أو الجدية الناشئة عن تشدد العدو، ولكنه بالتأكيد لا يعني أبدا أن ننجرّ لتبنّي البرنامج المتساقط أو الموقف السياسي الهابط للذين يتعرضون للضغوط اليوم لابتزاز المزيد من التنازلات منهم بعدما هيئوا الأرض إستراتيجيا لتكون في مصلحة العدو من خلال اعترافهم به وحقه التاريخي بمعظم أرض فلسطين، وبإبرام الاتفاقيات وتطبيع العلاقات معه ومحاربة المقاومة ضده! على سبيل المثال نورمان فنكلستين نفسه، الذي يتصدى للهجمات على كارتر، موضحا في الآن عينه أن سقفه أعلى من سقف كارتر في البعد التاريخي للقضية الفلسطينية على الأقل، لم يفعل في كتابه "صناعة المحرقة" سوى إدانة طريقة استغلالها من قِبَل الحركة الصهيونية. أما "المحرقة" نفسها، فاعترف بها ضمنا، مع أنها أكذوبة كبيرة. وتحت ستار "الحل الإنساني" يعطي فنكلستين اليهود الغزاة حق البقاء في فلسطين اليوم!".

وإلى القارئ نص ما كتبه فلنكشتين فى أصله الإنجليزى بصحيفة "كاونتربانش" فى ٧/ ١٢/ ٢٠٠٦م (لا فى ٨/ ١٢ كما جاء فى مقال الدكتور علوش):

"It seems Israel's "supporters" have conscripted me in their media lynching of

Jimmy Carter. Count me out. True, the historical part of the book contains errors in that it repeats standard Israeli propaganda. However, Carter's analysis of the impasse in the "peace process" as well as his description of Israeli policy in the West Bank is accurate - and, frankly, that's all that matters.

A wag once said that there is no *Pravda* (Truth) in *Izvestia* (News) and no *Izvestia* in *Pravda*. The same can be said of our *Pravda* (*The New York Times*) and *Izvestia* (*The Washington Post*). Today both party organs ran feature stories trashing Carter using Kenneth Stein's resignation from the Carter Center as the hook. (I was sitting in the airport when this earth-shattering story came on CNN.) But like Ayn Rand's John Galt, many people must have wondered, Who (the hell) is Kenneth Stein? Stein wrote exactly one scholarly book on the Israel-Palestine conflict more than two decades ago (*The Land Question in Palestine*, 1984). Even in his heyday, Stein was a nonentity. When Joan Peters's hoax *From Time Immemorial* was published, I asked his opinion of it. He replied that it had "good points and bad

points." Just like the *Protocols of the Elders of Zion*.

Later Stein wrote a sick essay the main thesis of which was, "the Palestinian Arab community had been significantly prone to dispossession and dislocation before the mass exodus from Palestine began" - in other words, the Zionist ethnic cleansing of Palestine in 1948 was really no big deal ("One Hundred Years of Social Change: The Creation of the Palestinian Refugee Probem," in Laurence Silberstein (ed.), *New Perspectives on Israeli History*, 1991).

The *Pravda* story was written by two reporters who seem to have made a beeline for the newsroom from their bat mitzvahs. They quote Stein to the effect that Carter's book is "replete with factual errors, copied materials not cited, superficialities, glaring omissions and simply invented segments." I doubt there's much to this. Most of the background material is Carter's reminiscences. Maybe he copied from Rosalyn's diary (she was his note taker). Then *Pravda* reports that "a growing chorus of academics...have taken issue with the book." Who do they name? Alan Dershowitz and David Makovsky. Makovsky is resident

hack at the Washington Institute for Near East Policy, the Israel Lobby's "think"-tank.

Pravda saw no irony in citing Dershowitz's expertise for a story on fabrication, falsification and plagiarism regarding a book on the Israel-Palestine conflict. As always, one can only be awed by the party discipline at our *Pravda*. It makes one positively wistful for the bygone days when commissars used to quote Stalin on linguistics".

وعَوْدًا إلى ما كنا فيه نقول إنه ينبغى على الجماعات السياسية الإسلامية أن تضع فى اعتبارها أن الإسلام أولا وقبل كل شىء هو نظام من القِيَم الحضارية هدفه ترقية الحياة وتهذيبها وإسعاد البشر لا إعناتهم والتضييق عليهم والطيران إلى معاقبتهم على أقل هفوة. وليس من المعقول أن يتلخص فهم كثير من المسلمين لدينهم فى أنه دين الحدود، وكان الله يحب المحسنين! هل من الإسلام، بل هل من المنطق والعقل أن أسارع لإنزال حَدّ الزنا بشاب وشابة لم يجدا مكانا يتزوجان ويسكنان فيه، وليس لهما إلا مرتب لا يكفى لإطعام قطة كما هو الحال الآن فى مصر؟ فكيف يظن بعض منا أن مثل هذين الشابين إذا ضلا الطريق وانحرفا أنهما يجب تطبيق الحد عليهما؟ هذا تفكير أخرق لا صلة بينه وبين الإسلام الذى نعرفه. كذلك كيف يظن بعض منا أن اللص الذى يسرق بضع عشرات أو مئات من الجنيهات ينبغى قطع يده، على حين

يسرق بضع عشرات أو مئات من الجنيهات ينبغي قطع يده، على حين أن هناك من يسرق الملايين أو المليارات دون حسيب أو رقيب، وأقصى ما يحدث هو هروبه من البلد بالجمل وما حمل، ثم تقف الدولة عاجزة عن صنع شيء أى شيء معه، أو هكذا تبدو الأمور لنا، إن لم يكن قد لقىَ كل رعاية وعناية واحترام حتى خرج بما سرق ونهب معززًا مكرَّمًا؟

ثم إنه من غير المتصور أن يقف الشعب سلبيا تجاه ما يحيط به من مشاكل، منتظرا أن يحلها له حلال. كيف؟ هذا ما لا يدريه أى عاقل! إن الشعوب المتحضرة فى الدنيا كلها تعرف أنه لا يمكنها نيل حقوقها إلا إذا تحركت وطالبت وناضلت، وإلا فسوف تظل الأمور على ما هى عليه، وعلى المتضرر اللجوء إلى الانتحار أو خبط رأسه فى أقرب جدار. ومن جهة أخرى لا يمكن تطبيق الإسلام بقيَمه وتشريعاته وحدوده ما لم يقتنع الناس أنه لا بد من تطبيقه، لا كلاما وشعارات شبعنا منها ومن سخافاتها وتفاهاتها وخلوها من المضمون، بل حقا وصدقا ينبعان من العقل والقلب ويتبديان فى الوقوف صفا واحدا ضد كل من يفكر فى النيل من هذا الدين وإفراغه من حقيقته. بغير هذا سوف يتحول الأمر إلى لون من الإرهاب لن يأتى بأية ثمرة، بل ربما بغض الناس فى الإسلام وأعطى الأعداء الفرصة للزعم بأنه دين لا يهتم إلا بالشكليات التى لا توكل عيشا، بينما الجوهر مغيَّب، والقيم الحضارية العبقرية التى يتضمنها هذا الدين العظيم معطلة! المجتمع المسلم هو

المجتمع المتقدم علميا وزراعيا وصناعيا وتجاريا وعسكريا ورياضيا وفنيا، وله كلمة محترمة نافذة فى المحافل الدولة، وبغير ذلك لا يمكن أن أصدق أنه مجتمع مسلم حقا. ليس من المعقول أن يظل المسلمون مرتعبين فزعين من أمريكا وإسرائيل لا يدرون ماذا تنويان أن تفعلا بهم، وينحصر كل همهم فى الأزمات أن تمر الأزمة على خير ظنا منهم أنها متى مرت على خير أنهم قد نجَوْا، ثم يفاجأون بأنه لا الأزمة مرت على خير ولا أنها آخر الأزمات والكوارث. إن مجتمعات مثل هذه هى أبعد ما تكون عن الإسلام، وإن صَلَتْ وصامتْ وحَجَّتْ وأطلق رجالها لحاهم وتحجبت نساؤها، رغم أهمية الصلاة والصيام والحج والحجاب ووجوبها، إلا أن هذه الأشياء إن لم تؤد إلى تقدم وقوة فلا قيمة لها كبيرة.

ألم يقل الله تعالى فى كتابه المجيد: "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"؟ فكيف إذا لم تنه الصلاة صاحبها عن الفحشاء والمنكر ولم تزرع فى رُوعه التقوى الحقيقية التى تدفع المصلى دفعا إلى أن يكون إنسانا متحضرا قويا محترما هو والمجتمع الذى ينتمى له؟ أليس رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام هو القائل: "كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ! وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر!"؟ ألا نقرأ فى القرآن أمره سبحانه وتعالى لرسوله: "وقل: رب، زدنى علما"؟ فلماذا إذن لا نطلب من ربنا زيادة نصيبنا من المعرفة والعلم، ونفضل الجهل ونكره القراءة والكتاب كراهية العمى، وكأن القرآن والرسول قد نهيانا

نهيا باتا لا مثنوية فيه ألا نقارب العلم أو أن نقترف منه شيئا حتى لا ينجسنا ؟ ألم يقل الرسول لنا: "من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع"، و"إن الله عز وجل أوحى إليّ أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهّلتُ له طريق الجنة"، و"فضلٌ في علمٍ خيرٌ من فضلٍ في عبادة"؟ فما بالنا لا نسعى فى طلب العلم بدلا من قراءة الملخصات وحفظها دون فهم والاستعانة بالغش فوق ذلك، وكأن العلم يصلح مع الغش؟ ألم يعلمنا الرسول أن "الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"؟ فلماذا كان إنتاجنا رديئا، وصُنّاعنا وحرُفيونا متعجلين كأن عفريتا يركبهم، ومدلسين لا يؤدون عملهم على شيء من الإتقان إلا إذا وقفنا على أيديهم وفنجلنا أعيننا على الآخر كما يقول التعبير العامى؟ أليس من الحكمة النبوية والتحضر الإسلامى أن "إماطة الأذى عن الطريق صدقة"؟ فلماذا تنفرد شوارعنا بهذه الوفرة الوفيرة بكل ألوان الأذى: من أذًى صوتىّ إلى أذًى بصرىّ إلى أذًى شمّىّ إلى أذًى نفسىّ إلى أذًى عقلىّ، وكأنه عليه السلام قد أمرنا بملء الطريق بالأذى والعدوان؟ والله إنى لأتصور أنه عليه السلام لو كان أمرنا بملء الطريق أذى وعدوانا ما اهتممنا بأن تكون شوراعنا بهذه القذارة والتشويه الذى هى عليه! ألم يأمرنا القرآن فى كثير جدا من آياته بالصبر؟ فلماذا لا يكون منا صبرٌ إلا على المذلة والإهانة والجهل والتخلف أو المكر والتآمر، لا على بذل الجهد فى ميادين المجد والكرامة والإبداع والإتقان؟ فهذا هو الإسلام كما أفهمه، وما عداه هو مجرد كلام لا يسمن

ولا يغنى من جوع، ولا أظنه ينفع صاحبه كثيرا يوم الحساب! إننا الآن فى مفترق طرق، وأخشى ما أخشاه إن ظللنا على بلادتنا وتفاهة اهتماماتنا ورضانا بالمذلة والخنوع لكل مستبد غشوم وبُغضنا للعلم والقراءة واعتمادنا فى تسيير أمورنا على الفهلوة والبكش أن نكون قد حفرنا كأمة قبورنا بأيدينا، وصعَّبنا فوق ذلك على أنفسنا حساب يوم الدين، وعندئذ نكون لا دنيا أحْرَزْنا، ولا آخرةً كَسَبْنا !

The Mind of an Islamic Terrorist

(www.muhammadanism.org)

"The gates of Paradise are under the shadows of the swords."

The mind of an Islamic terrorist is difficult for a Western person to comprehend. What could lead a person to cause his or her own violent death is a question that is frequently raised. It is contrary to every human emotion that we have. Yet, we know there are hundreds of Islamic fundamentalists who are willing to kill and be killed for Allah.

An important reason is the promise that the gates of Paradise are under the shadows of the swords. During Muhammad's life, like today, there were many individuals who eagerly anticipated killing and dying in the Cause of Allah. The following is an account from the ancient classic Islamic text by Imam Muslim.

The tradition has been narrated on the authority of 'Abdullah b. Qais. He heard it from his father who, while facing the enemy, reported that the Messenger of Allah (may peace be upon him) said: Surely, the gates of Paradise are under the shadows of

the swords. A man in a shabby condition got up and said; Abu Musa, did you hear the Messenger of Allah (may peace be upon him) say this? He said: Yes. (The narrator said): He returned to his friends and said: I greet you (a farewell greeting). Then he broke the sheath of his sword, threw it away, advanced with his (naked) sword towards the enemy and fought (them) with it until he was slain. Sahih Muslim Book 020, Number 4681

This quotation from the Sahih Muslim hadith afford us a look into the mindset of a person who desired his own death in Allah's Cause.

He trusted the words of Muhammad implicitly.

He was motivated by a promise of an eternal heavenly Paradise.

He reassured himself that he heard correctly by asking Abu Musa. We see that he was very careful not to make a mistake, since his own life and eternal destiny were at risk. He wanted to make sure that Paradise would be achieved.

He said his final farewell greeting to his friends. He did not rush to death, because he

had no friends. He had friends who understood his motivation.

He unsheathed his sword and threw the sheath away, because he was resolved not to return from the battle alive. He chose to die in battle as a martyr in Allah's Cause. Casting aside his sword's sheath strengthened his resolve to bring about his own martyrdom.

He fought the enemy fearlessly until he was slain.

Finally, we see that Muhammad's objectives were achieved, because his followers were utterly fearless with their lives in Allah's Cause. This fearlessness struck terror in the hearts of those they attacked.

Muhammad taught that the gates of Heaven were under the shadow of the swords, meaning that death for Allah's sake assures entry into Paradise. The revulsion of the bloody sword of death is in juxtaposition to the blessedness of the gates of eternal joy. So, if a Muslim were to approach directly Paradise's gate of eternal delight, then he must know that it is found under the shadows of the sharp, glistening swords of a

martyr's death in Allah's Jihad against unbelievers.

Personally, spiritually, politically, intellectually and emotionally, the questions that an Islamic fundamentalist faces are stark indeed. Personally, he asks himself if he loves Allah more than his own life? Spiritually, he asks whether or not he is willing to sacrifice himself in Allah's Cause against Shaytan's power and the infidel's military forces? Politically, he divides the nations of the world into two warring camps. The nations under Islamic rule are termed, the Land of Peace (dar al-Islam) while the remaining nations are called, the Land of War (dar al-Harb). He asks himself if he should participate in bringing Allah's rule over the infidels and hypocrites. Intellectually, the answers to those questions are crystal clear to him. Emotionally, his only hurdle to overcome is the fear of death. Once this emotional fear is conquered, the person joyfully takes up the sword to kill and be killed in Allah's Cause, anticipating his entrance into the gates of heavenly Paradise.

Martyrdom is the only assured path to Paradise. Other pathways don't guarantee

acceptance into the gardens of sensual delights. A person may do many kind deeds during his life, but he may only hope that his deeds will be sufficient to merit entry into heaven, but they don't guarantee success like martyrdom in the Cause of Allah. The Qur'an notes that one who strives in Allah's cause belongs to the highest rank, and they are assured salvation.

Those who believe, and suffer exile and strive with might and main, in Allah's cause, with their goods and their persons, have the highest rank in the sight of Allah: they are the people who will achieve (salvation). al-Tawbah 9:20 (Yusuf Ali's translation)

The Sahih al-Bukhari states,

Narrated Abu Huraira: I heard Allah's Apostle saying, "The example of a Mujahid in Allah's Cause—and Allah knows better who really strives in His Cause—is like a person who fasts and prays continuously. Allah guarantees that He will admit the Mujahid in His Cause into Paradise if he is killed, otherwise He will return him to his home safely with rewards and war booty." Volume 4, Book 52, Number 46

On the other hand, the Qur'an teaches that a Muslim's good deeds are put into a

balance (scale) to be weighed against his evil deeds. They must await the final day of Judgment to learn the outcome of their encounter with Allah's balance.

Then those whose balance (of good deeds) is heavy,- they will attain salvation: But those whose balance is light, will be those who have lost their souls, in Hell will they abide. 23:102-102 (Yusuf Ali's translation) Also, see Sura 101:6-8.

We shall set up scales of justice for the Day of Judgment, so that not a soul will be dealt with unjustly in the least, and if there be (no more than) the weight of a mustard seed, We will bring it (to account): and enough are We to take account. Sura 21:47

Hence, martyrdom makes sense from an Islamic fundamentalist's perspective. They know that death is the common lot of humanity. It is inescapable. So, rather than desperately clinging to life, they view martyrdom as an ultimate expression of their submission to Allah and Allah's cause. They sacrifice their lives, because they love Allah, Muhammad, and eternal Paradise more than a few additional years on earth. They believe that martyrdom is the highest expression of their faith in Islam. Ayatollah Khomeini of

Iran expressed it accurately when he said, "The purest joy in Islam is to kill and be killed for Allah."

They brandish their swords, intent upon murdering the enemies of Allah and dying while embracing the Apostle of Islam's pledge, "the gates of Paradise are under the shadows of the swords."

Muhammad invoked Allah's name to encourage his followers to murder those who did not submit to his claims. Yet today, Western Muslims claim that Islam is a religion of peace and tolerance. This was not the Islam of Muhammad.

Allah's Apostle said, "... I have been made victorious with terror...". al-Bukhari Vol. 4, Bk 52, No. 220.

A terrorist: إرهابى
The gates of Paradise are under the shadows of the swords: إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف
The mind of an Islamic terrorist is difficult for a Western person to comprehend: من الصعب على الإنسان الغربى أن يفهم عقلية الإرهابى المسلم
violent death: موت عنيف
a question that is frequently raised: سؤال كثيرا ما يُطرَح
contrary to...: مناقض لـ . . .
Islamic fundamentalists: الأصوليون الإسلاميون
Eagerly: بلهفة
To anticipate: يبادر إلى
in the Cause of Allah: فى سبيل الله
an account: رواية (حديث)
The tradition has been narrated on the authority of 'Abdullah b. Qais: الحديث من رواية عبد الله بن قيس
Report: يروى خبرا/ يقدم تقريرا عن
may peace be upon him: عليه والسلام
in a shabby condition: فى حال رثة

The narrator said: قال راوى (الحديث)

a farewell greeting: تحية وداع

the sheath of his sword: غمْد سيفه

advanced with his (naked) sword towards the enemy: تقدم نحو العدو وسيفه فى يده

until he was slain: حتى قُتل

the Sahih Muslim hadith affords us a look into the mindset of...: يتيح لنا الحديث الوارد فى صحيح مسلم أن ننظر داخل عقل. . .

He trusted the words of Muhammad implicitly: يوقن بحديث محمد دون جدال

He was motivated by a promise of an eternal heavenly Paradise: كان الوعد بالخلود فى الجنة وراء إقدامه (على الشهادة)

at risk: فى خطر

He wanted to make sure that Paradise would be achieved: أراد التحقق من أنه سيدخل الجنة

He said his final farewell greeting to his friends: ودع أصحابه الوداع الأخير

his motivation: دافعُه

he was resolved not to return from the battle alive: صمم على ألا يعود من المعركة حيًا

Casting aside his sword's sheath strengthened his resolve to bring about his

own martyrdom: كان إلقاؤه غمد سيفه جانبًا سببا فى تقوية عزيمته على الاستشهاد

Fearlessly: دونما خوف

Muhammad's objectives were achieved: تحققت أهداف محمد (عليه السلام)

This fearlessness struck terror in the hearts of those they attacked: كانت هذه الجسارة تلقى الرعب فى قلوب من يهاجمونهم

death for Allah's sake assures entry into Paradise: الموت فى سبيل الله يضمن لصاحبه الجنة

revulsion: الاشمئزاز

the bloody sword of death: سيف الموت الملطخ بالدم

in juxtaposition to: يؤدى إلى

to approach: يقترب من

eternal delight: النعيم المقيم

glistening swords: السيوف البوارق

stark: جدّ واضح

he is willing to sacrifice himself in Allah's Cause: عازم على التضحية بنفسه فى سبيل الله

the infidel's military forces: قوات الكافرين الحربية

The nations under Islamic rule are termed, the Land of Peace: البلاد التى تخضع للحكم الإسلامى تسمّى: "دار الإسلام"

To participate in: يشارك فى

the infidels and hypocrites: الكافرون والمنافقون

Emotionally: من الناحية العاطفية

his only hurdle to overcome is the fear of death: العقبة الوحيدة التى ينبغى أن يتخطاها هى الخوف من الموت

Once this emotional fear is conquered, the person joyfully takes up the sword to kill and be killed in Allah's Cause: ما إن يتغلب الشخص على خوفه حتّى يمتشق سيفه فيَقْتُل ويُقتَل فى سبيل الله

Martyrdom is the only assured path to Paradise: الشهادة هى السبيل الوحيد المضمون للفوز بالجنة

sensual delights: لذائذ الحسّ

to merit entry into heaven: يستحق دخول الجنة

strives in Allah's cause: يجاهد فى سبيل الله

the highest rank: عُليا الدرجات

Those who believe, and suffer exile and strive with might and main, in Allah's cause with their goods and their persons, have the highest rank in the sight of Allah: الذين آمنوا

وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله

Allah knows better: الله أعلم

war booty: غنائم الحرب

good deeds: الأعمال الصالحات

evil deeds: السيئات

the outcome: النتيجة

Allah's balance: الحساب الإلهى

Salvation: النجاة (فى الدار الآخرة)

in Hell will they abide: فى جهنم خالدون

We shall set up scales of justice for the Day of Judgment, so that not a soul will be dealt with unjustly in the least, and if there be (no more than) the weight of a mustard seed, We will bring it (to account): and enough are We to take account: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلَم نفسٌ شيئا، وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها، وكفى بنا حاسبين

Hence, martyrdom makes sense from an Islamic fundamentalist's perspective: ومن هنا كان للشهادة معناها فى نظر الأصوليين

Inescapable: محتوم

desperately clinging to life: التشبث اليائس بالحياة

an ultimate expression of their submission to Allah: التعبير المطلق عن إخباتهم لله

They brandish their swords: يسلون سيوفهم

intent upon: عاقد العزم على

Muhammad invoked Allah's name to...: كان محمد يتضرع إلى الله أن . . .

Islam is a religion of peace and tolerance: الإسلام دين سلام وتسامح

to murder those who did not submit to his claims: لقتل من لا يسلمون بما يقول

I have been made victorious with terror: نصرتُ بالرعب

عقلية الإرهابى الإسلامى

يبدأ الكاتب مقاله بالحديث النبوى القائل: "إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف"، ثم يقفى عليه بتساؤل المتحير الذى لا يستطيع أن يفهم كيف أن إنسانا يمكن أن يقدم على التضحية بحياته مناقضا بذلك التصرف العاطفة الفطرية الخاصة بالحرص على الحياة لدى البشر جميعا. يقصد بذلك الشبان الذين يقومون بالعمليات الاستشهادية. وأغلب الظن أن الكاتب يهزل فى موقف لا يتحمل شيئا من الهزل، إذ إن ما يفعله الاستشهاديون المسلمون لا يتعارض فى شىء مع تلك العاطفة الفطرية، بل بالعكس ينسجم معها غاية الانسجام. ذلك أنه ما من مخلوق حى، قطة كان أو سمكة أو حتى دودة، يتعرض لخطر من الأخطار التى تهدد حياته أو تنغصها عليه أو تؤلمه مجرد إيلام إلا ويهب مدافعا عن نفسه وعن راحته وأمنه: فإن كان قطا خمشك، وإن كان كلبا عضك، وإن كان سمكة رعادة كهربتك، وإن كان ثعبانا لدغك، وإن كان أسدا أكلك، أو إذا لم ترتح إلى استخدام ضمير المخاطب هنا فلأقل: أكلنى أنا، ولدغنى أنا، وعضنى أنا، وخمشنى أنا، كيلا تغضب منى. فإن لم يكف هذا اللون من الدفاع فإن الكائن الحى كثيرا ما يندفع مضحيا بحياته، عمدا أو بغير عمد، تصورا منه أن ذلك سوف يرد عدوه عنه. بل قد يضحى الكائن الحى بتلك الحياة لا لشىء إلا للتعبير عن حزنه، كما حدث ذات مرة حين تركنا منذ سنين عصفورى أطفالنا

الملوَّنَيْن فى قفصهما بالشقة فى القاهرة وسافرنا لمدة يومين بعد أن وفرنا لهما الطعام والماء الكافى داخل القفص، لنفاجأ إثر عودتنا بالذَّكَر ميتًا على الأرض خارج القفص، والأنثى بداخله مضربة عن الطعام والشراب حزنا عليه. وقد فهمنا أن العصفور قد استطاع أن يفلت من بين الأسلاك بحثًا عن الحرية، إلا أن نوافذ الشقة كانت مغلقة، فلم يستطع الطيران بعيدا فى فضاء الله الطليق، وبقى خارج القفص يطير فى أرجاء الردهة لا يجد طعاما ولا ماء حتى كلت قواه ومات، أما أنثاه فكانت تراه طوال الوقت حائرا جائعا عطشان فى الوقت الذى لا تستطيع له شيئًا، فما كان إلا أن غلبها الحزن على نفسها فأضربت عن الأكل والشرب حتى ماتت هى أيضا، وأسلمت الروح بعد عودتنا بقليل وفاءً له وحزنًا عليه.

فهل يريد هذا الكاتب المرائى أن نكون أقل من العصافير كراهيةً للعبودية وتألمًا لمصاب من حولنا ممن يشاركوننا العيش فى الوطن أو ينتمون معنا إلى نفس الأمة، أو ثورة على المجرمين الذين أتوْا من وراء البحار على بعد آلاف الأميال ليحتلوا بلادنا ويستذلوا أمتنا ويدمروا علينا ديننا ويَخْتلونا عن تاريخنا ويسرقوا منا حاضرنا ويقضوا على كل مستقبل لنا؟ وبدلا من أن يسأل الكاتب المنافق نفسه: "لماذا أتى الأمريكان من آخر الأرض، ومن قبلهم البريطان والفرنسيس والإيطال والإسبان وغيرهم من كلاب الاستعمار الأوربى، ليحتلوا بلادنا ويستذلوا أمتنا ويستنزفوا خيراتها ويكسحوها إلى بلادهم وشعوبهم ويحرمونا

منها ؟"، بدلا من ذلك نراه يتظاهر بالبلاهة ويتساءل عن السر فى أن الكرام الشجعان منا كرام وشجعان! وكأن الأصل فى العربى المسلم أن يكون نذلا جبانا لا ينظر إلا إلى ما تحت قدمه ولا يرفع بصره إلى الأعالى. ترى كيف لم يجد إذن شيئا شائنا فيما فعله رجل الإنقاذ الأمريكى الذى ضحى بنفسه كى ينقذ إنسانا من تحت أنقاض مبنى التجارة العالمى طبقا لما ورد فى خطاب بوش الموجود فى الكتاب الحالى، والذى استحق الإعجاب والإشادة به من الرئيس الأمريكى؟ لماذا لم يبد استغرابه وإدانته لما فعله ذلك الرجل ويتساءل عن السبب فى تضحيته بحياته وخروجه على مقتضى الفطرة كما يزعم؟ أم إن التضحية بالنفس عمل عظيم حين تكون إنقاذا لأمريكى، وعملا إجراميا حين تكون الضحية المراد إنقاذ حياتها أمة كاملة، ولكن من غير الأمريكيين؟ إن البشرية ليست هى الإنسان الفرد، بل هناك الجانب الآخر، الجانب الجماعى، وهو ما يضحى بنفسه الإنسان الفرد أحيانا من أجله حتى تمضى الحياة ولا تتوقف. ولو أن كُلاًّ منا ركز اهتمامه كله على مصيره الفردى دون مبالاة بالمجموع لضاع الفرد والمجموع معا. ومن هنا كان لا بد فى بعض الأحيان من تضحية الفرد بنفسه، فالتضحية بالنفس ليست عبثا وغباء كما يوهم كلام الكاتب المخادع، بل هى أمر لا مناص منه فى أوقات الخطر الداهم الذى يهدف إلى استئصال الأمة كلها أفرادا وجماعات، أو على أقل تقدير: اجتراف كل شىء يتعلق بكرامتها ووجودها المعنوى.

أوليس لأمريكا جيش؟ بلى. أوليس أنشئ هذا الجيش من أجل خوض الحروب، بغض النظر عن مشروعيتها أو عدمها؟ بلى. أوليست الحروب تستتبع أن يموت نسبة من الجنود فى كل معركة؟ بلى. أوليس يعرف الجنود هذا قبل اقتحامهم المعركة؟ بلى. فلماذا إذن يا ترى لا تستنكر، يا أيها المرائى، إقبالهم على الموت رغم ما يعرفون من بشاعته ورغم ما رُكِّبَ فى فطرهم من كراهية هادم اللذات ومشتت الجماعات؟ أم تراك ستقول إن أمريكا شىء، وأنتم أيها المسلمون شىء آخر؟ لكن لماذا؟ هل خُلقنا من طين، وخُلقتم أنتم من الملين؟ خلاصة القصة كلها أنكم تريدون منا أن نترككم تخنقوننا على راحتكم وتقتلوننا وتبقرون بطون نسائنا وتدمرون بيوتنا على رؤوسنا وتسرقون خيرات بلادنا وتستمتعون بها أنتم وأولادكم دوننا ثم تشتموننا وتعيبوننا رغم ذلك كله! إنكم وإيانا لكقاتل مجرم متوحش يمسك بخناق ضحيته المسكين ويعصر رقبته عصرا يريد أن يزهق روحه بعد أن قتل كل أفراد أسرته لم يُبْقِ منهم على أحد، ولما حاول المسكين من حلاوة الروح أن يدفع بيده الواهنة يد المجرم الباطشة عن رقبته أخذ يملأ الدنيا سبابا وضجيجا واستنكارا لهذه الحركة العاجزة متهما ضحيته بأنه يعكر عليه صفو مشاعره المرهفة، إذ يرفع يده اليائسة يدفع بها عبثا غائلة العدوان والاغتيال! فهذا هو الوضع بيننا وبين الكاتب الوغد وأمته.

إنهم يريدون منا أن ندبج قصائد المديح فيهم جرّاء تدميرهم لنا وتآمرهم للقضاء علينا وعلى دِيننا. لقد احتل الغربيون بلادنا وأذلونا

وسرقونا ونكلوا بنا وسحقونا على مدى عقود وعقود، ثم لم يكفهم هذا كله، بل جاؤوا بمواطنيهم اليهود الذين بَغَوْا عليهم وعذبوهم واضطهدوهم طوال التاريخ وعاملوهم معاملة العبيد، فخلقوا لهم دولة من لاشىء على حساب العرب والمسلمين أصحاب فلسطين بعد أن أخرجوهم من ديارهم بالمكر والخديعة تارة، وبالتقتيل والترويع مرات. والعرب والمسلمون الاستشهاديون، بعد أن حُرِمَتْ أممهم من حق الرد أو جَبُنَتْ وتخاذلت عن واجب الرد رغم الجيوش والأسلحة المتكدسة فى المخازن يأكلها الصدأ (إن كانت هناك أصلا أسلحة فى المخازن، ولم يكن الأمر وهما من الأوهام الكثيرة التى تتكشف للأنظار واحدا بعد الآخر حقيقته أن الفلوس قد دخلت جيوب بعض الناس، وعلى الله العوض)، هؤلاء الاستشهاديون لا يملكون إلا أجسادهم يفجرونها تفجيرا فى أعدائهم المجرمين المتوحشين، "والجُودُ بالنفس أقصى غاية الجود" كما يقول مسلم بن الوليد، ذلك الشاعر الفحل الذى ملك ببيته هذا ألباب كبار رجال المأمون والنقاد فى عهده فأشادوا به وبصاحبه ولفتوا نظر الخليفة إليه وأغْرَوْه أن يتخذه لنفسه ويزين به بلاطه. والآن يزعم أوباش الغرب أننا إرهابيون، ويزيدون فيتظاهرون أنهم لا يفهمون دوافعنا، ويَكْذِبون فيدعون أن سلوك شهدائنا مناقض لفطرة البشر. فأىَّ بشر يقصدون؟ إنهم البشر العبيد الذين لا يعرفون كيف يرفعون رؤوسهم عن مواطئ أقدامهم، والذين لا يشغلهم من الدنيا شىء إلا البرسيم والتبن

الذى يقدّم لهم لملء بطونهم! فتلك نظرتهم على أحسن الفروض والأحوال إلينا!

وهذا هو تعليقنا باختصار على استهلال الكاتب كلامه بالاستشهاد بالحديث الشريف، حديث الجنة التى تحت ظلال السيوف. ولكن هذا لا يكفى، بل لا بد من تفصيل يزيد الأمر وضوحا لدى القراء ويريهم أن ذلك الخبيث يجمع بين الجهل والوقاحة فى مسألة لا يليق بها شىء من الجهل ولا الوقاحة. كيف؟ كلنا يعرف أن أى أمر من أمور الدنيا لا يستقيم فهمه ولا يمكن التعامل السليم معه إلا إذا عرفنا سياقه الذى ورد فيه. فلو أننا دخلنا مثلا على رجل منفعل قد وقف أمام جماعة من الناس ترمى عيناه بالشرر وينطلق فمه بالوعيد والتهديد وحرص كل من كان هناك على حجب السبب عنا لسارعنا بالزراية عليه وإدانته واتهامه بأنه يأتى من السلوك ما لا معنى له ولا منطق فيه، ولربما أضفنا إلى ذلك أيضا الاقتراح بنقله إلى مستشفى المجانين. لكن إذا عرفنا أنه تعرض لاعتداء من تلك الجماعة أو سرقة أو خيانة لفهمنا موقفه وتعاطفنا معه واتصلنا بالشرطة للقبض على الجناة. أليس كذلك؟ فهذا ما أقصده بالسياق، أى الظروف التى وقعت فيها الواقعة، والتى لولا معرفتنا لها وإلمامنا بها لاستحال علينا تقويم الموقف والحكم على التصرفات والأشخاص تقويما صحيحا.

فما معنى هذا الحديث إذن فى سياقه؟ أو بعبارة أخرى: هل قصد الرسول الكريم أن يحمل المسلمون سيوفهم، وهات يا تقطيع فى

رقاب خلق الله عَمَالا على بطال؟ هذا هو السؤال. والجواب بالفم الملآن: كلا، ثم كلا، ثم كلا بالثلث! قد يقول قائل: وكيف تجزم بأن الجواب هو النفى، والنفى المغلظ لا النفى العادىّ؟ والجواب على هذا السؤال هو أن القرآن قد أنكر الاعتداء وشهّر به وأثّمه فى مواضع متعددة منه وأكد أنه تعالى "لا يحب المعتدين"، وامتشاق الحسام لتقطيع رقاب العباد دون جُرْم جَنَوْه فى حقنا هو لون من ألوان العدوان الذى لا يحبه الله سبحانه وتعالى. وهو عز وجل لا يحب للمسلمين أن يبدأوا أحدا بعدوان، بل العدوان المقبول عنده هو العدوان الذى نرد به على المعتدين. وهذا العمل لا يسمَّى بطبيعة الحال: "اعتداء"، إلا أن البلاغة تقتضى هذا الاستعمال من باب المشاكلة كقوله تعالى: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به"، مع أن ما فعله العدو بنا فى هذه الحالة ليس عقابا، بل هو عدوان، لأننا لم نرتكب فى حقه ذنبا. لكنه سماه: "عقابا"، مشاكلةً لما ننزله بذلك العدو من عقاب، فسَمَّى هذا باسم ذاك كلون من ألوان التناسق التعبيرى، وكأنه يريد أن يقول إن من حقكم أن تنزلوا به نفس الذى أنزله بكم، وإن كان الصبر كما تقول بقية الآية الكريمة خيرًا وأبقى. يقول تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدُوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم".

ومن العجيب أن يُرْدِف القرآنُ هذا بقوله: "واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين" (البقرة/ ١٩٤)، وهو ما يعنى أن على المسلمين، حتى حين يردون العدوان عليهم بمثله، مراعاة تقوى الله وعدم الاسترسال فى

رد العدوان بما يتجاوزه ويحوله من رد ظلم إلى عدوان حقيقى. كذلك نرى الآية الكريمة التى تلى آيتنا هذه تنتهى بقوله عز شأنه: "إن الله يحب المحسنين". أى أنه لا يكفى أن تردوا على عدوان الشهر الحرام بمثله، بل تنبغى مراعاة الإحسان. وقبل ذلك بقليل نقرأ قوله جلت عظمته: "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا. إن الله لا يحب المعتدين". فانظر أيها القارئ الكريم كيف حرّم القرآن القتال إلا للذين يقاتلوننا، وكيف أحاط القرآن رد العدوان بضمانات أخلاقية لا يعرفها الغربيون المجرمون الذين يجلسون منا مقعد حكيم الزمان ويروحون فى مواعظ وفتاوى لا تنتهى ولا تقف عند حد، وكلها مواعظ وفتاوى كاذبة منافقة خاطئة مثلهم!

وانظر إلى حرص القرآن الكريم على حياة الخصوم واهتباله كل سانحة لوقف نزف الدم وإنقاذ الأرواح: "يا أيها الذين آمنوا، إذا ضربتم فى سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام: لستَ مؤمنا. تبتغون عَرَض الحياة الدنيا؟ فعند الله مغانمُ كثيرة. كذلك كنتم من قبلُ، فمَنّ الله عليكم فتبينوا" (النساء/ ٩٤). ولنتأمل كيف أن القرآن قد سد كل المنافذ التى يمكن أن يتسرب لهم من خلالها الرغبة فى استمرار القتال عند تسليم الطرف الآخر وكفّه يده عنهم، فقال لهم: إن كنتم إنما تريدون من مواصلة القتال أعراض الدنيا فإن ما عند الله لهو خير وأبقى. ثم فلنتأمل ثانية كيف يذكّرهم سبحانه بأنهم كانوا يوما قريبا مثل هؤلاء الكفار. والمعنى: هل كنتم لتحبوا استمرار المسلمين فى قتالكم

عندئذ ؟ ثم إن القرآن يوجب على المسلمين التوقف عن القتال بمجرد جنوح الخصوم للسلام حتى لو كانوا يريدون أن يخدعوا المسلمين، ولكن عليهم في تلك الحالة اليقظة والبقاء في وضع الإعداد والاستعداد بكل أنواع السلاح والخطط الحربية، والله سبحانه حسبُهم وكافيهم شر الغادرين، فلا خوف ولا قلق إذن من هذه الناحية: " إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ* فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ* وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ* وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ* وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ* وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ* وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال/ ٥٥- ٦٣).

بل إن القرآن لا يرتاح لمقاطعتنا من لا يعادينا ولا يقاتلنا ولا يُخرجنا من ديارنا من الكفار. ذلك أن من تنبغي مقاطعتهم وترك موالاتهم إنما هم الذين يقاتلوننا ويريدون أن يغتالوا ديننا ووجودنا، أما من لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا فالله لا ينهانا عن مودتهم وبرهم. لاحظ

أن الله لا ينهانا عن "برّهم"، دعك من مجرد التعامل معهم. ثم يأتى مثل هذا الأحمق فيتهم الإسلام بما هو منه برىء: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تَبَرّوهم وتُقسطوا إليهم. إن الله يحب المُقسطين* إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوْهم. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون" (الممتحنة/ ٨- ٩). وفى التنزيل المكى، أى منذ وقت مبكر فى تاريخ الدعوة الإسلامية، نرى القرآن يوصى بالوالدين إحسانا حتى لو كانا مشركين، بل حتى لو جاهدا ابنهما المسلم على الشرك بالله والخروج من الملة، وكل ما عليه أن يصنعه فى هذه الحالة هو ألا يطيعهما فى مسألة الكفر: "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (لقمان/ ١٤- ١٥). وقد تكررت هذه التوصية فى القرآن بما يدل على أن هذا موقف مبدئى يهتم به الإسلام غاية الاهتمام: "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ" (العنكبوت/ ٨- ٩)، "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ" (الأحقاف/ ١٥– ١٦).

ليس ذلك فحسب. بل لقد حذر القرآن المسلمين عدم العدل مع من يكرهونهم من المشركين رغم أنهم كانوا دائمى العدوان عليهم والغدر بمعاهداتهم معهم، فعمل القرآن على كبح جماح العواطف عندهم ونبههم إلى وجوب تجنب الظلم حتى مع هؤلاء الأعداء المبغضين: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (المائدة/ ٨). كذلك وصاهم بمن يستجير بهم من المشركين أن يجيروه حتى يسمع كلام الله، ثم عليهم بعد ذلك أن يرافقوه حتى يصل لبيته وأهله سالما غانما لا يتعرض لأى أذى أو ترويع: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ" (التوبة/ ٦)، كل ذلك والصراع بين الفريقين على أشده، والمشركون لا يكفون عن الغدر بالعهود التى كانت قائمة بينهم وبين المسلمين ولا يَرْعَوْن فيهم إلا ولا ذمة كما جاء بعد هذه الآية بقليل!

ولقد أجلب الكاتب الجاهل فى الاستشهاد بحديث "الجنة تحت ظلال السيوف" ظنا منه أنه قد أتى بالذئب من ذيله، فما باله إذا

قلنا له إن الحديث المذكور قد أتى فى درج كلام يبدأ بنهيه عليه السلام أتباعه عن تمنى لقاء العدو وأمره إياهم بسؤال الله العافية بدلا من ذلك. وإن أضاف قائلاً إنه متى ما تقرر الدخول فى المعركة ولم يعد منها مفر فليثبتوا ولا يجزعوا أو يهنوا ويضعفوا؟ وهذا نص الحديث الشريف كما ورد فى باب الجهاد من سنن أبى داود، وله روايات متعددة فى كتب الحديث الأخرى: "يا أيها الناس، لا تتمنَّوْا لقاء العدو، وسلوا الله تعالى العافية. فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف... اللهم مُنزِلَ الكتاب ومُجْرِيَ السحاب وهازِمَ الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم". أى أن الحديث المذكور لا يصلح أبدا للتدليل على أن الإسلام دين حرب أو أن الرسول الكريم كان يحث أتباعه دائما على امتشاق السيف وقتل الأعداء "لله فى لله"! إن مثل هذا الزعم لهو بتفكير المجانين أشبه. وليس من المعقول أن يأتى إنسان إلى نص فرد من أحاديث رسول الله فيأخذه ويعزله عن بقية النصوص المرتبطة بنفس الموضوع الذى يدرسه، وعن الظروف التى قيل فيها والأسباب التى أحاطت به، ثم يدعى أنه قد وضع يده على البرهان الدامغ الذى لا يقبل نقضا ولا إبراما. إن الحديث إنما يبدأ بالنهى عن تمنى لقاء العدو وسؤال الله العافية، ومعنى هذا أن الحرب فى الإسلام أمر غير مستحب إلا إذا اضطرت المسلمين الظروفُ اضطرارا إلى خوضها، فعندئذ فعليهم الثبات والصبر وعدم الجزع أو الوهن، لأنها أصبحت أمرا لا مناص منه ولم يعد ممكنا تجنبها. ومن ثم يتضح من الحديث أن الجنة

فعلا تحت ظلال السيوف، ولكن بشرط أن تكون الحرب شيئًا لا مناص منه. وهل مَنْ يقول بغير ذلك يُحْسَب من العقلاء ؟

كذلك ليست الحرب فى الإسلام شيئًا لا ضابط له، بل لها شروطها ومواصفاتها؛ فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كما فى سنن أبى داود: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة، ولا تَغُلّوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا. إن الله يحب المحسنين". وفى سنن الترمذى "أن امرأة وُجدت في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان"، وفى مسند أحمد: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: اخرجوا باسم الله، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله. لا تغدروا ولا تَغُلّوا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع". وورد فى صحيح البخارى أن عمر رضي الله عنه قال لقائد جيشه: "وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم". وفى سنن أبى داود عن عمران بن حصين أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثنا على الصدقة وينهانا عن المُثْلة". ومن أحاديث مسلم فى باب الجهاد والسير: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميرا على جيش أو سَرِيّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله.

قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوْا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوْا فسَلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم. فإن هم أبوْا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك. فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله فلا تُنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا". ومن حديث حُذَيْفَة بن اليَمَان فى مسلم: "ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفارُ قريش. قالوا: إنكم تريدون محمدا. فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنّ إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفي

لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم" . ومن سنن أبى داود أنه "كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم. فجاء رجل على فرس أو بِرْذَوْن وهو يقول: الله أكبر! الله أكبر! وفاء لا غدر! فنظروا فإذا عمرو بن عبسة فأرسل إليه معاوية فسأله، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء . فرجع معاوية" . وفيه أيضا عن عائشة: "إنْ كانت المرأة لتُجيرُ على المؤمنين فيَجُوز" .

وهنا أحب أن أتعرض لموضوع مهم هذا سياقه، إذ كثيرا ما يلجأ المبشرون الأغبياء إلى المقارنة بين النبى محمد وأخيه عيسى فى مسألة الحرب والسلم قائلين إن عيسى يأمرنا دائما بالصفح والغفران عمن يظلمنا ويوجب علينا أن ندير له الخد الأيسر ليصفعه مثلما صفع الأيمن بدلا من أن نرد على الصفعة بمثلها، بخلاف محمد، الذى كان يقود الجيوش ويمتشق الحسام ويلتحم بالعدو فى المعارك والحروب والدماء . وهى مقارنة غبية مثل من يقوم بها، إذ إن عيسى إذا كان قد دعا إلى التسامح على هذا النحو فإنه كان أول من خرج عليه ولم يلتزم به قط، وإلا فمن الذى كان يلعن بنى إسرائيل لا يكف لسانه عنهم أبدا ويصفهم بـ"المرائين" و"قتلة الأنبياء وراجمى المرسلين" و"أولاد الأفاعى" و"خراف بنى إسرائيل الضالة" و"فاعلى الإثم" و"الشعب الصُّلب الرقبة" و"الجيل الشرير" و"لصوص المغارة"؟ أليس هو عيسى عليه السلام حسبما نقرأ

فى الأناجيل فى كل مناسبة وفى كل غير مناسبة حتى إننا لنظن أنه لم يكن يعرف هدوء الأعصاب، ولا لسانه التوقفَ والسكينة، وأن الداعى إلى التسامح شخص آخر غيره، بل شخص يعاديه ويجرى على نقيض سنته. بل إنه لم يُعْفِ تلامذته أنفسهم من سوط لسانه، إذ اتهمهم بقلة الإيمان أكثر من مرة، وبالذات بطرس الذى تكرر إفراده له بذلك الاتهام. أما أمه فلا أذكر أنه وجه لها كلمة طيبة قط طوال وجوده على الأرض، بل كان خشنا فظا معها حتى إنه ذات مرة رد على من نبهوه إلى أنها تنتظره هى وإخوته خارج البيت الذى كان فيه قائلا إن أمه وإخوته الحقيقيين هم من يؤمنون برسالته. فما معنى هذا؟ وهذا كله موجود فى الأناجيل. وحتى لو صدقنا أنه كان يتسامح فعلا كما كان يأمر غيره أن يفعل، فإن مدة التسامح والصبر لم تتجاوز ثلاثة أعوام، ثم ترك الدنيا ومضى إلى ربه.

أما محمد فإنه قد جرى على خطة الصبر والغفران لا أعواما ثلاثة فحسب، بل ثلاثة عشر عاما قبل أن يؤذن له بالقتال بعدما كانت كل فرص الصبر والعفو والتغاضى قد نَفِدَتْ كلها ولم تأت بنتيجة. ولا شك أن لكل شىء فى دنيانا هذه من نهاية! فحبال الصبر لا يمكن أن تمد إلى الأبد إلا إذا كنا نعيش فى غير دنيا البشر! ثم هاتوا لى إنسانا واحدا أضربه على خده الأيمن فيدير لى خده الأيسر، وألعنه فيباركنى حسبما توصى الأناجيل! هذا أمر مستحيل استحالةَ طلوع الشمس من مغربها. وتلك الاستحالة أمر طبيعى تماما، فهكذا طُبع الناس منذ الأزل

حتى الأبد . كما أن الحياة لا تستقيم بالتسامح المطلق الدائم، "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" كما جاء فى القرآن المجيد، إذ لا يفل الحديد إلا الحديد ! والبشر كلهم يعرفون ذلك أكثر مما يعرفون أبناءهم، وإن فريقا من المخادعين ليكتمون الحقيقة عامدين متعمدين . والمسيح عليه السلام هو نفسه القائل إنه ما جاء ليلقى سلاما بل سيفا، وإنه سيكون سببا فى انقسام البيت الواحد على نفسه، بما يدل أقوى دلالة وأجلاها على أن خطة التسامح لا يمكن أن تكون مطلقة مفتحة الأبواب على الدوام، وأن الاصطدام قادم قادم مع استمرار العنت والاضطهاد والعدوان من جانب الخصوم، وإلا فالعفاء على كل شيء وكل أحد ! ومن ناحية أخرى فقد سمعنا الرسول الكريم يدعو لقومه فى عز اضطهادهم له ولأتباعه قائلا: رب، اغفر لقومى، فإنهم لا يعلمون! ولم نسمعه قط يدعو عليهم باللعنة والاستئصال كما جاء على لسان السيد السيح فى حق اليهود حسبما ورد فى الأناجيل !

إن القرآن لا يأمر أتباعه بإدارة الخد الأيسر، لكنه يوصيهم مع ذلك بالحلم والصبر والرد على الجاهلين بكلمة السلام والعفو عند المقدرة، إلا أن لكل شيء نهاية كما قلنا . ولابد أن يأتى يوم يفيض فيه الكيل ويتخذ الإنسان عندئذ من الإجراءات ما يُسكت عنه المجرمين المتوحشين ليتنفس الضُّعَداء ! وهذه بعض من النصوص التى تحث المسلم على الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة، وإن كان القرآن لا يوجب عليه ذلك، وإنما يؤثر العفو والصفح فى كثير من الظروف على رد العدوان

بالعدوان: "وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ" (الشورى/ ٤٣)، "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ* وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ* إِنَّ اللهَ مَعَ الذِينَ اتَّقَوْا وَالذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ" (النحل/ ١٢٦- ١٢٨)، "وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" (فصّلت/ ٣٤- ٣٥)، "فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ" (ق/ ٣٩- ٤٠)، "وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً" (المزّمّل/ ١٠) . . . وهلم جرا.

ثم إن الكاتب يزعم أن القتال هو وحده الذى يضمن لصاحبه الجنة ونعيمها، وهو كاذب أو على الأقل: جاهل فى هذا التصور، إذ الإسلام هو دين الحياة والحضارة، فأيما عمل دفع بالحياة إلى الأمام ويسّر على الناس أمورهم وأزال أسباب شكاواهم ومعاناتهم أصبح واجبا دينيا لا بد من قيام المسلمين به، كل فى تخصصه وحسب قدرته، التى ينبغى أن يمدها ويوسع نطاقها إلى أكبر مدى ممكن مع هذا. وسواء بعد ذلك أكان هذا العمل المذكور علما أم زراعة أم صناعة أم تمهيدا للطرق أم إزالة لما فيها من أذى أم علاجا لمرض أم فكاهة تروّح عن الناس أم كلمة طيبة يقولها الشخص لجاره أو صديقه أو لأحد من أفراد أسرته أم توصيلا للمسافرين إلى غاياتهم أم تأليفا لبحث أم طبعا لكتاب أم تنظيما

لصفوف الصلاة أم صمتا وحسن إنصات فى الحصص والمحاضرات والندوات أم شهادة أمام المحكمة أم تركيبا لدواء أم كلمة نصح أم تأذينا للصلاة أم جمعا للصدقات وتوزيعا لها على المستحقين أم تفطيرا لصائم أم تربيتا على كتف يتيم أم تشجيعا لطالب متفوق أم استغفارا من ذنب أم إيقاعا لعقوبة على مجرم أدانته المحكمة بعد مداولات سليمة الإجراءات القانونية أم إجراء لتجربة علمية أم استكشافا لموضع من الأرض أو الكون مجهول أم بناء لبيت أو مصنع أم سقيا لحيوان عطشان أم جريًا على رزق الأولاد أم تطلعا إلى تحقيق مطمح كريم. . . إلخ إن كان لهذا من آخر. ومنه أيضا، بل يأتى على رأس كل شىء فى بعض الظروف، الجهاد فى سبيل الله، إذ الجهاد فى سبيل الله حينئذ هو الذى يحمى كل تلك الإنجازات وأشباهها، ولولا هو لضاع كل شىء فى الهواء وكأنه لم يكن. وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف. أم تُرَى الكاتب الهمام يقول إن أبواب الجنة والكرامة والتحضر تحت أحذية الأمريكان وفى ظلال بطشهم وغطرستهم وتألههم على عباد الله؟ إن مشكلة مثل ذلك الكاتب أنه يخفى فى نفسه خبيث النيات ولا يعلن شيئا منها أبدا، بل يلف ويدور محاولا إيهامنا أنه إنما يريد بنا الخير كل الخير، ولا شىء إلا الخير!

والآن إلى بعض النصوص من القرآن المجيد ومن أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تدور فى هذا المعنى: ففى الآية رقم ١٢٢ من سورة "التوبة" نقرأ قوله تعالى عن إعفاء أهل العلم من

الغزو وتفريغهم لإتقان علمهم كي يعلموا بدورهم إخوانهم المجاهدين بعد رجوعهم من ميدان المعركة التي شغلتهم عن تلقى العلم في حينه: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ". وفي القرآن أيضا أنه لا يستوي العالم والجاهل أبدا: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ" (الزمر/ ٩). وفيه كذلك أن الجنة جزاء أعمال كثيرة أخرى إلى جانب الجهاد القتالي منها مثلا ما ورد في الآيات التالية: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى" (النازعات/ ٤٠- ٤١)، "وَسَيُجَنَّبُهَا (أي النار) الأَتْقَى* الذي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى* وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى* إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى* وَلَسَوْفَ يَرْضَى" (الليل/ ١٧- ٢١)، "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ* الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ* وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ* وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ* سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ" (الرعد/ ٢٠- ٢٤)، "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا* وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا* وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا* وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا* إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا* وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا* وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا* وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا* أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا* خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا" (الفرقان/ ٦٣-٧٦)، "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ" (آل عمران/ ١٣٣- ١٣٥)، "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُوا مَا

أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ* وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ* فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ" (المائدة/ ٨٢– ٨٥، والآيات الأخيرة فى مجموعة من النصارى سمعوا القرآن من سيدنا رسول الله فتحركت ضمائرهم وسالت دموعهم وتفتحت لنور الحق عقولهم ودخلوا فى الإسلام، وليست فى النصارى كلهم لأن من لا يؤمن بالنبى محمد ورسالته لا يدخل الجنة) .

ومن أحاديث رسول الله مما أورده الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء قوله صلى الله عليه وسلم: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء" . ولنلاحظ نص رسول الله عليه السلام أن المداد هنا إنما يوزن بدماء الشهداء بالذات لا بدماء أى مقاتل لم يتشرف بالشهادة ولا بدماء أى قتيل فى الحرب قد يكون اشترك فى القتال طلبا للسمعة مثلا لا لنصرة الحق! وفى البخارى "عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يَخلُوَنّ رجل بامرأة، ولا تسافرنَ امرأة إلا ومعها مَحْرَم، فقام رجل فقال: يا رسول الله، اكتُتبتُ في غزوة كذا وكذا، وخرجت امرأتي حاجّة. قال: اذهب فحُجَّ مع امرأتك" . فها نحن أولاء نرى الرسول عليه السلام يرى إعفاء ذلك الرجل من الجهاد فى ميدان القتال ومرافقة زوجته فى الحج بدلا من ذلك على أساس أنه الأمر الأفضل له ولزوجته . وفى سنن النسائى:

"جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال: أحَيٌّ والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهِدْ". وفيه أيضا "أن جاهمة (السلمي) جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أردتُ أن أغزو، وقد جئت أستشيرك. فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها، فإن الجنة تحت رجليها". بل إن "أفضل الجهاد عند الله"، كما جاء فى مسند أحمد عن رسول الله، "كلمة حق عند سلطان جائر". وفى سنن النسائى: "أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر"، وهو ما يدخل، لا فى ميدان القتال بالسيف، بل فى باب الإصلاح السياسى والحفاظ على مبادئ الأخلاق الوطنية والإنسانية. كما أن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا السعى على المعاش لتدبير رزق العيال. وفى سنن النسائى: "عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يرضى لعبده المؤمن، إذا ذهب بصفيّه من أهل الأرض فصبر واحتسب وقال: "ما أمر به"، بثواب دون الجنة".

وإذا كان ثمة أحاديث لرسول الله يقول فيها: "غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولَقَابُ قوس أحدكم أو موضعُ قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا، ولَنصيفُها (أى "خمَارها") خير من الدنيا وما فيها" كما جاء فى صحيح

البخاري، أو "كفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة" طبقا لما نقرأ فى موطإ مالك، مما يخرج الكاتب منه ومن أمثاله بنتيجة عجيبة مؤداها أن الجهاد وحده هو الضمان الوثيق لإحراز الجنة ونعيمها، فهناك أحاديث أخرى تعادل الصورة، وها نحن أولاء نسرد بعضا منها الآن.

فمنها أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله. قال: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور" حسبما ورد فى سنن أبى داود. وفى صحيح مسلم وسنن أبى داود والنسائى والترمذى أيضا: "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها". وفى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم: "لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس". وفى سنن أبى داود عن ابن عباس أن النبى عليه السلام قال: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام (يعني أيام العشر). قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء". وفى البخارى وموطإ مالك، واللفظ للأخير: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله: اجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل ذكر الله

خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته ذات حسب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه". كما أن الشهيد المستحق للجنة ليس هو الذى قتل فى ميدان المعركة دفاعا عن الدين والوطن فقط، بل "القتيل في سبيل الله شهيد، والمبطون شهيد، والمطعون شهيد، والنُّفَسَاء شهيد يجرها ولدها بسَرَره إلى الجنة". وهناك فى هذا المجال ثروة عبقرية لا يعرفها إلا دين محمد. خذ عندك الأحاديث التالية على سبيل المثال ليس إلا: ففى ابن ماجة أنه "ما من مسلم أو إنسان أو عبد يقول حين يمسي وحين يصبح: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا إلا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة". وفى الموطإ ومسلم وابن ماجة والنسائى والبخارى وابن حنبل، واللفظ للموطإ "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة". وفى البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجة: "ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا". وفى سنن الترمذى عن معاذ بن جبل أن "من صام رمضان وصلى الصلوات وحج البيت (لا أدري أذَكَر الزكاةَ أم لا) إلا كان حقا على الله أن يغفر له إن هاجر في سبيل الله أو مكث بأرضه التي وُلد بها. قال معاذ: ألا أخبر بهذا الناس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذَر الناس يعملون، فإن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها،

وفوق ذلك عرش الرحمن، ومنها تفجَّرُ أنهار الجنة. فإذا سألتم الله فسَلُوه الفردوس". وفى سنن الترمذى عن شداد بن أوس رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ألا أدلك على سيد الاستغفار؟ اللهم، أنت ربي، لا إله إلا أنت. خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك عليّ، وأعترف بذنوبي، فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. لا يقولها أحدكم حين يمسي فيأتي عليه قدَرٌ قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح فيأتي عليه قدَرٌ قبل أن يمسي إلا وجبت له الجنة". وفى صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال: "كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروّحتها بعَشيٍ، فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس، فأدركت من قوله: ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة. قال: فقلت: ما أجود هذه! فإذا قائل بين يديَّ يقول: التي قبلها أجود. فنظرت فإذا عمر قال: إني قد رأيتك جئت آنفا. قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله إلا فُتحَتْ له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء". وفى مسند أحمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كُنَّ له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة. قال: قيل: يا رسول الله، فإن كانت اثنتين؟ قال: وإن كانت اثنتين. قال:

فرأى بعض القوم أن لو قالوا له: واحدة، لقال: واحدة" . وفى مسند الإمام أحمد عن الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها: "جاءت امرأة ومعها ابنتان لها تسألني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتّها إياها، فأخذتها فشقتّها باثنين بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت هي وابنتاها . فدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ابتُليَ من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" . وفى مسند ابن حنبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من ضم يتيما بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة . ومن أعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار، يجزي بكل عضو منه عضوا منه من النار" . وفى مسند أحمد عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: "من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، وجبت له الجنة" . وفى مسند أحمد عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الروح الجسد وهو بريء من ثلاث: الكِبر والغُلول والدَّين، فهو في الجنة أو وجبت له الجنة" . وفى سنن ابن ماجة: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن السِّقْط ليراغم ربه إذا أدخل أبويه النار، فيقال: أيها السقط المراغم ربه، أدخل أبويك الجنة . فيجرهما بسَرَره حتى يدخلهما الجنة" . وفى سنن أبى داود: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة (وأومأ يزيد بالوسطى والسبابة): امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال

حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا" . وفي مسند ابن حنبل عن عقبة بن عامر الجهني: "من أثكل ثلاثة من صلبه فاحتسبهم على الله عز وجل (فقال أبو عشانة مرة: في سبيل الله، ولم يقلها مرة أخرى) وجبت له الجنة" . وفي البخاري عن عَديّ بن حاتم "أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعَوَّذ منها، ثم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوَّذ منها، ثم قال: اتقوا النار ولو بشقّ تمرة. فمن لم يجد فبكلمة طيبة" .

وأخيرا وليس آخرا هذا الحديث الجميل الذي يشيع السكينة في جنبات النفس، وهو من أحاديث الإمام البخاري: "عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: بينما أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم، ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: يا معاذ . قلت: لَبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيك! ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ . قلت: لَبَّيك رسول الله وسَعْدَيك! ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل. قلت: لَبَّيكَ رسول الله وسَعْدَيك! قال: هل تدري ما حقّ الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل. قلت: لبيك رسول الله وسعديك! قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم" . فانظر كيف يتحول الأمر إلى حقوق وواجبات لكل من الطرفين وعلى كل من الطرفين، وكأننا بإزاء دستور سياسي، وليس علاقة بين الله وعباده!

فأية روعة تلك ! وهذه كلها مجرد أمثلة لا غير، وقد ذُكِرَتْ فيها الجنة صراحة أو ضمنا ، وإلا فهناك شواهد كثيرة مثلها .

ثم إن الاشتراك فى القتال وامتشاق السيف ومحاربة المشركين وأعداء الأمة والملة ليس ضمانا للنجاة بإطلاق، إذ لا بد من خلوص النية والإيمان، كما أنه لا بد من طهارة اليد وعدم مدها إلى الغنائم قبل تقسيمها : "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل ممن يدَّعي الإسلام: هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الذي قلت له إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالا شديدا، وقد مات . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إلى النار . قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب . فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت، ولكن به جراحا شديدا . فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه . فأُخْبِر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: الله أكبر ! أشهد أني عبد الله ورسوله . ثم أمر بلالا فنادى بالناس: إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة . وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" . وفى مسند أحمد عن أبى هريرة أنه قال: "قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغُلُول فعظّمه وعظم أمره، قال: لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله، أغثني ! فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك . وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني ! فأقول: لا أملك لك شيئا ،

قد أبلغتك. وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني ! فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول يا رسول الله، أغثني ! فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك". ومن الناحية الأخرى نجد أن الشخص ربما لا يُكتَب له الاشتراك فى الجهاد، لكنه يأخذ أجر المجاهد رغم ذلك، ففى سنن أبى داود مثلا: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه. قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ فقال: حبسهم العُذر". ترى ما رأى كاتبنا الضليل فى ذلك كله؟

وفى النهاية فإن المقارنة بين طرفين تجلو ما لا يستطيع جلاءه الكلام النظرى عن طرف واحد، إذ الناظر فى العهد القديم الذى يدين به كل من اليهود والنصارى مملوء بالشناعات التى يتجاهلها الكاتب الضليل محاولا أن يوهم القارئ بالباطل أن الإسلام دين عدوانى بعكس ما اتضح الآن لمن لم يكن الأمر واضحا له قبل ذلك. ومن بين هذه الشناعات ما يلى، وهو غيض من فيض: "١٠«حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِتُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا لِلصُّلْحِ ١١فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. ١٢وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا فَحَاصِرْهَا. ١٣وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٤وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ كُلُّ غَنِيمَتِهَا فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ وَتَأْكُلُ

غَنيمَةَ أَعْدَائكَ التي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إلهُكَ. ١٥هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَميعِ المُدُن
البَعيدَة منْكَ جدًّا التي لَيْسَتْ منْ مُدُن هَؤُلاءِ الأُمَمِ هُنَا. ١٦وأَمَّا مُدُنُ
هَؤُلاءِ الشُّعُوبِ التي يُعْطيكَ الرَّبُّ إلهُكَ نَصيباً فلا تَسْتَبْقِ منْهَا نَسَمَةً مَا
١٧بَل تُحَرِّمُهَا تَحْريماً . . . كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إلهُكَ" (تثنية/ ٢/ ١٠-
١٦)، "٣فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَاليقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ
عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا"
(صموئيل الأول/ ١٥).

والغريب أن يصدّع الكاتب، كعامّة المستشرقين والمبشرين، أدمغتنا بالكلام عن قسوة الاستشهاديين المسلمين الذين يدافعون عن وجودهم ووجود أمتهم وكرامتها ودينها ويومها وغدها ضد العدوان الأمريكى المتوحش، ناسيًا أن العهد القديم يذكر بفخر مجلجل ما كان بنو إسرائيل يعاملون به الآخرين من قسوة مفرطة ليس فيها أدنى مراعاة لضمير أو قانون، فضلاً عن أن مؤلفى الكتاب المقدس يَعْزُونه إلى بركة الله ورضاه عنهم: من ذلك مثلا ما جاء فى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر "التكوين" على النحو التالى: "١وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ التي
وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ ٢فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الحِوِّيِّ
رَئِيسِ الأَرْضِ وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا. ٣وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ
ابْنَةِ يَعْقُوبَ وَأَحَبَّ الفَتَاةَ وَلاَطَفَهَا. ٤فَقَالَ شَكِيمُ لِحَمُورَ أَبِيهِ: «خُذْ لي
هَذِهِ الصَّبِيَّةَ زَوْجَةً». ٥وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ نَجَّسَ دِينَةَ ابْنَتَهُ. وَأَمَّا بَنُوهُ
فَكَانُوا مَعَ مَوَاشِيهِ فِي الحَقْلِ فَسَكَتَ يَعْقُوبُ حَتَّى جَاءُوا. ٦فَخَرَجَ

حَمُورُ أَبو شَكِيمَ إِلَى يَعْقُوبَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ. ٧وَأَتَى بَنُو يَعْقُوبَ مِنَ الْحَقْلِ
حِينَ سَمِعُوا .وَغَضِبَ الرِّجَالُ وَاغْتَاظُوا جِدّاً لأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي
إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ. وَ«هَكَذَا لاَ يُصْنَعُ». ٨وَقَالَ لَهُمْ حَمُورُ:
«شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ .أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً
٩وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا ١٠وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا
وَتَكُونُ الأَرْضُ قُدَّامَكُمْ. اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلَّكُوا بِهَا». ١١ثُمَّ
قَالَ شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا: «دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ .فَالَّذِي
تَقُولُونَ لِي أُعْطِي. ١٢كَثِّرُوا عَلَيَّ جِدّاً مَهْراً وَعَطِيَّةً فَأُعْطِيَ كَمَا تَقُولُونَ
لِي. وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً». ١٣فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ
بِمَكْرٍ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ: ١٤«لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هَذَا الأَمْرَ
أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُلٍ أَغْلَفَ لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا. ١٥غَيْرَ أَنَّنَا بِهَذَا نُوَاتِيكُمْ: إِنْ
صِرْتُمْ مِثْلَنَا بِخَتْنِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ.١٦نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ
وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْباً وَاحِداً. ١٧وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لَنَا أَنْ تَخْتَتِنُوا
نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي». ١٨فَحَسُنَ كَلاَمُهُمْ فِي عَيْنَيْ حَمُورَ وَفِي عَيْنَيْ
شَكِيمَ بْنِ حَمُورَ. ١٩وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْغُلاَمُ أَنْ يَفْعَلَ الأَمْرَ لأَنَّهُ كَانَ مَسْرُوراً
بِابْنَةِ يَعْقُوبَ. وَكَانَ أَكْرَمَ جَمِيعِ بَيْتِ أَبِيهِ. ٢٠فَأَتَى حَمُورُ وَشَكِيمُ ابْنُهُ
إِلَى بَابِ مَدِينَتِهِمَا وَقَالاَ لأَهْلِ مَدِينَتِهِمَا: ٢١«هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ مُسَالِمُونَ لَنَا.
فَلْيَسْكُنُوا فِي الأَرْضِ وَيَتَّجِرُوا فِيهَا. وَهُوَذَا الأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ
أَمَامَهُمْ. نَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِهِمْ زَوْجَاتٍ وَنُعْطِيهِمْ بَنَاتِنَا. ٢٢غَيْرَ أَنَّهُ بِهَذَا فَقَطْ
يُوَاتِينَا الْقَوْمُ عَلَى السَّكَنِ مَعَنَا لِنَصِيرَ شَعْباً وَاحِداً: بِخَتْنِنَا كُلَّ ذَكَرٍ كَمَا

هُمْ مَخْتُونُونَ. ٢٣أَلاَ تَكُونُ مَوَاشِيهِمْ وَمُقْتَنَاهُمْ وَكُلُّ بَهَائِمِهِمْ لَنَا ؟ نُوَاتِيهِمْ
فَقَطْ فَيَسْكُنُونَ مَعَنَا» .٢٤فَسَمِعَ لِحَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنِهِ جَمِيعُ الْخَارِجِينَ
مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ. وَاخْتُتِنَ كُلُّ ذَكَرٍ - كُلُّ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ.
٢٥فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ شِمْعُونَ
وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ
كُلَّ ذَكَرٍ .٢٦وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ
بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا . ٢٧ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ
لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. ٢٨غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ
وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. ٢٩وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ
وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ. ٣٠فَقَالَ يَعْقُوبُ لِشِمْعُونَ وَلاَوِي:
«كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَأَنَا
نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي» . ٣١فَقَالاَ:
«أَنَظِيرَ زَانِيَةٍ يَفْعَلُ بِأُخْتِنَا ؟».

ومثله ما فعله كل من بنى بنيامين وبنى إسرائيل بالطرف الآخر رغم القرابة اللصيقة التى تربط بينهم، إذ أفنى كل منهم من خصمه عشرات الألوف، وأعمل السيف فى جميع سكان المدن التى دخلها، وكل ذلك بسبب اعتداء بضعة أشخاص من بنى بنيامين على سُرّيّة رجل من بنى إسرائيل (قضاة/ ١٩) . ولنقرأ فقط هذه الفقرة التى يختم بها المؤلف الرواية: "٤٨ وَرَجَعَ رِجَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَنِي بَنْيَامِينَ وَضَرَبُوهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ مِنَ الْمَدِينَةِ بِأَسْرِهَا حَتَّى الْبَهَائِمَ حَتَّى كُلَّ مَا

وُجدَ وأَيضاً جَمِيعُ الْمُدُنِ الَّتِي وُجِدَتْ أَحْرَقُوهَا بِالنَّارِ". ومن ذلك الوادى ما فعله النبى إيليا حين ذبح كل كهان البَعْل بالسيف، وعددهم أربعمائة وخمسون (كما جاء فى الفقرة ٢٢ من الإصحاح التالى)، لم يُبق منهم علي أحد: "٣١ثُمَّ أَخَذَ إِيلِيَّا اثْنَيْ عَشَرَ حَجَراً، بِعَدَدِ أَسْبَاطِ بَنِي يَعْقُوبَ (الذي كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ: [إِسْرَائِيلَ يَكُونُ اسْمُكَ]) ٣٢وَبَنَى الحجَارَةَ مَذْبَحاً بِاسْمِ الرَّبِّ، وَعَمِلَ قَنَاةً حَوْلَ الْمَذْبَحِ تَسَعُ كَيْلَتَيْنِ مِنَ الْبِزْرِ. ٣٣ثُمَّ رَتَّبَ الْحَطَبَ وَقَطَّعَ الثَّوْرَ وَوَضَعَهُ عَلَى الْحَطَبِ وَقَالَ: [امْلأُوا أَرْبَعَ جَرَّاتٍ مَاءً وَصُبُّوا عَلَى الْمُحْرَقَةِ وَعَلَى الْحَطَبِ]. ٣٤ثُمَّ قَالَ: [ثَنُّوا [فَثَنَّوْا]. وَقَالَ: [ثَلِّثُوا فَثَلَّثُوا. ٣٥فَجَرَى الْمَاءُ حَوْلَ الْمَذْبَحِ وَامْتَلأَتِ الْقَنَاةُ أَيْضاً مَاءً. ٣٦وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ التَّقْدِمَةِ أَنَّ إِيلِيَّا النَّبِيَّ تَقَدَّمَ وَقَالَ: [أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ، لِيُعْلَمِ الْيَوْمَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ فِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنِّي أَنَا عَبْدُكَ، وَبِأَمْرِكَ قَدْ فَعَلْتُ كُلَّ هذِهِ الأُمُورِ. ٣٧اسْتَجِبْنِي يَا رَبُّ اسْتَجِبْنِي، لِيَعْلَمَ هذَا الشَّعْبُ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الإِلهُ، وَأَنَّكَ أَنْتَ حَوَّلْتَ قُلُوبَهُمْ رُجُوعاً]. ٣٨فَسَقَطَتْ نَارُ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالْحَطَبَ وَالْحِجَارَةَ وَالتُّرَابَ، وَلَحَسَتِ الْمِيَاهَ الَّتِي فِي الْقَنَاةِ. ٣٩فَلَمَّا رَأَى جَمِيعُ الشَّعْبِ ذلِكَ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَقَالُوا: [الرَّبُّ هُوَ اللهُ! الرَّبُّ هُوَ اللهُ]. ٤٠فَقَالَ لَهُمْ إِيلِيَّا: [أَمْسِكُوا أَنْبِيَاءَ الْبَعْلِ وَلاَ يُفْلِتْ مِنْهُمْ رَجُلٌ]. فَأَمْسَكُوهُمْ، فَنَزَلَ بِهِمْ إِيلِيَّا إِلَى نَهْرِ قِيشُونَ وَذَبَحَهُمْ هُنَاكَ" (الملوك الأول/ ١٨).

ومثلما صنع إيليا صنع أيضًا ياهو بن شافاط، الذى أقامه النبى أليشاع ملكا على بنى إسرائيل وحرّضه على استئصال بيت أحآب على بكرة أبيه، فقام بالواجب، ثم زاد فأباد جميع عبّاد البَعْل وكهنته بعد أن خدعهم وجمعهم فى المعبد الوثنى متظاهرا أنه هو أيضا من عبّاده ثم قتلهم لم يُفلت منهم رجلا (الملوك الثانى/ ٩) . ومنه ما فعله بنو إسرائيل ببنى يهوذا إخوتهم حسبما نقرأ فى النص التالى من الإصحاح الثامن والعشرين من سفر "الأيام الثانى": "١كَانَ آحَازُ ابْنَ عِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ يَفْعَلِ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ كَدَاوُدَ أَبِيهِ ٢بَلْ سَارَ فِي طُرُقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ وَعَمِلَ أَيْضاً تَمَاثِيلَ مَسْبُوكَةً لِلْبَعْلِيمِ. ٣وَهُوَ أَوْقَدَ فِي وَادِي ابْنِ هِنُّومَ وَأَحْرَقَ بَنِيهِ بِالنَّارِ حَسَبَ رَجَاسَاتِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٤وَذَبَحَ وَأَوْقَدَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ وَعَلَى التِّلاَلِ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. ٥فَدَفَعَهُ الرَّبُّ إِلَهُهُ لِيَدِ مَلِكِ أَرَامَ فَضَرَبُوهُ وَسَبُوا مِنْهُ سَبْياً عَظِيماً وَأَتُوا بِهِمْ إِلَى دِمَشْقَ. وَدُفِعَ أَيْضاً لِيَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً عَظِيمَةً. ٦وَقَتَلَ فَقْحُ بْنُ رَمَلْيَا فِي يَهُوذَا مِئَةً وَعِشْرِينَ أَلْفاً فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - الْجَمِيعُ بَنُو بَأْسٍ - لأَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ. ٧وَقَتَلَ زِكْرِي جَبَّارُ أَفْرَايِمَ مَعْسِيَّا ابْنَ الْمَلِكِ وَعَزْرِيقَامَ رَئِيسَ الْبَيْتِ وَأَلْقَانَةَ ثَانِيَ الْمَلِكِ. ٨وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ مِئَتَيْ أَلْفٍ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ وَنَهَبُوا أَيْضاً مِنْهُمْ غَنِيمَةً وَافِرَةً وَأَتُوا بِالْغَنِيمَةِ إِلَى السَّامِرَةِ" . ومنه كذلك ما فعلته يهوديت الأرملة اليهودية الجميلة التى ذهبت إلى معسكر

الأشوريين وعملت على إغراء قائدهم الحربى بما تغرى به الأنثى الرجال وسقته خمرا حتى فقد وعيه، ثم احتزّت رأسه وهربت من المعسكر إلى قومها . . .إلخ. وبسببها انتصر بنو إسرائيل بعد أن كانوا قد أزمعوا الاستسلام لأولئك الأعداء كعادتهم فى كثير من الأحوال! (انظر سفر "يهوديت" فى النسخة الكاثوليكية من الكتاب المقدس) . أذْكُر هذا على علاته بغض النظر عن تاريخية القصة أو خياليتها، فإن دارسى الكتاب المقدس يشكون فى صحة هذه الواقعة ويرونها حكاية مصنوعة (انظر مقدمة سفر "يهوديت" فى الترجمة الكاثوليكية للكتاب المقدس)، إذ المهم هنا هو إيمانهم بأن هذا هو ما ينبغى أن يفعلوه فى مثل تلك الظروف.

على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، فهناك الأمنيات التى يتمنَّى بنو إسرائيل وقوعها بالأمم الأخرى، وهى أمنياتٌ بشعةٌ تكشف ما فى قلوبهم من أحقاد لا ينطفئ لها لظًى. ولنأخذ فقط بعض ما ينوبنا نحن المصريين من هذا الحب، ولنقرأ ما جاء فى نبوءة أشَعْيَا فى الإصحاح التاسع عشر: "١وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ» :هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا. ٢وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَى مِصْرِيِّينَ فَيُحَارِبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ: مَدِينَةٌ مَدِينَةً وَمَمْلَكَةٌ مَمْلَكَةً. ٣وَتُهْرَاقُ رُوحُ مِصْرَ دَاخِلَهَا. وَأُفْنِي مَشُورَتَهَا فَيَسْأَلُونَ الأَوْثَانَ وَالْعَازِفِينَ وَأَصْحَابَ التَّوَابعِ وَالْعَرَّافِينَ4 .وَأُغْلِقُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ فِي يَدِ مَوْلًى قَاسٍ فَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ

عَزِيزٌ يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ. ٥«وَتُنَشَّفُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرِ وَيَجِفُّ النَّهْرُ
وَيَيْبَسُ. ٦وَتُنْتِنُ الأَنْهَارُ وَتَضْعُفُ وَتَجِفُّ سَوَاقِي مِصْرَ وَيَتْلَفُ الْقَصَبُ
وَالأَسَلُ. ٧وَالرِّيَاضُ عَلَى حَافَةِ النِّيلِ وَكُلُّ مَزْرَعَةٍ عَلَى النِّيلِ تَيْبَسُ
وَتَتَبَدَّدُ وَلاَ تَكُونُ. ٨وَالصَّيَّادُونَ يَئِنُّونَ وَكُلُّ الذِينَ يُلْقُونَ شِصًّا فِي النِّيلِ
يَنُوحُونَ. وَالذِينَ يَبْسُطُونَ شَبَكَةً عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ يَحْزَنُونَ ٩وَيَخْزَى
الذِينَ يَعْمَلُونَ الْكَتَّانَ الْمُمَشَّطَ وَالذِينَ يَحِيكُونَ الأَنْسِجَةَ الْبَيْضَاءَ.
١٠وَتَكُونُ عُمُدُهَا مَسْحُوقَةً وَكُلُّ الْعَامِلِينَ بِالأُجْرَةِ مُكْتَئِبِي النَّفْسِ.
١١«إِنَّ رُؤَسَاءَ صُوعَنَ أَغْبِيَاءُ! حُكَمَاءُ مُشِيرِي فِرْعَوْنَ مَشُورَتُهُمْ
بَهِيمِيَّةٌ. كَيْفَ تَقُولُونَ لِفِرْعَوْنَ: أَنَا ابْنُ حُكَمَاءَ ابْنُ مُلُوكٍ قُدَمَاءَ. ١٢فَأَيْنَ
هُمْ حُكَمَاؤُكَ؟ فَلْيُخْبِرُوكَ. لِيَعْرِفُوا مَاذَا قَضَى بِهِ رَبُّ الْجُنُودِ عَلَى
مِصْرَ. ١٣رُؤَسَاءُ صُوعَنَ صَارُوا أَغْبِيَاءَ. رُؤَسَاءُ نُوفَ انْخَدَعُوا.
وَأَضَلَّ مِصْرَ وُجُوهُ أَسْبَاطِهَا. ١٤مَزَجَ الرَّبُّ فِي وَسَطِهَا رُوحَ غَيٍّ
فَأَضَلُّوا مِصْرَ فِي كُلِّ عَمَلِهَا كَتَرَنُّحِ السَّكْرَانِ فِي قَيْئِهِ. ١٥فَلاَ يَكُونُ
لِمِصْرَ عَمَلٌ يَعْمَلُهُ رَأْسٌ أَوْ ذَنَبٌ نَخْلَةٌ أَوْ أَسَلَةٌ. ١٦فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ
مِصْرُ كَالنِّسَاءِ فَتَرْتَعِدُ وَتَرْجُفُ مِنْ هَزَّةِ يَدِ رَبِّ الْجُنُودِ الَّتِي يَهُزُّهَا
عَلَيْهَا. ١٧«وَتَكُونُ أَرْضُ يَهُوذَا رُعْباً لِمِصْرَ. كُلُّ مَنْ تَذَكَّرَهَا يَرْتَعِبُ مِنْ
أَمَامِ قَضَاءِ رَبِّ الْجُنُودِ الذِي يَقْضِي بِهِ عَلَيْهَا. ١٨«فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ
فِي أَرْضِ مِصْرَ خَمْسُ مُدُنٍ تَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ كَنْعَانَ وَتَحْلِفُ لِرَبِّ الْجُنُودِ يُقَالُ
لإِحْدَاهَا» مَدِينَةُ الشَّمْسِ». ١٩فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي
وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخْمِهَا. ٢٠فَيَكُونُ عَلاَمَةً وَشَهَادَةً

لِرَبِّ الْجُنُودِ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لأَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ بِسَبَبِ الْمُضَايِقِينَ
فَيُرْسِلُ لَهُمْ مُخَلِّصاً وَمُحَامِياً وَيُنْقِذُهُمْ. ٢١فَيُعْرَفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ
وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ الرَّبَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمَةً وَيَنْذُرُونَ
لِلرَّبِّ نَذْراً وَيُوفُونَ بِهِ. ٢٢وَيَضْرِبُ الرَّبُّ مِصْرَ ضَارِباً فَشَافِياً فَيَرْجِعُونَ
إِلَى الرَّبِّ فَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ وَيَشْفِيهِمْ. ٢٣«فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ سِكَّةٌ مِنْ
مِصْرَ إِلَى أَشُّورَ فَيَجِيءُ الأَشُّورِيُّونَ إِلَى مِصْرَ وَالْمِصْرِيُّونَ إِلَى أَشُّورَ وَيَعْبُدُ
الْمِصْرِيُّونَ مَعَ الأَشُّورِيِّينَ. ٢٤فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ إِسْرَائِيلُ ثُلْثاً لِمِصْرَ
وَلأَشُّورَ بَرَكَةً فِي الأَرْضِ ٢٥بِهَا يُبَارِكُ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلاً: مُبَارَكٌ شَعْبِي
مِصْرُ وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُّورُ وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ".

Islamic Jihad

(www.muhammadanism.org)

This section provides information that relates to the religious intolerance and persecution committed in the name of Allah and Muhammad. Like the other nations of the world, Muslim countries have all the common crimes of humanity too. They have robbery, murder, prostitution, homosexuality, fraud, child abuse, etc. But, since these crimes are not done in the name of Allah, they will be not be listed or critiqued here. This criminal behavior does not reflect negatively upon the religion of Islam, because it is not sanctioned by the Qur'an. This type of behavior is no different from Christians who act in disobedience to the New Testament scriptures. In both cases, all that is proved is that humans may act in many sinful ways. To be objective and fair, a person's behavior that violates a religion's tenets should not reflect negatively upon a religion.

Jihad

However, the Qur'an instructs the followers of Muhammad to subjugate the world to his religion, and this includes, if

necessary, the use of military conquest. This religious mandate has the direct and practical consequence of persecuting non-Muslims as well as Muslims who are independent intellectual thinkers. Therefore, it is fair and objective to present news articles when the news results from obedience to the Qur'an and the Sunnah. Very near the end of his life, Muhammad left his followers with this command,

Fight those who believe not in Allah nor the Last Day, nor hold that forbidden which hath been forbidden by Allah and His Messenger, nor acknowledge the religion of Truth, (even if they are) of the People of the Book, until they pay the Jizya with willing submission, and feel themselves subdued. Sura At-Tawba 9:29 (Yusuf Ali's Translation)

In summary, Sura at-Tawba 9:29 is a call to Muslims to fight,

1. Atheists and polytheists who don't believe in Allah or the Last Day of Judgment.
2. All who don't follow the prohibitions set forth by Muhammad.
3. All non-Muslims who don't follow

Muhammad's new religion,
4. People of the Book, meaning Jews and Christians, who are to be fought until they are,

A. Conquered

B. Pay the subjugation poll tax, Jizya

C. Feel subdued with the laws of the dhimmi.

Jihad is more than seeking to persuade others to accept the beliefs of Islam. Muslims believe the Qur'an teaches that Jihad includes military power.

And make ready against them all you can of power, including steeds of war (tanks, planes, missiles, artillery, etc.) to threaten the enemy of Allâh and your enemy, and others besides whom, you may not know but whom Allâh does know. And whatever you shall spend in the Cause of Allâh shall be repaid unto you, and you shall not be treated unjustly. Al-Anfâl 8:60 (Noble Qur'an Translation by Al-Hilali & Khan)

Of course, Jihad is a dangerous enterprise. The Qur'an urges them fight even though they may dislike it.

Jihâh (holy fighting in Allâh's Cause) is ordained for you (Muslims) though you dislike it, and it may be that you dislike a

thing which is good for you and that you like a thing which is bad for you. Allâh knows but you do not know. Al-Baqarah 2:216 (Noble Qur'an Translation by Al-Hilali & Khan)

In the Introduction to the Sahih al-Bukhari, Sheikh Abdullah bin Muhammad bin Hamid of the Sacred Mosque of Mecca, Saudi Arabia tells us that "The Fighting" is disliked because of the waste, damage, destruction, and fear caused by war. Clearly, if Jihad were merely seeking to invite others to accept Islam, there would be no destruction.

So "The fighting"; even though by its nature is disliked by the human soul because of the liability of being killed, or being taken as a captive, or being injured, with the wasting of the wealth, the damaging of the industry, the destruction of the country, the spreading of fear and awe in the souls and the (possibility) of being exiled from one's homeland. Allah has made ready an immensely good reward that can not be imagined by a human soul. (Introduction to Sahih al-Bukhari p. xxvi)

The most important reward of Jihad is the certainty of eternal salvation. Other

deeds of obedience to Allah count towards obtaining eternal bliss, but they do not make Paradise certain. The Qur'an states that it is blessed to visit and maintain the mosques, do the established prayers (salat), to give charity (zakat), to fear Allah, and to give drinks to pilgrims. However, these acts of devotion are not equal to striving in the cause of Allah (Jihad). Those who believe enough to suffer exile and strive with all their might, main, goods, and persons will have the highest rank with Allah. They are the people who will most certainly achieve salvation, glad tidings, good pleasure, gardens of eternal delight, and, finally, the blest presence of Allah for ever and ever.

The mosques of Allah shall be visited and maintained by such as believe in Allah and the Last Day, establish regular prayers, and practise regular charity, and fear none (at all) except Allah. It is they who are expected to be on true guidance. Do ye make the giving of drink to pilgrims, or the maintenance of the Sacred Mosque, equal to (the pious service of) those who believe in Allah and the Last Day, and strive with might and main in the cause of Allah? They are not comparable in the sight of

Allah: and Allah guides not those who do wrong.

Those who believe, and suffer exile and strive with might and main, in Allah's cause, with their goods and their persons, have the highest rank in the sight of Allah: they are the people who will achieve (salvation).

Their Lord doth give them glad tidings of a Mercy from Himself, of His good pleasure, and of gardens for them, wherein are delights that endure: They will dwell therein for ever. Verily in Allah's presence is a reward, the greatest (of all). al-Tawbah 9:18-22 (Yusuf Ali's translation)

Muslims who are faithful to the holy book of Islam, the Qur'an, will seek to obey the Qur'an and its call to Jihad. Their answer to this call influences the social and political behavior of faithful Muslims, and it can be traced to the injunctions of the Qur'an and Sunnah. So, it is no wonder that the true religion of Islam cannot be peace, but it must follow the 6th pillar of Islam, Jihad. It is the superior and most certain path to Jannah (Paradise).

Prophesy

The Lord Jesus Christ prophesized there would be a time coming when a religious

people would kill the followers of Jesus and think they were doing Allah's will and service. Islamic Jihad and apostasy laws are a prophetic fulfillment of the words of the Lord Jesus.

...In fact, a time is coming when anyone who kills you will think he is offering a service to God. John 16:2 (NIV)

Muslim Superiority

In addition, the Qur'an states that Muslims are superior to all of humanity. It states, "Ye are the best of peoples." The Qur'an continues and states that Muslims know what is right and what is wrong. So, Muslims naturally feel that they deserve preferential treatment, because Allah has proclaimed they are better and more knowledgeable than other people. They believe their superiority is written eternally on the Preserved Tablet in heaven. Furthermore, the Qur'an claims that most People of the Book (meaning Jews and Christians) are perverted transgressors. So, from an Islamic perspective, it follows logically that Muslims, who are the best and most knowledgeable people in the world, should receive preferential status over the

People of the Book, who are perverted transgressors according to the Qur'an.

Ye are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in Allah. If only the People of the Book had faith, it were best for them: among them are some who have faith, but most of them are perverted transgressors. Sura Al-Imran 3:110 (Yusuf Ali's Translation)

So, it is not surprising that Islamic jurisprudence gives preferential treatment to Muslims because of the status that the Qur'an and Sunnah affords Muslims. However, it is important to notice that this preference causes legal discrimination against non-Muslim in most Islamic countries. The Shari'ah dhimmi laws create a religious caste system within Islamic countries that embrace Shari'ah law. These dhimmi laws apply to both Jews and Christians.

Religious Pride

However, it is wise to consider the Lord Jesus Christ and his evaluation of Islamic bigotry and pride. He said,

To some who were confident of their own righteousness and looked down on

everybody else, Jesus told this parable: "Two men went up to the temple to pray, one a Pharisee and the other a tax collector. The Pharisee stood up and prayed about himself: 'God, I thank you that I am not like other men-- robbers, evildoers, adulterers-- or even like this tax collector. I fast twice a week and give a tenth of all I get.'

"But the tax collector stood at a distance. He would not even look up to heaven, but beat his breast and said, 'God, have mercy on me, a sinner.' "I tell you that this man, rather than the other, went home justified before God. For everyone who exalts himself will be humbled, and he who humbles himself will be exalted." Luke 18:9-14 (NIV)

Silence

There are many Christians who are imprisoned for being obedient to our Savior's words. The Lord Jesus commanded his disciples to go into the world to proclaim the good news of salvation to everyone.

He said to them, "Go into all the world and preach the good news to all creation. Mark 16:15 (NIV)

However, many Islamic governments send the followers of Jesus to prison for being obedient to his command. At this very moment, there are Christians in prison, and their only crime was presenting the good news (Injil) of salvation to a Muslim. If a Muslim becomes a Christian, he or she must renounce Christianity and become a Muslim again. Otherwise, the new convert will face the punishment of execution for apostasy from Islam.

"The Taliban say they also have acquired confessions from the eight foreign aid workers admitting to teaching Christianity to Muslim families. The penalty for proselytizing under Taliban law is expulsion and jail for a foreigner and death for a Muslim Afghan." Associated Press 8/21/2001

Western Islamic organizations make great claims that Islam respects human rights, but most of these Islamic organizations are silent about these violations of basic human rights within Islamic countries. So, if they are silent, it is important for others to speak out and not to be silent about these Islamic crimes done in the name of Allah and Muhammad.

Religious cruelty is the most demonic of all cruelties, because religious zealots believe their cruelty is necessary to assure them a place in Paradise (Jannah). Spiritually blinded, they think their religious barbarity is vital to gain Allah's divine approval. Often mob violence breaks out, because there is an intense desire to kill a Muslim apostate and gain Allah's eternal favor. Judges and lawyers who attempt to have an impartial legal proceeding feel their lives are threatened by the fanatical Muslim mob too. The mob wants the apostate's blood. Hence, in the face of religious fanaticism, it is a dangerous task to say, "Send them back." Yet, there is a blest reward to stand with those who are imprisoned in Islamic jails for their love and faithfulness to the Lord Jesus Christ.

But this is a people plundered and looted, all of them trapped in pits or hidden away in prisons. They have become plunder, with no one to rescue them; they have been made loot, with no one to say, "Send them back." Isaiah 42:22 (NIV)

I was a stranger and you did not invite me in, I needed clothes and you did not clothe me, I was sick and in prison and you

did not look after me.'
"They also will answer, 'Lord, when did we see you hungry or thirsty or a stranger or needing clothes or sick or in prison, and did not help you?'
"He will reply, 'I tell you the truth, whatever you did not do for one of the least of these, you did not do for me.' Matthew 25:43-45 (NIV)

And even more importantly, we should never forget that Muslims themselves are imprisoned by Muhammad's religion. Physical chains are never as tight as the mental chains that bind so many Muslim zealots. Pray that the true peace of God will come upon our Islamic friends through our blest Savior, the Lord Jesus Christ.

Therefore, since we have been justified through faith, we have peace with God through our Lord Jesus Christ, Romans 5:1 (NIV)

To provide information that...: يزوّد (القارئ) بمعلومات مُفادها

To relate to: تتعلق بـ

religious intolerance and persecution: التعصب والاضطهاد الدينى

robbery, murder, prostitution, homosexuality, fraud, child abuse: السرقة والقتل والدعارة والشذوذ الجنسى والغش واستغلال الأطفال

they will be not be listed or critiqued here: لن تُسَجَّل (فى القائمة) أو تكون محل انتقاد هنا

This criminal behavior does not reflect negatively upon the religion of Islam: هذا السلوك الإجرامى لن ينعكس سلبا على الإسلام

To sanction: يحظر

in disobedience to: عصيانا لـ(أمر فلان)

the New Testament: العهد الجديد (الأناجيل الأربعة وملحقاتها)

sinful: خاطئ

objective and fair: موضوعىّ ومنصف

To violate a religion's tenets: ينتهك أوامر دين من الأديان

To instruct: يعلّم/ يوجّه

to subjugate the world to…: يُكرِه العالم على أن . . .

To include: يشمل

military conquest: الغزو العسكري

The mandate: الوصاية

To persecute: يضطهد

Fight those who believe not in Allah nor the Last Day, nor hold that forbidden which hath been forbidden by Allah and His Messenger, nor acknowledge the religion of Truth, (even if they are) of the People of the Book, until they pay the Jizya with willing submission, and feel themselves subdued:

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله

ورسوله ولا يَدِينون دينَ الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية

عن يدٍ وهم صاغرون

Atheists and polytheists: الكفّار والمشركون

The Last Day of Judgment: يوم الدين

Prohibitions: المحرّمات

Subdued with: يخضع لـ

seeking to persuade others to...: يسعى لإقناع الآخرين بـ . . .

And make ready against them all you can of power, including steeds of war (tanks, planes, missiles, artillery, etc.) to threaten the enemy of Allâh and your enemy, and others besides whom, you may not know but whom Allâh does know. And whatever you shall spend in the Cause of Allâh shall be repaid unto you, and you shall not be treated unjustly: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوَّ الله وعدوكم وآخرين مِنْ دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. وما تنفقوا في سبيل الله يُوَفَّ إليكم، وأنتم لا تُظلمون

a dangerous enterprise: مشروع خطر

Jihâh (holy fighting in Allâh's Cause) is ordained for you (Muslims) though you dislike it, and it may be that you dislike a thing which is good for you and that you like a thing which is bad for you. Allâh knows but you do not know: كُتب عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم. وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم. والله يعلم وأنتم لا تعلمون

the Sacred Mosque: المسجد الحرام

waste, damage, destruction: الخسائر والدمار والخراب

the liability of being killed: احتمال التعرض للقتل

the spreading of fear and awe in the souls: نشر الرعب والفزع فى النفوس

exiled from one's homeland: النفى خارج أرض الوطن

eternal salvation: النجاة من النار

deeds of obedience: طاعات

Other deeds of obedience to Allah count towards obtaining eternal bliss: هناك طاعات أخرى تساعد على الفوز بنعيم الجنة

do the established prayers: يؤدى الصلوات المكتوبة

these acts of devotion: أعمال البر

glad tidings: الأخبار السارة/ البُشرَى

gardens of eternal delight: جنات النعيم

To establish regular prayers, and practise regular charity: يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة

It is they who are expected to be on true guidance: وأولئك هم المهتدون

with might and main in the cause of Allah: بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله

with their goods and their persons: بأموالهم وأنفسهم

the highest rank in the sight of Allah: أعظم درجةً عند الله

Their Lord doth give them glad tidings of a Mercy from Himself, of His good pleasure, and of gardens for them, wherein are delights that endure: يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم

faithful to....: وفيٌّ لـ . . .

it can be traced to the injunctions of the Qur'an and Sunnah: هذا الأمر يعود إلى ما فى القرآن والسنة من أوامر

the 6th pillar of Islam: الركن السادس من أركان الإسلام

To prophesize: يتنبأ

there would be a time coming when: سوف يأتى الوقت الذى فيه . . .

apostasy laws: تشريعات الردة

a prophetic fulfillment of the words of...: تحقق نبوءة ما قاله (فلان)

they deserve preferential treatment: يستحقون معاملة أفضل من غيرهم

on the Preserved Tablet: فى اللوح المحفوظ

perverted transgressors: معتدون فاسقون

from an Islamic perspective: من وجهة نظر إسلامية

most knowledgeable people in the world: أعلم أهل الأرض

Ye are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in Allah: كنتم خير أمة أخرجت للناس: تأمرون بالمعروف وتَنْهَوْن عن المنكر وتؤمنون بالله

Islamic jurisprudence: الفقه الإسلامى

legal discrimination against non-Muslim: تمييز تشريعى ضد غير المسلمين

Religious Pride: العنجهية الدينية

his evaluation of Islamic bigotry and pride: توقعه للتعصب والغرور الإسلامى

righteousness: الصلاح والاستقامة

To looked down on everybody else: يحتقر كلّ شخص آخر

a Pharisee: أحد طائفة الفريسيين اليهودية

A tax collector: جابى الضرائب

at a distance: على مبعدة

God, have mercy on me: رحماك يا إلهى

justified before God: تبرّر أمام الله

For everyone who exalts himself will be humbled, and he who humbles himself will be exalted: لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع

our Savior: مخلصنا

to proclaim the good news of salvation to everyone: يعلنون إنجيل الخلاص لكل إنسان

To renounce: ينبذ

Otherwise: وإلا

the new convert: المتحول إلى دين جديد

To face the punishment of execution for...: يواجه عقوبة الإعدام بسبب. . .

apostasy from Islam: الرِّدّة عن الإسلام

admitting to: مُقرِّين بـ

The penalty for proselytizing: عقوبة الردة أو تحويل الشخص عن دينه

expulsion and jail: الطرد (من البلاد) والسجن

Western Islamic organizations make great claims that: تردد المنظمات الإسلامية الغربية الدعاوى العريضة بأن

violations of basic human rights: انتهاك حقوق الإنسان الأساسية

to speak out: يتكلم بما فى نفسه

demonic: شيطانى

to assure them a place in Paradise: يضمن لهم مكانا فى الجنة

to gain Allah's divine approval: يفوز بالرضا الإلهى

mob violence breaks out…: انفجرت أعمال العنف على يد الدهماء

an impartial legal proceeding: محاكمة عادلة

the fanatical mob: الغوغاء المتعصبون

a dangerous task: مهمة خطرة

their love and faithfulness to the Lord: حبّهم وإخباتهم لله

plunder and loot: السلب والنهب

pits: الحُفَر

To rescue: ينقذ

To clothe: يكسو

I tell you the truth: الحقَّ أقول لكم

Mental: ذهنيّ

الجهاد فى الإسلام

يحمل الكاتب على الإسلام لأنه أمر أتباعه بالجهاد زاعمًا أن "الجهاد" يعنى إكراه الآخرين على اعتناق الإسلام بقوة السيف. وهذا زعم خاطئ تماما، فالقرآن لم يقل شيئًا من ذلك البتة، وليس هناك سوى آية واحدة اتخذها صاحبنا برهانا على ما يقول، وهى قوله تعالى: "قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" (التوبة/ ٢٩). وهذه الآية، كما سنبين لاحقا، لا تدل على شىء مما ذهب إليه. ولكن علينا أولا أن ننظر فى معنى كلمة "الجهاد"، ولنبدأ بمعناه اللغوى. ففى "لسان العرب" مثلا أن "الجَهْد والجُهْد: الطاقة. تقول: اجْهَدْ جَهْدَك. وقيل: الجَهْد المشقة، والجُهْد الطاقة. الليث: الجَهْدُ ما جَهَد الإنسان من مرض أو أمر شاق. . . الأزهري: الجَهْد بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو على الجهد فيه. تقول: جَهَدْت جَهْدي واجْتَهَدتُ رأْيي ونفسي حتى بلغت مَجهودي. قال: وجهدت فلانا إذا بلغت مشقته وأجهدته على أن يفعل كذا وكذا. ابن السكيت: الجَهْد الغاية. قال الفراء: بلغت به الجَهْد أي الغاية. وجَهَدَ الرجل في كذا، أي جَدَّ فيه وبالغ. . . والاجْتِهاد والتَّجَاهُد: بذل الوسع والمجهود . . . وهو افتعال من الجهد . . . والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء". وواضح أن الجهد

هو المشقة، وأن الجهاد هو أن يشق الإنسان على نفسه ويبذل كل ما فى طاقته لا يدخر وسعا . هذا هو المعنى اللغوى، وهو كما ترى لا ينحصر فى شىء بعينه، بل يعم كل ما يؤديه البشر من أعمال، فهل فى القرآن أو فى أحاديث النبى محمد ما يدل على أن الجهاد فى الإسلام ينحصر فى القتال وأن الغاية منه هى إكراه الآخرين بقوة السيف على الدخول فيه رغم أنوفهم وعكس اقتناعهم؟

لننظر أولا فى القرآن المجيد، فماذا نجد؟ لقد ورد "الجهاد" فى عدد من السياقات والمعانى المختلفة: فمنها مثلا قوله تعالى فى سورتى "العنكبوت" و"لقمان" على التوالى يوصى المسلم بأبويه خيرا ويشدد عليه فى الإحسان لهما حتى لو حاولا بكل ما عندهما من جهد أن يصداه عن دينه ويعيداه إلى الشرك الذى لا يقبله عقله ولا يرتاح إليه ضميره: "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)"، "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)" . ولا أظن أن هناك عاقلا يقول إن "الجهاد" هنا هو قتال غير المسلم لإكراهه على ترك دينه والتحول عنه إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام، أو إنه قتال الوالدين لابنهما بالسيف كى يترك الإسلام

ويرتد إلى الكفر والعياذ بالله، بل المعنى فى الآيتين هو بذل الوالدين كل ما عندهما من جهد فى التأثير على ابنهما وصده عن دين الله. وصيغة "فاعَل" هنا تعنى أن كلا الطرفين يبذل جهده فى مواجهة الآخر: المشرك لفتنة المسلم عن دينه، والمسلم للاستمساك بدينه والحفاظ عليه وعدم الضعف أمام ضغط والديه، مع إحسان صحبتهما رغم ذلك كله. والآيات السابقة على آية سورة "العنكبوت" مباشرة تشير إلى مدى النَّصَب والمعاناة اللذين كان المسلمون يتعرضون لهما آنذاك: "الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)". والمعنى أن للإيمان ضريبته المكلفة، وأن الأمر ليس مجرد شقشقة باللسان، بل هناك الفتن الفادحة، والمؤمن الحقيقى هو الذى يصبر ويجاهد ويتمسك بإيمانه لا يفرّط فيه مهما تكن شدة تلك الفتن.

وفى سورة "العنكبوت" نقرأ قول الحق تبارك وتعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)". وهذه السورة، كما هو معلوم، سورة مكية. أى نزلت قبل أن يكون هناك قتال بين المسلمين والكفار، ومن ثم فالجهاد هنا لا يعنى إلا صبر المسلم على ما كان يلقاه على أيدى المشركين من أذى وضر، والاستمساك بدينه فى

وجه هذا البلاء وعدم التفريط فيه تحت أى ظرف من الظروف. ولقد كان الصحابة يشكون للنبى أحيانا ما ينزل بهم من جهد، يريدون أن يردوا على الإساءة بمثلها، لكنه صلى الله عليه وسلم كان ينصحهم بالصبر والتحمل إلى أن يجعل الله لهم من ذلك العناء فرجا ومخرجا. ومن نفس الوادى الآية الثانية والخمسون من سورة "الفرقان": "وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) . . . وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) . . . وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)".

وواضح هنا أيضا أن الجهاد لا يعنى القتال، إذ "الفرقان" هى إحدى سور القرآن المكى، ولم يكن المسلمون قد سُمح لهم بَعْدُ أن يردوا

العدوان بمثله، بل كان الشعار آنذاك هو الصبر والإغضاء على الأذى كما تَقَدَّم بيانه. لكن لما زاد الأمر عن حده ولم يعد هناك مفر من المواجهة بعد أن قدموا كل ما يمكنهم تقديمه من التسامح والعفو ولم يأت شىء من ذلك بثمرة، كان لا بد لهم من قتال مَنْ قاتلهم وضَرْب من يضربهم. فالعين بالعين، والسن بالسن، والبادئ أظلم. وهذه هى الحَياة، وإلا أكل القوىُّ الوقحُ الحيىَّ المسالم. لكن ليس فى القرآن أى كلام عن إجبار الآخرين على اعتناقه، فالإسلام لم يعرف ما عرفته الكنيسة من التسلط على العقول وترويع الآخرين والتفتيش فى ضمائرهم وتعذيبهم وتحريقهم حتى يدخلوا فى دينها، وذلك رغم ما تتشدق به الكنيسة من كلام جميل عن التسامح المطلق الذى يوجب على صاحبه أن يدير خده الأيسر لمن يصفعه على خده الأيمن... إلى آخر هذا الكلام الذى لا يصلح لدنيا البشر إلا لوقت معلوم وفى ظروف خاصة، ويقتصر على خلافات الأفراد داخل المجتمع الواحد لا خلافات الدول والأمم، وإلا كانت كارثة. وفى القرآن آيات متعددة توصى بالصبر وعدم الرد على السيئة بمثلها، وآيات أخرى تخير المسلم بين الرد والعفو، مع تحبيب الأخير له. وهو ما يدل على أنه لا فرق بين الإسلام والنصرانية فى تحبيب العفو إلى البشر، ولكن إلى حين.

وينبغى ألا ننسى أن المسيح عليه السلام لم يمكث بعد أن جاءه الوحى أكثر من ثلاث سنوات، على حين أن نبينا صلى الله عليه وسلم قد مكث فى مكة يصبّر أتباعه لا ثلاث سنوات وحسب، بل ثلاثَ

سنوات وعَشْرًا . كما أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يكن حاكما على دولة ولا تحت يده أمة هو مسؤول عنها وعن مصيرها كما حدث مع النبى بعد الهجرة إلى المدينة، وإلا أفيستطيع أحد أن يزعم أنه كان سيجرى على هذه السنة إلى أبد الآبدين؟ فمن الذى قال إذن: ما جئت لألقىَ سلاما بل سيفا؟ إنه المسيح نفسه وليس أحدا آخر سواه.

وعلى هذا فإن قوله عز شأنه فى آخر سورة "الحج": "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)" لا يمكن أن يكون معناه شيئا آخر غير بذل الوسع لإرضاء الله فى كل أمر يستطيعه الإنسان. والأمور التى يستطيعها الإنسان ويرضى ربه بها لا تنتهى، لأنها تشمل كل أمور الحياة من زراعة وتجارة وصناعة وتعليم ودراسة وقراءة وكتابة وسياسة وسفارة وطبابة ونجارة وسباكة وخراطة وحدادة، وكذلك قتال العدو المغير بطبيعة الحال كأمريكا وبريطانيا ودول الغرب التى تعاونهما الآن... فعلى المسلم أن يجاهد فى ترقية حياته وحياة أمته وحياة الإنسانية كلها. ولا شك أن كسل المسلم الآن وعدم تنبهه إلى قيمة الجهاد هو الذى أدى به

إلى هذا المأزق العسير المؤلم الذى يئن منه فى هذه الأيام النَّحسات، وهو يستحقه إلى حد كبير لأنه أضاع الفرصة تلو الفرصة على مدى قرون كاملة حتى انتهى به الأمر إلى وضعه البائس الحالى الذى جَرّأ عليه أعداءه تلك الجرأةَ المهينةَ التى نبلوها ونذوق كأسها المرة كاملة كل يوم والتى سيكون حساب الأمة عنها فى غاية العسر يوم القيامة، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم.

فإذا تحولنا بوجوهنا إلى أحاديث سيد المرسلين ألفينا النصوص الشريفة التالية: ففى صحيح البخارى نقرأ هذا الحديث الذى يجيب فيه الرسول الكريم على سؤال يتعلق بحكم اشتراك النساء فى القتال مع الرجال: "قلت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور. فقالت عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم". فها هنا نراه صلى الله عليه وسلم يعد الحج من الجهاد، بل أحسن الجهاد وأجمله. وفى صحيح البخارى أيضا: "قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أجاهد؟ قال: لك أبوان؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهدْ". وهنا كذلك يعدّ النبى عليه السلام قيام الابن بحاجة والديه جهادا فى سبيل الله. وفى مسند أبى دواود: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"، وهو ما يدل على أن جهاد الأعداء لا يكون بالقتال فقط، بل بالمال وبالكلمة أيضا كالذى كان يفعله حسان بن ثابت، فإنه كان يجاهد بشعره وفنه. وفى ابن عساكر: "قيل لابن عباس: قد قدم

حسّان اللعين. قال ابن عباس: ما هو بلعين! قد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ولسانه". أى أن ما يفعله واحد مثلى الآن بقلمه (أو بالأحرى: بـ"كاتوبه"، إذ لم أعد أكتب بالقلم بل بالكاتوب مباشرة)، يدخل فى باب الجهاد، وإن كان الأجر متوقفا على أن أكون مخلصا فى علمى لا أبتغى فيه السمعة ورئاء الناس وأن أكون قد بذلت أقصى جهدى حتى تبين لى أن هذا الأسلوب هو الأسلوب السليم وليس مجرد حماسة هوجاء لا عقل لها ولا هدف واضح أمامها، وهذا أمر لا يبت فيه إلا الله سبحانه.

وفى صحيح الترمذى: "المجاهد من جاهد نفسه"، أى كف عن الشهوات وقام بواجب الطاعة لله سبحانه وبذل وسعه فى عمله وشمر عن ساعد الجدّ فى ساح العمل والإنتاج، ولم يركن إلى الكسل أو الغش أو الاحتكار أو أسلوب سلق البيض، بل صبر على تكاليف الإتقان والتدقيق والإبداع والسعى فى طلب العلم، فإن كل هذه مشقات تكرهها النفس عادة ولا تريد أن تتجشم فيها شيئا من التعب لو أمكن، فبيّن النبى عليه السلام أن الجهاد الحقيقى هو جهاد النفس بصَبْرها على تأدية الواجب، ومَنْعها من مقارفة المعصية. وما أكثر الواجبات، وما أكثر المعاصى! ومما رواه ابن تيمية من الأحاديث الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر السيئات، والمجاهد من جاهد نفسه لله". فقد جعل النبى الجهاد هو جهاد النفس، وهذا هو

ما قلناه ونقوله، وهو لا يلغى الجهاد الذى هو قتال العدو بالسيوف والبنادق والمدافع والصواريخ والدبابات وما أشبه، بل يشمله فيما يشمل، إذ هو لون من مجاهدات النفس قد يكون أفضلها فى بعض الأحيان، وقد يكون غيره أفضل منه، وقد تكون ألوان الجهاد كلها متساوية، وكل ذلك حسبما تقتضيه الظروف، إلا أنه ليس اللون الوحيد على أية حال. ومثله ما رواه الحافظ العراقى من قوله عليه السلام: "المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه". وفى الصحيح الجامع للألبانى: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنّته ويتقيدون بأمره. ثم إنها تَخلُفُ من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل". وفى صحيح الترمذى: "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"، وهو مما ينقص أمة الإسلام اليوم إلى حد كبير، إذ كلنا (إلا من رحم الله، وقليل ما هم) نخشى السلطان الجائر، وكثير منا ينافقونه ويُوردونه ويُوردون أنفسَهم والأمةَ كلها معهم موارد الهلكة كالذى نحن فيه الآن.

إذن فالجهاد ليس هو القتال ضربة لازب، كما أنه لا يمكن أن يعنى قتال الآخرين بغية إكراههم على اعتناق الإسلام. لكن أين الدليل على هذا الذى نقول؟ الدليل هو قوله سبحانه وتعالى من سورة "البقرة":

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)". فمن البيّن الذى لا يمكن الجدال فيه أن الإسلام لا يقر العدوان من جانب المسلمين أبدا، بل يقيم تعامله مع المشركين على أساس من مواقفهم: فإن قاتلوا المسلمين فعلى المسلمين مقاتلتهم، وإن كفوا أيديهم عنهم سكت المسلمون كذلك... وهكذا.

وفى قوله جل جلاله من سورة "الأنفال": "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ

يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)" نبصر بكل وضوح واطمئنان أن المشركين إذا غدروا بالمسلمين ولم يوفوا بما عقدوه معهم من عهد كان للمسلمين أن يقاتلوهم ويقتلوهم، فإذا جنحوا للسلم وجب على المسلمين الجنوح إليها والتوكل على الله، وإذا شعروا أن هناك نية غدر فأقصى ما يستطيعونه أن يعالنوهم بأنه لا معاهدة بينهم منذ اليوم: هكذا بكل وضوح، ودون مبادلة لغدرهم بغدر مثله.

وبنفس العين ينبغي أن نقرأ قوله عز شأنه في مفتتح سورة "التوبة": "بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)".

فالكلام هنا أيضًا عن المشركين الذين كانت بينهم وبين المسلمين عهود فنقضوها ولم يَرْعَوْا فيها ولا فيهم إلًّا ولا ذمةً، فكان على المسلمين أن يعاملوهم بذات اللغة التى لا يفهمون سواها، وذلك بعدما جرب المسلمون معهم ألوان التسامح حتى باخت المسألة ولم يعد لها من معنى. ورغم ذلك ينبغى ألا يفوتنا الأمر القرآنى فى هذه الآيات بإجارة

المشرك الذى يستجير فى هذه الظروف المتوترة بالمسلمين، إلى أن يسمع كلام الله فى جو هادئ فلا تكون له أية حجة بعدها فى غدره بما بينه وبينهم من معاهدات بعد ذلك، ثم عليهم فوق هذا أن يوصلوه إلى مضارب قبيلته آمنا مطمئنا . فما الذى يراد من المسلمين بعد ذلك كله؟ أيجب عليهم أن يضربوا للخائن الغادر تعظيم سلام ويقيموا له تمثالا ويجعلوا من غدره مثالا أعلى وذكرى ينبغى أن تُحْتَرَم؟

وهنا نصل إلى الآية التى استشهد بها الكاتب فى أول مقاله، وهى قوله عَزَّتْ قُدْرَتُه فى الآية التاسعة والعشرين من ذات السورة: "قَاتِلُوا الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) "، والتى يقول إنها دعوة صريحة لشن الحرب على الكفار والمشركين وأهل الكتاب دون أدنى مسوغ إلى أن ينهزموا ويعطوا الجزية لهم أذلاء صاغرين. والواضح أنه لم يفهم الآية حق فهمها بل فهمها فهم العوام الذين لا ينبغى أن يمسكوا القلم ليتناولوا مثل هذه الموضوعات، أو فهمها، لكنه أراد الشغب والتشنيع، وهذا هو الأرجح، إذ هم فى حرب فكرية معنا، وهذه إحدى وسائلهم فى حربنا: التشويه عن طريق تحريف المعنى عن أصله. وله ولأمثاله فى ذلك خبرة طويلة ورثها عن أسلافه الذين حرفوا الكلم فى التوراة والإنجيل من بعد مواضعه! وإلا فالآية لم تنزل فى الكفار والمشركين. وهذا أولا، وثانيا فليس فى الآية أمر للمسلمين بشن الحرب على أهل

الكتاب من الباب للطاق، بل ردًا فقط على تجييشهم الجيوش لشن حرب عليهم. أي أن الكاتب قد قلب الحقيقة رأسا على عقب كما يقولون!

وللتوضيح نقول إنه لا ذكر في الآية للكفار والمشركين من وثنيي العرب، وإلا فليدلني أحد القراء على ذلك فيها. إنها تقول بصريح العبارة: "قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ"، فأين الوثنيون هنا؟ إن الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله هم أهل الكتاب من الروم الذين كانوا يُعِدّون العُدّة لاكتساح حدود الدولة الناشئة بُغْيَة القضاء على الدين الجديد. وقد وصفهم القرآن بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لأنه يَعُدّ من يرفض الإيمان بأي نبي من أنبياء الله كافرا كما جاء في سورة "النساء": "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١)"، ومعروف أنهم لا يؤمنون بمحمد عليه السلام، فهم كفرة إذن. كما يَعُدّ الذين لا يؤمنون بالقرآن كافرا باليوم الآخر حسبما نصت على ذلك سورة "الأنعام": "وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)"، وهم أيضا لم يكونوا يؤمنون بالقرآن، فهم إذن كافرون باليوم الآخر. ثم هم بعد ذلك أو قبله لا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله

بطبيعة الحال، ويكفى أنهم يتبعون بولس فيما عبثت به يده من الشريعة حين ألغى الختان وحلل لهم أكل الخنزير وأله السيد المسيح . . . ضاربًا عُرْضَ الحائط بكلام عيسى عليه السلام الذى صرح بأنه لم يجئ لينقض ناموس موسى بل ليكمله. ومعروف أن الختان فى ناموس موسى فرض دينى، وأن الخنزير حرام حرمة مغلظة كما هو حكمه فى الإسلام، وأن تأليه أحد غير الله يضرب أولى الوصايا العشر فى الصميم ويحوّل التوحيد إلى شرك ووثنية . . . إلخ. وعلى هذا فهم فى حكم القرآن كفرة دون جدال.

فالقرآن إذن، حين أمر المسلمين بالقتال هنا، لا يقصد أهل الكتاب بإطلاق وفى كل الظروف وإلى الأبد، بل الروم المعتدين الغادرين. أى أنه هنا إنما يصف واقعا ولا يؤصّل مبدأ: فالروم هم أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق. صحيح أن ذلك ينطبق على كل أهل الكتاب، إلا أن القتال ليس لهم كلهم، بل للروم منهم فقط، أى أهل الكتاب الذين هنا . فالألف واللام فى "أهل الكتاب" ليست للجنس كله، بل للعهد، أى لفريق من أهل الكتاب يدور حولهم الكلام ويعرفهم السامع ويدرك جيدا أنهم هم المقصودون وحدهم، وأولئك هم الروم. وذلك كما يقول الواحد منا: "اذهب إلى الغدّارين فقل لهم إنكم إذا لم تفعلوا كذا وكذا فسوف تكون النتيجة كيت وكيت" . ولا يكون قصدك كل الغدارين فى الدنيا، بل غدارين بعينهم يفهم السامع أنهم وحدهم المعنيّون من بين الغدارين لا

جميع الغدارين! أما أمر القرآن المسلمين بألا يتوقفوا عن مقاتلتهم إلا بعد أن يهزموهم هزيمة ساحقة ويلقنوهم درسا لا ينسَوْنه لا هم ولا غيرهم وأن يأخذوا منهم الجزية فهو الرحمة التى لا يستحقونها، إذ ليس من المعقول أن يُطْلَب من المسلمين مكافأة أمثال أولئك الخونة الغدارين. جاء فى كتاب "A Critical Exposition of the Popular Jihad" للكاتب الهندى سراج على أن تبوك كانت مثل غيرها من غزوات النبى عليه السلام "غزوة دفاعية محضة، إذ تحدث المسافرون والتجار العائدون من الشام بأن جيشا كثيفا يحتشد على حدود الشام، وأن الجنود قد حصلوا من الإمبراطور الرومانى الذى كان يومئذ فى حمص على مرتب سنة مقدَّمًا بُغْيَةَ التجهيز لحملة طويلة، وأن قبائل بادية الشام: بنى لخم وجذام وعاملة وغسان قد تجمعوا تحت الأعلام الرومانية، وأن طليعة الجيش قد وصلت إلى بلقاء، فقرر الرسول من فوره أن ينهض لهذا الخطر. لكنه عندما وصل إلى مشارف الشام لم يجد ما يعترض طريقه من قوات حربية، ولم يكن ثمة ما ينبئ عن خطر متوقع. ولهذا عاد بجيشه إلى المدينة، وكان ذلك فى العام التاسع من الهجرة" (A Critical Exposition of the Popular Jihad, Calcutta, 1885, P.40)، ويجد القارئ هذا الكلام فى ترجمتى للكتاب بعنوان "الجهاد فى الإسلام- عرض نقدى"/ المنار للطباعة والكمبيوتر/ القاهرة/ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م/ ٤٣. وانظر أيضا د. أكرم

ضياء العمرى/ مقال "غزوة تبوك والمواجهة الأخيرة"/ موقع "الشبكة الإسلامية"/ غُرّة مايو ٢٠٠٣م).

ثم إن ترجمة الآية الكريمة التى اعتمد عليها الكاتب هى ترجمة خاطئة رغم أن يوسف على هو من كبار مترجمى القرآن إلى الإنجليزية، إذ جاءت هكذا: " Fight those who believe not in Allah nor the Last Day, nor hold that forbidden which hath been forbidden by Allah and His Messenger, nor acknowledge the religion of Truth, (even if they are) of the People of the Book, until they pay the Jizya with willing submission, and feel themselves subdued"، بما يعنى أن الآية ليست فى أهل الكتاب على عكس ما هو واضح من نص كلامها (وفى حدود السياق الذى شرحته آنفا بما يفيد أن المقصود هم الروم، الذين كانوا ينوون العدوان على الدولة الناشئة)، بل فى غير المسلمين جميعا حتى لو كانوا هم أهل الكتاب. وهو ما يعنى أن الحرب الإكراهية تستهدف العالم أجمع على حد زعم الكاتب. وليلاحظ القارئ الكريم كيف اضطُرّ يوسف على إلى زيادة عدة كلمات ليست فى الآية، ولا تحتاجها الآية. ولا أدرى لم فعل ذلك، ولا كيف فهم الآية هذا الفهم، وبخاصة أن سبب نزولها هو الاستعداد لغزوة تبوك ردا على ما كانت الأنباء قد أتت به من أن الروم قد جيشوا على حدودهم مع شبه الجزيرة العربية جيشا جرارا يريدون به اكتساح بلاد العرب كما وضحنا قبل قليل!

كذلك فشريعة الكتاب المقدس التى يحاجّنا بها هذ الكاتب لا تعرف فى تلك الحالة إلا الاستئصال التام لكل ذى روح، بشرا كان أو حيوانا، لا دفع الجزية والإبقاء على حياة الأعداء واحترام عقائدهم. يقول الإصحاح العشرون من سفر التثنية: "١٦وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، ١٧بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، ١٨لِكَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ"، والمقصود بالتحريم هنا هو الاستئصال. وفى الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول: "١وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. ٢هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. ٣فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا»". والآن يمكنك، أيها القارئ أن تحكم بنفسك على هذا المتنطس المتنطع الذى يقيم من نفسه واعظا علينا يعلمنا الرحمة والإنسانية فى تعاملنا معه هو وقومه، بعدما رأيت بنفسك الفرق الرهيب بين تشريعاتنا وتشريعاتهم فى هذا الشأن. أما قوله إن شريعة الجهاد فى الإسلام مشروع خطر، فإنه خبث مفضوح، إذ لا يكره دفاعَ أية أمة عن نفسها إلا مجرمٌ أثيمٌ يريد تخدير فريسته حتى لا تكون

يقظة له ولألاعيبه الإبليسية فيأخذها على غرة وهى نائمة على صماخ أذنيها كما وقع وما زال يقع لنا على يد الاستعمار الغربى، فيكون انتصاره علينا واحتلاله أرضينا عبارة عن نزهة خلوية. ويا حبذا لو خرجت له نساؤنا يرقصن للترفيه عنه رقصا شرقيا كما منت أمريكا جنودها حين استجلبتهم لغزو العراق.

ولو كان الإسلام يشرع الحرب الإكراهية كما يزعم هذ الكذاب، فلم قال سبحانه وتعالى فى سورة "الممتحنة": "عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)"؟ من الواضح أن القرآن لا يأخذ العاطل مع الباطل، بل يفرق بينهما تفرقة دقيقة وحكيمة. كذلك لو كانت الحرب العدوانية شريعة إسلامية لما قال رسوله الكريم: "يا أيها الناس، لا تمنَّوْا لقاء العدو، وسَلُوا الله تعالى العافية. فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف... اللهم مُنْزِلَ الكتاب ومُجْرِيَ السحاب وهازِمَ الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم"، ولما رضى بشروط الحديبية المجحفة مبديًا استعداده للعمل بكل سبيل إلى حقن الدماء!

وبالمثل ينتقد الكاتب القرآن لأمره المسلمين فى الآية ٦٠ من سورة "الأنفال" أن يُعدّوا لأعدائهم ما استطاعوا من أدوات القتال يرهبونهم بها هم وغيرهم ممن لا يظهرون على الساحة لكنهم يخططون للإضرار بالمسلمين فى الخفاء بحيث لا يعلمهم إلا الله، مع أن هذه الآية دليل لا يُصَدّ ولا يُرَدّ على تهافت مثل هذا الاتهام. ولنبدأ بهؤلاء الذين يتآمرون على الإسلام فى السر ولا يعلم بأمرهم المسلمون، فما معنى هذا؟ معناه أن الأمر متوقف على الطرف الآخر: فإن بادأ هذا الطرفُ المسلمين بالعدوان وقف المسلمون فى وجهه بما استعدوا به من سلاح، وإلا فلا مواجهة ولا يحزنون كما هو واضح من مفهوم الآية. أما الأعداء الظاهرون فإن هذا الاستعداد من شأنه أن يلقى الرهبة فى صدورهم فلا يجرؤوا على مهاجمة المسلمين، وينتهى الأمر هنا أيضا، وإلا فإن لم يرعووا كان المسلمون مستعدين لهم فلا يؤخذوا على حين غرة. ليس ذلك فحسب، بل إن الكاتب الخبيث قد تعمّد تعمُّدًا تجاهلَ الآيات التى تلى آيتنا هذه، ونصها: "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)"، وهو ما يؤكد ما قلناه من قبل من أن الأمر متوقف على موقف الطرف الآخر: إن شاء المسالمة سالمه المسلمون، وإن شاء الحرب كان المسلمون مستعدين فلا يُضرَبون على غفلة. بل إن الإسلام ليمضى فى

إيثار السلام إلى الحد الذى لو عُرِض على أتباعه هذا السلامُ فليجنحوا له ولا يخشَوْا أن يغدر بهم أولئك الأعداء، وهى مسألة واردة، والله معهم ولن يتخلى عنهم. أما إن تيقنوا فعلا أنهم ينوون بهم غدرا فعندئذ فعليهم أن ينبذوا إليهم ما كان بين الطرفين من معاهدة ولا يبدأوا هم الغرّة، إذ لا بد أن يكون كل شىء واضحا. فبالله عليكم أيها القراء، ما الذى يمكن أن يؤخذ على الإسلام هنا؟

وأيضا لا معنى لاتهام الكاتب القرآن بسبب مخاطبته المسلمين فى الآية ٢١٦ من سورة "البقرة" بقوله: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ". ولا أستطيع أن أفهم، بل لا أظن غيرى مستطيعا أن يفهم، وجه الاتهام هنا، فالآية تقرر ما يعرفه كل إنسان من أن خوض القتال أمر كريه. فهل هناك من يشاح فى هذا؟ يستحيل! أما مُضِىّ الآية فى معالجة هذا الخوف وتوضيح أن الحرب رغم مرارة مذاقها قد تكون لها أطيب الثمرات، فهذا أيضا مما لا أتصور أحدا يفكر فى اتهامه وفى رأسه عقل يفكر، وإلا فليقل لنا: ماذا ينبغى أن يصنع من يهاجمهم أعداؤهم يريدون أن يقضوا عليهم أو يحتلوا بلادهم أو يسرقوا خيراتهم؟ أيستقبلونهم بالورود والرياحين والهتافات المدوية؟ أيخرجون نساءهم يغنين ويرقصن لهم ابتهاجا بتدمير البلاد وإذلال العباد كما أشاع القادة السياسيون والعسكريون فى أمريكا بين جنودهم عشية إعدادهم لاحتلال العراق؟ ألا لعنة الله على كل خبيث لئيم!

كذلك لا أحد من العقلاء الشرفاء يقول أبدا إن ما تجره الحروب فى ركابها من قتل ودمار وخسائر ومرارات ينبغى أن يكون سببا للعزوف عن الوقوف فى وجه الأعداء حين يهاجمون الوطن والأمة، وإلا فليفعل الغربيون هذا إذا هاجمهم أعداؤهم إن كانوا صادقين. إن الغربيين لا ينتظرون أبدا أن يهاجمهم أحد، بل يخططون دائما لشن الحروب على الآخرين المسالمين الذين لا يمكن أن يفكروا فى مهاجمتهم للفارق الفظيع بين الطرفين فى القوة والسلاح. وهذا أمرٌ مشاهَدٌ فى علاقتهم بنا لا يحتاج إلى إثبات، إذ لم يحدث قط أن دولة عربية أو إسلامية جرؤت على مجرد الحلم فى يقظة أو منام على مهاجمة أمريكا رغم كل الإجرام والعُتُوّ الأمريكى فى المنطقة، بل كل همها هو أن تنساها أمريكا وتتركها فى حالها. أما قوله سبحانه فى سورة "التوبة": "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)" فهو أمر منطقى تماما، إذ عندما تهدد الأخطار البلاد والعباد ويشن أعداء الأمة والملة هجوما عليها يبغى سحقها واغتصاب خيراتها وإذلال رجالها ونسائها وأطفالها فلا بد أن يهبّ الجميع يدًا واحدةً تصد جحافل أولئك المجرمين، وليس لأى إنسان

الحق فى القول بأنه يعمر المسجد الحرام أو يقوم على خدمة الحجاج، ومن ثم لا يجب عليه قتال أو دفاع. ذلك أنه فى حالة ما لو انتصر الأعداء، لا قدر الله، فلن يكون هناك تعميرُ مساجدَ ولا حجٌ ولا حُجّاج أصلا، لأنهم سوف يستبيحون ساعتها كل شىء كما هو الحال الآن فى الحرب التى تشنها أمريكا علينا، إذ هم يؤمنون أن عودة المسيح عليه السلام إلى الأرض مشروطة بتدمير الإسلام وإقامة دولة يهودية عاصمتها القدس كما وضحنا فى فصل آخر من هذا الكتاب، وكذلك فى كتابنا: "مختارات إنجليزية استشراقية عن الإسلام".

أى أنه إذا كان المسلمون يريدون الاستمرار حقًا وصدقًا فى الصلاة والزكاة وتعمير المساجد وخدمة الحجاج فليقفوا فى وجه كل مجرم يتطلع إلى احتلال بلادهم وإخضاعهم وتدمير مساجدهم والقضاء على دينهم وكسح ثرواتهم إلى بلاده كى يستمتع بها دونهم ويتركهم فى مقاساة وغمٍ وكرْب. فهل هناك من يقول بهذا غير أولئك العُتاة المجرمين ومن يعضدهم ويعمل على تهيئة الجو لهم كى تكون حربهم علينا نزهة للمتعة لا معارك دامية تكلفهم الأرواح والخسائر؟ وبالمناسبة فهذه نقطة ضعف خطيرة فى مشروعهم، إذ هم يحبون الدنيا حبا جما ولا يريدون أن يموتوا أو يخسروا، بل يريدون الحصول فى الحرب على كل شىء دون دفع ضريبته. وينبغى أن يتنبه المسلمون لذلك ويأخذوهم من هذه الثغرة التى هى كفيلة بإحداث قدر كبير من التوازن المفقود فى القوة والسلاح بيننا وبينهم. وهذا هو السر فى الخُنَى التى تتملكهم عند طَرْق موضوع

الجهاد والشهادة فى ميدان القتال. إننا نواجه عدوًّا شرسا خبيثا عاتيا فى الإجرام والمراوغة، عدوًّا يخطط لكل شىء ولا يترك شيئا تحت رحمة المصادفة، إلا أن الله محبط كيده إذا قام المسلمون بواجبهم رغم تأخر هذا القيام بالواجب زمنا طويلا.

من هنا فقول المؤلف إن الإسلام ليس دين سلام هو قولٌ مجافٍ للحقيقة، لا لأنى أريد أن أصور الإسلام بأنه دين سلام. أبدا، فأنا لاً أنوى أن أقول هذا، إذ هو مخالف لنصف الحقيقة، تلك الحقيقة التى تتمثل فى أن دين سيد الأنبياء والمرسلين هو دين سلام إذا كان الطرف الآخر يبغى سلاما، ودين حرب إذا فُرِضَت عليه الحرب فرضا، ولم يكن هناك أى مجال لتجنبها، وإن كان مع هذا يؤثر السلام ويدعو إليه ويريد أن يعيش مع الآخرين فى ظلاله الوارفة ما أمكن وما وجد استجابة لدعوته الكريمة. هذه هى الحقيقة بكل بساطة وصدق، ولا إخال أن هناك من يعترض على ذلك، فضلا عن أن يكذب وينافق متظاهرا بالتسامح كأى ثعلب مارد خبيث يلبس مُسُوح المتقين، وهو مجرم زنيم! أما قول المؤلف إن الجهاد يشكل الركن السادس للإسلام مخالفا بذلك ما قرره صاحب هذا الدين نفسه، فإنه لا يضايقنى مع ذلك، إذ ينبغى أن نتخذه فرصة لتنبيه الغافلين والمغفلين والعملاء المثبّطين جميعا إلى أننا ينبغى أن نُولِىَ مبدأ الجهاد اهتماما أكبر مما نُوليه إياه الآن، ونعرف أننا نواجه أبالسةً شياطينَ لا بشرًا منصفين يعرفون الرحمة والإنسانية، وبالتالى فلا بد أن نُرِيَهم العين الحمراء التى لا يفهمون لغة غيرها. وهذا

هو دور الجهاد الحربى ورجاله البواسل، هؤلاء الذين لولا هم لكانت أمريكا قد أكلت البلاد العربية الآن أكلا فلم تُبْقِ منها شيئا أو تَذَرْ! وذلك رغم قلة أولئك الرجال البواسل بالنسبة لحجم الأمة، فما بالنا لو انتشر الإيمان بذلك النوع من الجهاد الانتشار المطلوب فى ظل الظروف التى تحيط بنا فى أيامنا هذه الكئيبات؟ على أن الجهاد الحربى لا يكفى رغم هذا وحده، إذ ليس هو إلا لونا واحدا من الجهاد يحتاج إلى مساندة الألوان الأخرى من جهاد سياسى إلى جهاد اقتصادى إلى جهاد علمى إلى جهاد دعوى إلى جهاد صناعى إلى جهاد تجارى إلى جهاد أدبى إلى جهاد فنى إلى جهاد إدارى إلى جهاد تربوى إلى جهاد صحى... إلخ، وإلا فحتى لو انتصرنا على عدونا بعبقرية الجهاد العسكرى للفدائيين البواسل وكرامة الشهداء وتضحياتهم فإن العدو، بعد أن يُهْزَم، سوف يعود حتما إلى بلادنا كرة أخرى يحاول من جديد ضرْبنا وأكْلنا ما دام يرى أن أوضاعنا لم تتغير وأننا لا نزال كالعهد بنا ضعفاء متخلفين، مما يغريه بممارسة الشر الذى جُبِل عليه، إذ إن هجومه علينا واغتصابه حقنا لا يكلفانه شيئا ذا بال، فلماذا إذن لا يضربنا ويأكلنا؟

وهنا يفاجئنا الكاتب بشىء غريب لا يدخل العقل ولا يقبله المنطق، إذ يزعم أن السيد المسيح قد تنبأ بأن المسلمين سوف يعذبون النصارى ويقتلونهم، وهو ما حدث حسب ادعائه. والعبارة التى يقول إنها تتضمن نبوءة المسيح المذكورة هى كما جاء فى أول الإصحاح

السادس عشر من إنجيل يوحنا: "سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لله". وهذه الجملة عبارة عن جزء صغير جدا من خطبة خطبها السيد المسيح فى تلاميذه قُبَيْل القبض عليه وصَلبه حسبما يقول مؤلفو الأناجيل. وقد كان هذا كافيا وفوق الكافى فى إدحاض هذا الكلام السخيف، إذ الكلام موجه إلى التلاميذ، والمسيح يقول لهم إن هذا هو ما سيحدث لهم. فهل رأى أى من المسلمين هؤلاء التلاميذ؟ وهل قتلوا أحدا منهم؟ وأين تلك المجامع التى أخرجوهم منها، والمجامع (synagogues)، كما نعرف، هى معابد اليهود الصغيرة؟ هل سمع أحد بشىء من ذلك؟ اللهم لا! بل هل وقع يوما أنْ أخرج المسلمون النصارى من كنائسهم؟ ولا هذه أيضا! ولا أريد أن أمضى فأبين ما فى تلك الخطبة المنسوبة للسيد المسيح من تناقضات وخروج على المنطق مما لا يمكن أن يكون قد قاله عليه السلام، فإن الوقت والظروف لا تسمح بهذا، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله. ولهذا سأكتفى بمثال أو مثالين، كى يعرف القارئ أن الحائط الذى يستند إليه الكاتب حائط مائل لا يصلح للاستناد إليه بتاتا.

فمن ذلك أن المسيح عليه السلام يتكلم فى خطبته عن المُعَزِّى، وهم يفسرون المُعَزِّى بأنه الروح القدس. لكن المسيح يقول إن هذا المُعَزِّى سوف يبكِّت العالم على خطيئة وبر ودينونة، فمتى بكَّت الروحُ القدسُ العالمَ على تلك الأشياء أو على غيرها؟ الواقع أنه لم يحدث شىء من هذا قط! لقد ألهم الروحُ القدسُ كُتّابَ الأناجيل حسب

اعتقاد النصارى، لكنهم لم يبكّتوا العالم، لسبب بسيط هو أنهم لم يخاطبوا العالم ولا حتى كتاب الأناجيل الذين يعتقد النصارى أنهم ألهموهم، إذ الإلهام شيء غير المخاطبة والتبكيت. وبالمثل يتحدث المسيح عن قتل الحواريين كلهم، فهل قُتلوا جميعا كما تنبأ لهم؟ ولا هذه أيضا! أي أن النبوءة التى ينسبونها له لا تساوى شيئا، لأنها ببساطة لم تقع كما تنبأ، أو بالأحرى: لم تقع كما قيل إنه تنبأ. وفى مفتتح الإصحاح الذى يلى ذلك نرى كاتب الإنجيل يقول على لسان المسيح عليه السلام إن الله قد أعطاه سلطانا على الأجساد، مع أنه هو نفسه قال قبل ذلك إن مملكته ليست من هذا العالم، كما أنه لم يكن يهتم قط بالجانب الجسدى من الإنسان، بل بالجانب الروحى: "١تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ:«أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، ٢إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. ٣وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ".

ومما يشغب به كاتبنا على القرآن أيضا ادعاؤه المبطل أن القرآن يضع المسلمين فى منزلة أعلى من كل أبناء آدم وحواء. وهو كلام كاذب بالثلث إذا كان المقصود به تفضيلهم على البشر كما يعتقد اليهود فى تفضيل الله لهم على سائر العباد مهما فعلوا ومهما عَصَوْا ومهما كفروا، وحتى لو عاقبهم الله على كفرهم وعصيانهم. ذلك أن النص الذى فى القرآن هو: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" (آل عمران/ ١١٠)، ومعناه أن المسلمين هم خير أمة ما داموا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله. ومعناه أيضا أن هذا الأمر لا يحتكره المسلمون، بل يمكن أن يشركهم فيه أى أحد ما دام يتقيد بذات الشروط: "ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم". أى لو أن أهل الكتاب آمنوا بالرسل جميعا واليوم الآخر وعملوا الصالحات لشاركوا فى استحقاق هذه الخيرية هم أيضا. أما إذا خرج المسلمون على مقتضيات هذه الشروط فلا أفضلية لهم.

وها نحن أولاء لا نكف هذه الأيام عن انتقاد أنفسنا قائلين إن ما يقع على يافوخنا من مصائب وكوارث إنما هو من صنع أيدينا بسبب تخلينا عن مبادئ ديننا التى نؤمن أنها تمثل القيم الحضارية السليمة فى كل جوانبها من عبادات ومعاملات وعلوم وأخلاق وأعمال صالحات وإبداع علمى وأدبى وما إلى ذلك، وأن القدر لا يحابى أو يظلم أحدا، وأن السنن الإلهية لا تعرف التمييز بين البشر، بل تعطى من يعطيها وتحرم من يتكاسل ولا يبذل الجهد المطلوب، وأننا لو استمررنا على هذا الوضع ولم نحاول تغييره فقدنا الآخرة أيضا. ألم يقل القرآن المجيد فى الآية ١٦ من سورة "الحديد" مثلا: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ"؟ أليس معنى ذلك أن المسلمين يجرى عليهم ما يجرى على غيرهم، فإذا لم تخشع قلوبهم لذكر

الله ولم يطبقوا ما يُؤْمَرون به ولم يتجنبوا ما يُنْهَوْن عنه قَسَتْ قلوبهم مع تطاول الأيام والاستمرار على العصيان وصاروا من الفاسقين، بالضبط كما وقع لأهل الكتاب من قبلهم؟

ويؤكد هذا ما نقرؤه في القرآن من قوله عَزَّ مِنْ قائل في سورة "محمد": "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ (٣٤) فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)".

وفي الحديث النبوي الشريف من صحيح البخاري: "إنكم محشورون حفاةً عراةً غُرْلاً، ثم قرأ: "كما بدأنا أول خَلْق نُعيده وَعْدًا علينا إنا كنا فاعلين". وأول من يُكْسَى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتَهم. فأقول كما قال

العبد الصالح (أي عيسى): "وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)". وفي أحاديثه صلى الله عليه وسلم حسبما ورد في سنن أبي داود: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأَكَلةُ إلى قصعتها. فقال قائل: ومنْ قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. وَلينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوَهن. فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت". فأين التفضيل المطلق للمسلمين في القرآن إذن؟

وعلى هذا فليس هناك موضع لما قاله كاتبنا بُعَيْد ذلك من أن المسلمين يتباهَوْن بإيمانهم ويتيهون على الآخرين. ذلك أن المسلم يعرف تمام المعرفة أنه لو تاه بإيمانه أو بعمله لسقط في الامتحان وباء بسَخَط من الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن العربي: "إنّ رجلا كان عاصيا فحلف رجل أنه لا يُغفر له، فغفر الله للمذنب وسخط على المتألي". ومن رواية الحافظ العراقي "أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال: ارفع، فوالله لا يغفر الله لك. فأوحى الله إليه: أيها المتألي عليّ، بل أنت لا يغفر الله لك". وهذا هو الموقف الإسلامي الذي ليس هناك موقف مقبول سواه. ذلك أنه إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من هو، قد أُمر في القرآن رغم اتصاله بالسماء أن يقول: "قُلْ لا أَمْلِكُ

لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الأعراف/ ١٨٨)، "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)"، فما بالنا بالمسلم العادى الذى ليس بنبى ولا رسول؟ وليس معنى هذا أن الله قد ترك نبيه دون أن يُعْلمه بمصيره، بل معناه أن ذلك شأن من شؤون الله لا يملك بشر مهما كان، حتى لو كان هو النبى محمد نفسه، أن يقرره. وهذا قمة التواضع، وإلا فإن لم يدخل محمد عليه الصلاة والسلام الجنة، ويكون على رأس الداخلين، فمن إذن؟

ولقد حدث أن اجتهد عليه الصلاة والسلام ذات مرة بمكة فاحتفى ببعض كبار المشركين القرشيين المتعنّتين حين جمعته الظروف بهم فى مجلس هادئ، متصورا أنها فرصة لا تسنح بسهولة، فأقبل عليهم يدعوهم إلى الإسلام ويزين لهم الدخول فيه منتهزًا تلك السانحة التى لا تتوفر بهذه السهولة أو بذلك الهدوء. وهنا تسوق الأقدار ابن أم مكتوم الأعمى الفقير، جاء يسأل فى بعض أمور دينه، مما رأى النبى أنه يمكن تأجيله حتى يفرغ من دعوة هؤلاء المشركين، إذ أمام ابن أم مكتوم وغيره من المسلمين الوقت كله يأتونه متى أرادوا ويستفسرون منه براحتهم عما يشاؤون، أما هؤلاء المشركون المتعنتون فما كل يوم تتاح مثل هذه الفرصة الهادئة لدعوتهم إلى الإيمان بالدين الجديد. فما كان من القرآن إلا أن نزل صادعا بالآيات التالية فى مفتتح سورة "عبس": "عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ

جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢)". فأين هذا مما يحكيه لنا مؤلفو الأناجيل فى القصة التالية التى ننقلها عن الإصحاح الخامس عشر من الإنجيل الذى يقال إن متى كتبه: "[٢١]ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. [٢٢]وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». [٢٣]فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» [٢٤]فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». [٢٥]فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» [٢٦]فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». [٢٧]فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا!». [٢٨]حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ"؟

ومن هنا نفهم ما أُثِر عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه من أنه لا يأمن مكر الله حتى لو كانت إحدى قدميه فى الجنة! وهو لون من الإخبات العجيب لله سبحانه مصدره الخشية الشديدة منه عز وجل، وإن كان من الممكن أن تدفع مثل هذه الخشية مسلما آخر إلى أن يلوذ

بإحسان الظن بربه والركون لرحمته سبحانه وكرمه، لمعرفته أنه مهما يفعل فلن يستطيع الاطمئنان إلى نجاته لولا لطف الله. إن أبا بكر إذ يصنع ذلك إنما هو أحد التلاميذ النجباء فى مدرسة العظمة المحمدية، ومن ثم فلا غَرْوَ ولا غرابة! ولقد سمعت منذ سنتين أو نحوهما فى التلفاز مبشرة أوربية تعمل فى بعض البلاد العربية تؤكد أنها ناجية لأنها لم ترتكب ما تستحق عليه العقاب من الله، فاستغربت أشد الاستغراب من ذلك اليقين الذى لا أدرى من أين أتت به! لو أنها قالت مثلا إنها تثق فى رحمة الله وإنها تنتظر غفرانه لها وبرّه بها لأنه هو البَرّ الرحيم لكان للكلام معنى، بقطع النظر عن أنها إنما تعبد بشرا مثلها وتكفر بنبى من أنبياء الله هو محمد عليه السلام! أما أن تقطع بأنها ناجية فهذا مما لا يعرفه الإسلامُ المتهَم من قبل كاتبنا وأشباهه بأنه يعلم أتباعه الكبر والغرور والثقة الكاذبة فى مصيرهم الأخروى!

ذلك أنها بهذه الطريقة إنما تتألى على الله، بل تضع نفسها موضع الألوهية أو تكاد، وهو موقف يتسق مع ما هو منسوب فى الإصحاح الثامن عشر من إنجيل متى للسيد المسيح فى قوله لحوارييه: "[١٨]اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ. [١٩]وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، [٢٠]لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ"، وكذلك ما نسب إليه من قوله لهم حسبما

جاء فى الإصحاح العشرين من إنجيل يوحنا: "٢٣مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ"، ودعنا الآن من قول المسيح عليه الصلاة والسلام عن نفسه طبقًا لما وضعه كاتب إنجيل متى فى الفقرة السادسة من الإصحاح التاسع على لسانه مخاطبا تلاميذه: "لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابن الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا" . فأى الفريقين إذن يا ترى هو الذى يتصرف بوحى من غروره وتكبره ومباهاته بما يعتقده ويعمله؟ أترك الجواب للقراء .

ويتبقى كلام كاتبنا عن الردة وتشنيعه على حدها كما يفهمه كثير من فقهاء الإسلام. ولن أطيل القول فى التنبيه إلى أن هناك علماء مسلمين لا يرون أن ثمة موضعا لشىء اسمه حد الردة فى الإسلام، وإن كان عدد المنكرين لهذا الحد قليلين بالنسبة لمن يرون وجوده، لكنى سأحيل صاحبنا المتنطس المنافق (الذى يذكّرنا بالفرّيسيّين على عهد السيد المسيح حسبما تروى الأناجيل أخبارهم ومشاغباتهم له صلى الله عليه وسلم) إلى النصوص التالية المتعلقة بالردة فى الكتاب المقدس حتى يخرس تماما ولا يفتح فمه بكلمة تشنيع كاذبة عن الإسلام، نعم الإسلام الذى يرى عدد من علمائه أنه لا حد للردة فيه بناء على أنه لا نص فى القرآن لعقوبة المرتد فى الدنيا، بل الذى فيه هو ألا إكراه فى الدين بأى حال وأنه من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، أما ما ورد فى الحديث منْ أمْرٍ بقتله فالمقصود به تبديل الولاء والركون إلى الأعداء، أى الخيانة العظمى. ومن هؤلاء العلماء الذين لا يرون حدا للمرتد (المرتد

فكريًا لا المرتد الخائن لدولته وأمته) الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المتعال الصعيدى...

يقول كاتب سفر التثنية فى بداية الإصحاح الثالث عشر: "إذَا قَامَ
فِي وَسَطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلْمًا، وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً، ٢وَلَوْ حَدَثَت
الآيَةُ أَو الأُعْجُوبَةُ التِي كَلَّمَكَ عَنْهَا قَائِلاً: لِنَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ
تَعْرِفْهَا وَنَعْبُدْهَا، ٣فَلاَ تَسْمَعْ لِكَلاَمِ ذلِكَ النَّبِيِّ أَو الحَالِمِ ذلِكَ الحُلْمَ، لأَنَّ
الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِكَيْ يَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ
وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ. ٤وَرَاءَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ تَسِيرُونَ، وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ، وَوَصَايَاهُ
تَحْفَظُونَ، وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، وَبِهِ تَلْتَصِقُونَ. ٥وَذلِكَ النَّبِيُّ
أَو الحَالِمُ ذلِكَ الحُلْمَ يُقْتَلُ، لأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالزَّيْغِ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الذِي
أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ العُبُودِيَّةِ، لِكَيْ يُطَوِّحَكُمْ عَنِ
الطَّرِيقِ التِي أَمَرَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ
بَيْنِكُمْ. ٦وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَو ابْنُكَ أَو ابْنَتُكَ أَو امْرَأَةُ
حِضْنِكَ، أَوْ صَاحِبُكَ الذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلاً: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى
لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ ٧مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الذِينَ حَوْلَكَ، القَرِيبِينَ مِنْكَ أَو
البَعِيدِينَ عَنْكَ، مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، ٨فَلاَ تَرْضَ مِنْهُ وَلاَ تَسْمَعْ
لَهُ وَلاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَلَيْهِ، وَلاَ تَرِقَّ لَهُ وَلاَ تَسْتُرْهُ، ٩بَلْ قَتْلاً تَقْتُلُهُ. يَدُكَ
تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا. ١٠تَرْجُمُهُ
بِالحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، لأَنَّهُ التَمَسَ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِكَ الذِي

أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. ١١فَيَسْمَعُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ
وَيَخَافُونَ، وَلاَ يَعُودُونَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ الشِّرِّيرِ فِي وَسَطِكَ. ١٢إِنْ
سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَسْكُنَ فِيهَا قَوْلاً:
١٣قَدْ خَرَجَ أُنَاسٌ بَنُو لَئِيمٍ مِنْ وَسَطِكَ وَطَوَّحُوا سُكَّانَ مَدِينَتِهِمْ قَائِلِينَ:
نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا. ١٤وَفَحَصْتَ وَفَتَّشْتَ وَسَأَلْتَ
جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ وَأَكِيدٌ، قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي وَسَطِكَ،
١٥فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا
فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٦تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا،
وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاًّ إِلَى
الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ. ١٧وَلاَ يَلْتَصِقْ بِيَدِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمُحَرَّمِ، لِكَيْ يَرْجِعَ
الرَّبُّ مِنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ، وَيُعْطِيَكَ رَحْمَةً. يَرْحَمُكَ وَيُكَثِّرُكَ كَمَا حَلَفَ
لآبَائِكَ".

ومعروف أن السيد المسيح قد أكد أنه ما جاء لينقض ناموس موسى، ومنه هذا الحكم الذى من الواضح أنه أشد كثيرا من حكم الإسلام عند القائلين من فقهائه بحد للمرتدين، إذ لا بد عندهم من استتابة المرتد أولا وإعطائه الفرصة لمراجعة نفسه وإعادة النظر فيما شك فيه وأدى به إلى الارتداد، بخلاف الحكم هنا فى سفر التثنية، الذى ليس فيه أى كلام عن استتابة أو ما يشبهها، بل القتل الوحىّ. وهذا الحكم لم ينسخه السيد المسيح فيما نظر فيه من أحكام العهد القديم البتة إن كان لنا أن نصدق أنه نسخ أى شىء من تلك الأحكام ما

دام قد أكد أنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمله، فهو إذن لا يزال ساريا لم يُنسَخ بعد طبقا لما فى الكتاب المقدس: لا على يد عيسى بن مريم ولا على يد بولس. وكلنا يعلم ما انتهجته الكنيسة فى العصور الوسطى من تكميم للأفواه وسَلْسَلة للعقول والقلوب بسلاسل من فولاذ ونَصْب لمحاكم التفتيش التى تحفر وتغوص فى أعماق الضمائر وتحرق وتسلخ كل من يتلفظ بأى شىء يخالف ما جاء فى الكتاب المقدس حتى لو كان متعلقا بالعلوم الطبيعية التى لا علاقة لها بالدين على ما هو معروف فى تاريخ أوربا فى تلك العصور السوداء. لا، بل ما زالت بعض الكنائس من حولنا حتى وقت الناس هذا تُنزل من صنوف التنكيل بمن ترى أنه ارتد عن النصرانية بالمَهُول المُسْتَبْشَع! فما قول ذلك المتطاول إذن؟

هذا، وقد وقعتُ لى دراسة مكتوبة بقلم أنطونى سوليفان (Antony T. Sollivan) ومنشورة فى موقع " Media Monitors Network" بعنوان " The West, Mediterranean Islam and The Search for a New Beginning"، فألفيته يتكلم عن الجهاد كلام الفاهم المدرك لأبعاد القضية، وبدا الأمر فى بعض الأحيان وكأنى أنا الذى كتبتُ ما كتب لا هو. فأحببت أن أنقل فقرة من الدراسة المذكورة تلخص موقف الرجل كى يرى القارئ ما يعتنقه فريق من الغربيين من أفكار عن الإسلام

تختلف فى مضمونها وطريقة عرضها عما يردده سائرهم. وهذه هى الفقرة المشار إليها:

"It may be especially important for Westerners to understand that the Quran specifically forbids any imposition of Islam on non-Muslims by force. The Quran endorses free will, as represented by the freedom it accords each individual to choose whether to believe or not to believe. On the subject of religious tolerance, the Quran is categorical: "There shall be no compulsion," it states, "in matters of faith" (2:256). "The truth is from your Lord," the Quran states, "so let him who pleases believe; and let him who pleases disbelieve" (18:29). The Quran states elsewhere: "Say: O Mankind! Indeed there has come to you the truth from your Lord. Whosoever, therefore, chooses to follow the Right Path, follows it but for his own good, and whosoever chooses to go astray, goes astray but to his own hurt" (10:108). To the degree to which Muslims or self-proclaimed Islamic regimes have in fact violated such injunctions prescribing tolerance and religious pluralism, they have grossly transgressed against the most fundamental tenets of Islam itself".

ثم بعد قليل وجدت سوليفان ينقل من كتاب " Ecumenical Jihad: الجهاد المسكونىّ" لبيتر كريفت (Peter Kreeft) الأستاذ بكلية بوسطن عدة فقرات يتخيل فيها حوارًا دار بينه وبين النبى محمد بناء على اقتراح من بوذا، الذى أكد له أنه لن يستطيع أن يجد أحدا آخر غير هذا الرجل (يقصد محمدا عليه الصلاة والسلام) يدله على جوهر الدين الحق. وفعلا شرح له الرسول الكريم أن الدين الحق يتلخص فى كلمة واحدة هو "الإسلام"، أى التسليم لله سبحانه والعُنُوّ لإرادته ركوعا بالجسد وسجودا بالروح وما ينتج عن ذلك من سلام ليس فى إمكان العالم توفيره، ومن ثم فشل الغرب فى الحصول على هذا السلام، إذ الغرب مشغول على الدوام بنفسه وبرغباته دون العبادة والإخبات إلى الله وما يستلزمه ذلك من نسيان الذات بعض الشىء. ثم انخرط الرسول فى الصلاة وخَرّ راكعا وشرع يبتهل إلى ربه، وراح كريفت يفكر فى سبب الانتشار الكاسح للإسلام فى عصرنا، وبدا له أنه راجع إلى ما يتحلى به المسلمون من طاعة لربهم وإخلاص فى دينهم، على عكس ما يسود العالم من حولهم من كفر وعصيان. وحين قال له الرسول إن الوقت الحالىّ هو وقت الجهاد أجابه كريفت بأن النصرانية، على العكس من الإسلام، تدعو إلى أن نحب أعداءنا لا أن نشن الحرب على الناس، فبين له النبى أن الجهاد موجه أولا وقبل كل شىء إلى داخل الإنسان لمحاربة نزغات الشيطان لا لمقاتلة الآخرين دون مسوغ، وأن الجهاد فى الإسلام هو من ثم السبيل إلى إحراز السكينة والسلام. وحين يرد

كريفت بأن المسلمين مشهورون بالعنف يجيء رد الرسول الكريم بأن عليه الالتفات إلى ما يأتيه الأيرلنديون الشماليون مثلا من عمليات عنيفة قبل أن يتهم المسلمين بذلك، وبخاصة أن الذين يفهمون الجهاد بهذا المعنى لا يشكلون أكثر من ثلاثة فى المائة من عموم المسلمين، وكذلك عليه ألا ينسى ما يلطخ صفحات التاريخ الأوربى من جرائم الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش والإكراه الدينى ومعاداة السامية والحروب الطائفية. . . إلخ، وهو ما جعل كريفت يشعر بالعجز عن مجاراة هذا المنطق البسيط المستقيم ويدفعه إلى التسليم بما يوشّيه من صدق وحق. ومن المهم أن نعرف السياق الذى ورد فيه هذا الحوار، إذ جاء خلال كلام سوليفان عن ضرورة مراجعة الغربيين لما يقولونه عن دين محمد عليه الصلاة والسلام. وقد أورد سوليفان اقتباسه هذا من كتاب كريفت دليلا على أن بين الغربيين من استطاعوا القيام بهذه المراجعة بنجاح، ومنهم البرفيسور المذكور:

"The dialogue begins when a departing Buddha, with whom Kreeft had just completed a discussion, says, "This [next] man will teach you more about religion than Confucius or [I].... He will teach you the heart and soul of all true religion." Kreeft confesses to being "shocked" by this, since the man who now appeared before him was clearly Muhammad. "So I asked [Muhammad]," Kreeft writes, "What is the

heart and soul of all true religion?" And the answer "came from [him] in a single word: `*Islam* - surrender - and the peace that comes from surrender, the peace that the world cannot give, that comes only from total surrender to the will of God. This is the heart and soul of all true religion.... The only true first step is adoration, the bent knee and the bent spirit, surrender, *Islam*.'" Muhammad goes on to utter a warning:

You [Westerners] are not winning your world, you are not winning your jihad, your spiritual warfare; your world is sliding down the road to Hell. Why? Why have you lost a century to the devil? [It is] because you prattle about yourselves and your freedoms and your rights and your self-fulfillment rather than forgetting yourself and adoring and obeying the Lord ... the child you must become again if you are to enter His Kingdom. The saying is His, not mine. I am only His prophet. He is the One than whom there is no other. *La ilaha ill-Allah.*

And Muhammad then fell to his knees, Kreeft writes, "and bowed his back and prayed."
Kreeft continues:

The comfortably condescending cultural chauvinism with which I had always unconsciously viewed those holy Arabic words and that holy Arabic deed seemed to have suddenly died in me.... I wondered ... whether my world could ever be saved in any other way.... I suspected then that the explosive growth of Islam in our time might be due to a simpler cause than any sociologist had yet discovered: that God blesses obedience and faithfulness, especially when surrounded by unfaithful and disobedient cultures.

Meanwhile, Muhammad had more to say:

The religion I taught my people was the simplest one in the world. There are times that call for complexity, and there are times that call for simplicity. Today is a time when `simplistic' is the favorite sneer word of a decadent, arrogant, corrupt, and aggressively anti-God establishment. So what time do you think it is today?

Kreeft: "I had nothing to say, so Muhammad answered his own question. Muhammad: "It is time for a jihad, a holy war, a spiritual war.... [I]t is time to wake up

to the fact that, whether you like it or not, you are in the middle of one."

Kreeft: "But we are commanded to love our enemies, not to make war."
Muhammad: "We love our human enemies, we war against our spirit enemies."
confusing the two and fighting literal holy wars?"
Muhammad: "Some. About three percent of Muslims in the world believe that jihad means physical war, killing infidels. But the Quran makes it quite clear that this war is first within oneself and against one's own sins and infidelities."

Kreeft: "But your people, the Arabs, are world-famous for violence."

Muhammad: "Unlike your people in Northern Ireland, I suppose."

Kreeft: "But your whole history is full of--"
Muhammad: "Crusades and inquisitions and forced conversions and anti-Semitism and religious wars?"

Kreeft: "I quickly realized that my `argument' was going nowhere except to

blow up in my face." Thereupon Muhammad continued more gently:

Let me try to explain. Islam and jihad are intrinsically connected. For *Islam* means not only `submission' but also `peace,' the peace that the world cannot give, the peace that only God can give when we submit to Him. And this submission requires the inner jihad, a war on our war against God. So we get the paradoxical result that peace (*Islam*) is attained only through war (jihad). And this peace also *leads* to war, because the submission that *is* this peace requires us to obey God's will, and God's will for us is to become spiritual warriors against evil".

Is Islam Above Criticism?

Al-Maqdesi & Solomon
(The Christian Institute for the Analysis of Islam)

Much is being stated regarding the boycott of Denmark because of a cartoon drawing allegedly depicting the prophet of Islam.

The crisis began last September 2005 when Jyllands-Posten, a Danish Newspaper, published cartoon drawings one of which depicted Muhammad as a terrorist. Subsequently these very cartoons appeared in a Norwegian daily, too.

Soon there were demonstrations of protest by Muslims in Denmark and number of Islamic countries against the publishing of the cartoons.

However, last week there began a series of reactions in Arab and Islamic countries protesting against the publishing of Danish drawings. For example, on 30 January 2006, a number of armed Palestinian stormed the offices of the European Union in Gaza demanding an apology from Denmark and Norway.

Saudi Arabia recalled its ambassador from Denmark and Libya followed likewise.

The Libyan foreign ministry issued a communiqué stating that Libya had decided to take economical measures against Copenhagen as protest for the failure of Danish authorities to take any measures against the Newspaper Jyllands-Posten.

The Syrian foreign office issued a strong worded statement denouncing this prolonged offence against both Arab and Islamic communities. The statement added that Syria calls upon the Danish government to take the necessary steps to punish the culprits and to see that such offences are not repeated in the future.

In Jordan the Danish ambassador was summoned by Abdallah Al-Khatib, Minister of foreign Affairs to express Jordan's protest. While the Egyptian Parliament called upon its government to withdraw its ambassadors from Denmark and Norway, and the Hezbollah in Lebanon described the drawings as a grave offence to Islam.

Along the same line significant number of Kuwaiti religious scholars called upon the members of the Kuwaiti parliament to see how to put an end to such offences against the feelings of Muslims.

The Arab foreign ministers denounced the Danish government for its refusal to take any action against the newspaper, expressing their disappointment with the European Human Rights organizations that have in their view failed to take a firm pro-Islamic position in this case.

On the other hand, hundreds of Kuwaitis demonstrated in front of the Danish consular offices demanding an apology from the Danish government to apologise to all the Muslims, calling to stop the insult to their Prophet and the Islamic religion as well as encouraging the people of Kuwait to boycott all Danish products.

In Yemen the protestors demanded the boycott of both Norwegian and Danish products until such time they apologise for the publishing these offensive pictures of their prophet.

While in United Emirates Muhammad Bin Nakhyara A'zahiri the Minister of Justice, Islamic affairs and endowments criticised the drawings depicting the prophet as an immoderation and excess of all acceptable intellectual norms and in no way it could be regarded as freedom of

expression as stated by the Danish authorities.

Almost everywhere in the Gulf businesses have withdrawn Danish products from their stores and major outlets in Saudi displayed notices stating 'we do not sell Danish products.'

People all over the Arab World wrote messages encouraging each other to boycott Danish goods.

Why such a severely escalated reaction by Arab and Islamic countries to some cartoon drawings? Despite the regret and apology expressed by the Newspaper.

Logic must be challenged with logic, and reason must never be allowed to be silenced by the sword and violence of corporate punishment, a boycott of products of a country or a withdrawal of ambassadors and the burning of flags..

This kind of suppression of freedom of expression has no place in the free Western society.

What is ridiculous yet disappointing, those zealots for Islam think that they would punish the West by imposing a policy of corporate humiliation and starvation in order

to demand respect for Islam gagging all and every voice of opposition.

Our question to those who are demanding the boycott of Danish and Western goods is – what if the West were to cut them off from supplying their products, aid, security and protection, both medical and technical expertise, deny educating their children, and cut off their protection security!

Why this bias to what has happened in Denmark and the refusal to see or hear what the mass media in the Arab and Islamic world has and continues to publish and broadcast in offensive and insulting lingo and the undermining of the rights of Jews, Christians and their religious beliefs? Shouldn't justice and injustice be the same for all?

Do we understand by this reaction and peppery response of the Arabs and Muslims towards the cartoon artist that anything that might offend or vilify a certain religious group would be punitive!

If the true reason behind the rage and the reaction of the Muslims is their concern for equal respect of all religions and its icons, then shouldn't the Jews and the

Christians be entitled for the same reasons to be enraged and file an international law suit against the Qur'an for its incitement against the Jews and the Christians, and their humiliation propagated by it?

Could his majesty, the King of Saudi, clearly state to the Westerners generally and Danes particularly, both required to respect Islam, who is it that sura 1:7 is referring to "on whom Allah has bestowed his wrath and those who have gone astray".

Aren't they the Jews and the Christians?!

Would the Muslims kindly inform the West and the Westerners who are required to respect Islam? Who is it that is being referred to in sura 7:176, "his similitude is that of a dog, if you attack him he lolls out his tongue or if you leave him alone he still lolls out his tongue that is the similitude of whose who reject our signs"?

Isn't this a corporate reference to the Jews?

And then few verses further 7:179, states "many are the jinns and men we have made for Hell, they have hearts they understand not, eyes wherewith they see not, and ears wherewith they hear not. They are

like Cattle nay more misguided for they are heedless."

Again all Islamic expositors and their manuals say that it is the Jews that are being referred to here.

Not only as dogs, cattle but now donkeys as per sura 62:5 "the similitude of those who were charged with the Mosaic Law but who subsequently failed in those (obligations) is that of a donkey which carries huge tomes. Evil is the similitude of people who falsify the sings of Allah. And Allah guides not people who do wrong."

"As if they were affrighted asses", sura 74:50

"those who incurred the curse of Allah and His wrath those of whom some He transformed into apes and swine" sura 5:60, godless and iniquitous as per Sura 2:59, 5:25,47; unjust and transgressors, Sura 5:45; hypocrites, 63:8; apostates, 9:30, 4:155, 171; polytheists 9:28,30. And they are the ones who corrupted and tampered with the Scriptures, 2:75ff, 4:46, and 3:78; worshipped their leaders as gods, sura 9:31; spread corruption on earth, 5:33,64.

How can respect of the other - meaning the non-Muslims - be achieved when the

Qur'an depicts them with most humiliating terms?

Is it out of respect that the Qur'an describes the non-Muslims as profane; sura 9:28 "O ye who believe, truly the pagans (non Muslims) are profane so let them not after this year of theirs approach the sacred Mosque." Thus Mecca remains exclusively an Islamic city, non-Muslims barred.

The Qur'an declares the Christians have been declared as apostates for their belief in the divinity of Christ by the Qur'an. So, based on this, would it be appropriate for the USA to confiscate and censor all the Islamic books and arrest whosoever of the Muslims reiterates that? If the USA were to require Muslims to delete or abstain from publishing the verses of the Qur'an that declares Christians to be apostates, what would be the reaction of Muslims?

How would they describe the USA?

As stated above, the Qur'an declares the Jews to be monkeys and swine and that they worship Ezra ... so would it be appropriate for the Jewish State to arrest Muslims with the charge of incitement of racial and religious hate and forbid them publishing and distributing Islamic books or the

Qur'anic verses that despise the majority in the Jewish State?

How can the Muslims demand from others to respect Islam and their beliefs and their religious icons while the Qur'an commands the humiliation and the killing of non-Muslims for simply not embracing Islam as their religion, Sura 9:29?

The publishing of cartoon drawings has been regarded and taken as an affront to Islam, how would they describe the Qur'anic injunctions that incite Muslims towards hate and murdering the other, i.e. the non-Muslims?

Can his royal Majesty, the king of Saudi Arabia, state to Westerners generally and to the Danes particularly of whom it is required to respect Islam that all Muslims are required and commanded by Allah in the Qur'an to hate all the Jews and the Christians of the World?

"O ye who believe do not take the Jews and the Christians as your friends ... 5:51

Who are these Jews and Christians that the Qur'an forbids the Muslims taking them as friends? Were they the Jews and the Christians of the time of the Prophet? Or are they the Jews and the Christians of every

age and every generation past, present and the future?

If the application of this injunction was limited only to the time of Muhammad; then does that mean it is no longer effective and applicable for our time and generation?

But if it is effective now and today would that not mean it is to be seen as a direct incitement of hate towards the Jews and Christians?

Could it be then that because of this verse as a basic and fundamental factor the result is a very poor relationship between Muslims and non-Muslims?

Don't the Muslims know the continued petitioning of Allah daily and especially on Fridays, a cursing that is pronounced from the pulpits of Mosques on the Jews and the Christians:

O Allah may you make the apostates against each other and the polytheists against their likes and bring out the Unitarians from them safely, with their spoils, O Lord of Worlds, O Allah. May their women be widowed, may their children be orphaned, may their blood freeze in their veins, may their food be stuck in their inner testines. O Allah, destroy them make their

miseries strong among them, O Allah grant us victory over them, O Allah send your punishment on them, bring division in the midst of their union, scattering them, disseminating their numbers. O Allah, grant us victory over them. O Allah may their snares be slaughtered and be scuttled within themselves. O Allah show us your power. O Mighty One and the Vanquisher, O Allah show us in them a dark day as in the day of A'ad and Thamud. O Allah, quake the earth under their feet, O Allah empower venomous creatures over them and send hail storms over them as you did over A'ad and Thamud and deliver them as captives in the hands of your believing slaves and humiliate the polytheists and, O Allah, lift up the banner of Islam ...

Why is it right and legal for Muslims to criticise, denounce, slander and vilify all other religions in any way they choose, particularly the Jews and Christians? However, if one were to respond by examining Islam critically the Muslims would consider that an abuse and vilification of Islam and would demand an apology, and even after the apology is given there will be no guarantee that the culprit would live.

Can it really be that critique of others is a virtue, an allowed action, halal and even obligatory for the Muslims but a vice and forbidden or haram for a non-Muslim?

Why don't we look more closely into what led to these cartoon drawings...?

Art, as we know, is a subjective perspective of what one perceives from one's point of view: What the cartoonist saw was the butchering of innocent people according to the Shari'ah, torture and assassinations by human bombs, car bombs. Suicide missions whose victims were and continue to be innocent men, women and helpless children. Indiscriminate killing, no distinction between military and civilian, old or young, man or woman, including babies, chopped heads, burnt bodies, human flesh fragmented, screaming children, wailing women, and all this in the name of Islam and the victory for Muslims.

We ask those who desire to punish the West by boycotting its products who is truly responsible for the marred image of Islam, not only in the West but worldwide? Aren't they those who kill and maim in cold blood, aren't they the followers of Islam?

Who was responsible for the bombing of New York, Madrid, London, Riyadh and Cairo, ... and the list can go on and on.

One wonders, who is the real culprit who imparted this image of Islam? Is it the Danish cartoon artist or the Muslim Mujahedeen?

After all this, do the Muslims still have the audacity to demand from others – the non-Muslims – to respect Muslims and Islam?

What justification and right do they have to object and demonstrate and demand that this is not freedom but an offence and vilification of Islamic sanctities?

Is Islam Above Criticism?: هل الإسلام فوق النقد ؟

Much is being stated: يقال (هذه الأيام) كلام كثير

the boycott of Denmark: مقاطعة الدانمرك

a cartoon drawing: رسم كاريكاتيرى

allegedly depicting the prophet of Islam: يصوّر نبى الإسلام فيما يقال

Subsequently: ونتيجةً لهذا

a Norwegian daily: صحيفة نرويجية يومية

demonstrations of protest: تظاهراتُ تنديد

a series of reactions: سلسلة من رودود الأفعال

a number of armed Palestinians stormed the offices of the European Union in Gaza: اقتحمت طائفة من المسلحين الفلسطينيين مكاتب الاتحاد الأوربى فى غزة

an apology: اعتذار

Saudi Arabia recalled its ambassador from Denmark and Libya followed likewise: استدعت المملكة العربية السعودية سفيرها فى الدانمرك، وحذت ليبيا حذوها

The Libyan foreign ministry issued a communiqué stating that Libya had decided to take economical measures against Copenhagen: أصدر وزير الخارجية الليبى بيانا ذكر فيه أن ليبيا قررت اتخاذ إجراءات اقتصادية ضد كوبنهاجن

as protest for: اعتراضًا على

the failure of Danish authorities to take any measures against the Newspaper Jyllands-Posten: عدم اتخاذ السلطات الدانمركية أية إجراءات ضد صحيفة يولاندس بوستن

The Syrian foreign office issued a strong worded statement denouncing this prolonged offence against both Arab and Islamic communities: أصدرت وزارة الخارجية السورية بيانا شديد اللهجة يدين هذه الإساءة المستمرة للأمتين العربية والإسلامية جميعا

the culprits: الذين ارتكبوا الجريمة

To summon: يستدعى

Minister of foreign Affairs: وزير الشؤون الخارجية

a grave offence: إهانة شديدة

Along the same line: وبالمثل

To denounce: يدين/ يجرّم

Disappointment: خيبة أمل

to take a firm pro-Islamic position: يتخذ موقفا صارما لصالح الإسلام

immoderation: تجاوزٌ لحدود الاعتدال

excess: تجاوُز

Norms: معايير

Outlets: محلات/ منافذ توزيع

To display notices: يعلق إعلانات

a severely escalated reaction: رد فعل تصعيدى قاس

Logic must be challenged with logic: الحجة بالحجة

corporate punishment: عقوبة جماعية

This kind of suppression of freedom of expression has no place in the free Western society: هذه المصادرة لحرية التعبير ليس لها مكان فى المجتمع الغربى الحر

Ridiculous yet disappointing: باعث على السخرية ومخيب للآمال معا

those zealots for Islam: أولئك المتعصبون للإسلام

by imposing a policy of corporate humiliation and starvation: بفرض سياسة الإذلال والتجويع الجماعى

gagging all and every voice of opposition: تخرسين كل صوت من أصوات المعارضة

goods: بضائع

technical expertise: الخبرة الفنية

this bias to...: . . . هذا الانحياز إلى

the mass media: وسائل الإعلام الجماهيرية

To broadcast: يذيع

in offensive and insulting lingo: فى لغة عدوانية ومسيئة

To undermine: يقوّض

justice and injustice: العدل والظلم

peppery response: رد الفعل العنيف

the cartoon artist: رسام الكاريكاتير

To offend: يُهين

To Vilify: يشوّه سمعة (فلان)

Punitive: (عمل) يستحق العقاب

Rage: ثورة غضب

their concern for equal respect of all religions and its icons: حرصهم على احترام جميع الأديان ورموزها على قدم المساواة

To be entitled for...: من حقه أن. . .

to be enraged: يثور غضبا

To file an international law suit against...: يرفع دعوى قضائية دولية ضد . . .

incitement against...: التحريض ضد . . .

humiliation: الإذلال

To propagate: يُشيع وينشر

Danes: الدانمركيون

To bestow on...: ينعم على/ يُنزل بـ . . .

on whom Allah has bestowed his wrath and those who have gone astray: المغضوب عليهم والضالون

the Westerners who are required to respect Islam: الغربيون المطالبون باحترام الإسلام

referred to: مذكور/ مشار إليه

He lolls out his tongue: يدلّى لسانه/ يلهث

his similitude is that of a dog, if you attack him he lolls out his tongue or if you leave him alone he still lolls out his tongue that is the similitude of whose who reject our signs:

فمثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا

heedless: غافل

many are the jinns and men we have made for Hell, they have hearts they understand not, eyes wherewith they see not, and ears wherewith they hear not. They are like Cattle nay more misguided for they are heedless: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يعقلون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها . أولئك كالأنعام، بل هم أضل. أولئك هم الغافلون

Islamic expositors: المفسرون المسلمون

Manuals: كُتُب

the similitude of those who were charged with the Mosaic Law but who subsequently failed in those (obligations) is that of a donkey which carries huge tomes. Evil is the similitude of people who falsify the sings of Allah. And Allah guides not people who do wrong: مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل

أسفارا . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يهدى القوم الظالمين

As if they were affrighted asses: كأنهم حُمُرٌ مستنفرة

those who incurred the curse of Allah and His wrath those of whom some He transformed into apes and swine: مَنْ لعَنَه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير

godless, iniquitous, unjust, transgressors, hypocrites, apostates, polytheists: كافرون، أشرار، ظالمون، معتدون، منافقون، مرتدون، مشركون

the Scriptures: الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل)

who corrupted and tampered with the Scriptures: الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه

They spread corruption on earth: يفسدون فى الأرض

the Qur'an depicts them with most humiliating terms: يتحدث القرآن عنهم بلغة جدّ مُهينة

O ye who believe, truly the pagans (non Muslims) are profane so let them not after this year of theirs approach the sacred

Mosque: يا أيها الذين آمنوا، إنما المشركون نَجَسٌ، فلا يَقْرَبوا المسجد الحرام

Mecca remains exclusively an Islamic city, non-Muslims barred: مكة مدينة مقصورة على المسلمين، يُمْنَع عنها سواهم

the divinity of Christ: ربوبية المسيح

appropriate:مناسب

to confiscate and censor all the Islamic books and arrest whosoever of the Muslims reiterates that: تصادر (الولايات المتحدة الأمريكية) أية كتب إسلامية وتراقبها، وتقبض على أي مسلم يردد هذا الكلام

to delete: يحذف

To abstain from: يمتنع عن

As stated above: كما ذكرنا من قبل

Ezra: عُزَير

incitement of racial and religious hate: إثارة الكراهية العرقية والدينية

To forbid: يمنع

Icons: أيقونات/ رموز

To command: يأمر

not embracing Islam: لا يعتنقون الإسلام

regarded and taken as an affront to Islam: عُدَّ إهانة للإسلام

Qur'anic injunctions: الأوامر القرآنية

his royal Majesty, the king of Saudi Arabia: جلالة ملك السعودية

Ō ye who believe do not take the Jews and the Christians as your friends: يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء

effective and applicable for our time and generation: سارية المفعول وواجبة التطبيق فى عصرنا وجيلنا

a basic and fundamental factor: عامل أساسى وجذرى

the continued petitioning of Allah daily: الابتهال إلى الله كل يوم

To curse: يلعن

the pulpits of Mosques: منابر المساجد

their likes: أمثالهم

the Unitarians: موحدو (النصارى)

spoils: الغنائم

Lord of Worlds: رب العالمين

May their women be widowed, may their children be orphaned: رمّل الله نساءهم، ويتّم أطفالهم

make their miseries strong among them: اجعل بأسهم بينهم شديدا

O Allah grant us victory over them: اللهم، انصرنا عليهم

bring division in the midst of their union, scattering them, disseminating their numbers: فرق جمعهم، وشتت شملهم، واجعلهم بددا

To slaughter: يذبح/ يقتّل

To scuttle: يخرق (السفينة ليغرقها)

O Mighty One and the Vanquisher, O Allah show us in them a dark day as in the day of A'ad and Thamud: يا عزيز يا جبار، أرنا فيهم يوما أسود كيوم عاد وثمود

quake the earth under their feet: زلزل الأرض تحت أقدامهم

venomous: حقود/ سامّ

hail storms: عواصف ثلجية

To slander: يذمّ

an abuse: سبَاب

vilification: تلويث (السمعة)
an apology: اعتذار
a virtue: فضيلة
obligatory: واجب لا بد من عمله
a vice: رذيلة
a subjective perspective: رؤية ذاتية
the cartoonist: رسام الكاريكاتير
butchering of innocent people: ذبح الأبرياء
torture: تعذيب
Assassinations: اغتيالات
human bombs: القنابل البشرية
Suicide missions: مهمات انتحارية
helpless children: أطفال لا حول لهم ولا طول
Indiscriminate killing: القتل العشوائى
chopped heads: رؤوس مقطوعة
human flesh fragmented: أجساد بشرية ممزقة
wailing women: نساء يولولن
the marred image of Islam: الصورة المشوهة للإسلام
worldwide: على نطاق العالم أجمع
maim: يبتر/ يشوّه

in cold blood: بدم بارد
One wonders, who is the real culprit who imparted this image of Islam?: وإن الإنسان ليتساءل:

من يا ترى هو المتهم الحقيقى المسؤول عن توضيح صورة الإسلام؟

Audacity: الجرأة

Justification: مسوّغ

Islamic sanctities: المقدسات الإسلامية

هل الإسلام فوق النقد؟

يبدى الكاتبان دهشتهما الشديدة غير البريئة من ردة فعل المسلمين تجاه تلك الإهانات التى وجهتها الصحيفة الدانمركية إلى رسولهم الكريم، والتى لم تكن لتستطيع توجيهها إلى أى نبى آخر، بل لم تكن لتستطيع توجيهها إلى اليهود، وإلا لكانت ليلة الصحفى الذى رسم الكاريكاتير والصحيفة التى نشرته زفتا وقطرانًا. فنحن نعرف ماذا يمكن أن يصيب من يفقد عقله ويتجرأ على أى شىء يتصل باليهود واليهودية. ولا أظن الكاتب المداور المناور يجهل أن هناك فى أكثر من دولة أوربية قانونا يحرّم ويجرّم البحث فيما هو أهون من الإساءة المجرمة فى حق الرسول الكريم بما لا يقاس على الإطلاق، ألا وهو موضوع الاضطهاد النازى لليهود وأعداد من يقال إن هتلر ورجاله قد أحرقوهم فى أفران الغاز. وهذا، كما نرى، مجرد بحث تاريخى لم نسمع يوما أن أمثاله من البحوث يمكن أن يصدر منعٌ وتجريمٌ بشأنها، ولا توجد فيها أية إساءة إلى أحد، إذ ماذا فى أن يقلل باحث من الباحثين أعداد اليهود المقتولين فى أفران الغاز إذا كان حقا لهذه الأفران وجود، أو كان لها وجود وكان التعذيب بها مقتصرا على اليهود، أو حتى فى أن ينفى الواقعة من جذورها؟ هل فى هذا شتم لليهود أو تحقير لهم أو لدينهم أو لرسولهم؟ أبدا، بل هى مسألة تتعلق بالبحث والعلم، ولا علاقة لها من قريب أو من بعيد بالعقائد أو الرسل. ومع هذا كله فإن أحدا لا

يجرؤ فى أوربا أن يتناول هذا الموضوع بالبحث إلا إذا ردد ما يقوله اليهود من أنهم قد أُعدموا فعلا على يد النازيين فى أفران الغاز وأن عدد الذين أُعدموا كان كذا مليونا، وإلا جرجروه إلى المحاكم وأخربوا بيته وجعلوه يلعن اليوم الذى وُهب فيه عقلا، وكذلك اليوم الأسود الذى عَنّ له فى لحظة حماقة وغباء من لحظاته أن يستخدم هذا العقل فى البحث والتقصى والتثبت مما يقرأ ويسمع! وما خبر كبار مفكرى أوربا الذين تم تقديمهم إلى المحاكم وغرّموا غرامات قاصمة للظهر والعنق بالذى يجهله أحد فى العالم! ومع ذلك يبدى الكاتبان دهشتهما الساذجة (نعم، الساذجة رغم خبثها) من أن المسلمين لا يريدون من الآخرين أن يتطاولوا ويتباذؤوا على نبيهم الكريم عليه صلوات الله وسلامه!

وبالمناسبة فجيمى كارتر الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية والذى قدم لإسرائيل واليهود من الخدمات ما لا يقدَّر بثمن، إذ فى ولايته الرئاسية وعلى يديه عقدت مصر وإسرائيل معاهدة سلام مجحفة بحقوق المصريين والعرب والمسلمين جميعا، وهو ما لم يكن اليهود يحلمون ولا بعُشر معشاره قبل ذلك، جيمى كارتر هذا يتعرض الآن لحملة يهودية منظمة وكاسحة فى الصحف الأمريكية وفى بعض المؤسسات السياسية والثقافية الأمريكية تنال منه وتسفه عقله وتتهم نيته وتسمه بأشنع الصفات لأنه تجرأ وأبدى بعض الملاحظات التى لا تروق لليهود فى أمريكا رغم أن تلك الملاحظات إنما تتعلق بسياسة إسرائيل لا بسياسة أمريكا، ورغم أن أمريكا هى حامية إسرائيل

ومدللتها وممدتها بالسلاح والاستخبارات وناصرتها فى الأمم المتحدة بحيث لا يصدر قرار يدينها فى أى جريمة تقترفها رغم أن قرارات الأمم المتحدة فى حالة عدم رضا أمريكا عنها لا تساوى ثمن الحبر الذى كتبت به، ومن ثم فلا خوف من تطبيقها على إسرائيل يوما، إلا أنه العناد والكفر والتجبر! فأين ذانك الكاتبان اللذان لا يعجبهما أن يغضب المسلمون لرسولهم ويتألموا لمحاولات الإساءة إليه من هذا الذى قلناه؟

ثم إن المسألة لا صلة بينها وبين حرية البحث التى وجدناهم يضيقون بها صدرا حين اصطدمت بمشاعر اليهود ورغبتهم فى تقييدها حتى لا يُفتَح الباب أمام ما يعدونه قُدْس الأقداس فى ميدان الدراسات التاريخية، وهو الهولوكوست المزعوم، أو على الأقل: المُبَالَغ فيه إلى درجة التغثية والتقييء. نعم إنها ليست مسألة حرية بحث وتحقيق علمى، بل قلة أدب وسفالة، إذ ما علاقة البحث العلمى فى أن يخرج علينا كل يوم سياسى أو عسكرى أو صحفى غربى فيشتم ديننا ورسولنا وشريعتنا ويحقر تاريخنا؟ إننا هنا لسنا بصدد دراسة وتدقيق علمى، بل بصَدَد تطاول وقح متعمَّد يراد به تحقيرنا وتكسير روحنا المعنوية وإهانة رموزنا ومقدساتنا، فى الوقت الذى لا يدور بخلد مسلم أن يرد لهم الصاع بمثله أو حتى بنصيفه لأن دينه يمنعه من المس بأحد من الأنبياء السابقين الذين لا يتم إيمانه إلا بالإيمان بهم مثل إيمانه بمحمد عليهم جميعا الصلاة والسلام.

إن المسلمين يعرفون تمام المعرفة أن هناك فريقا كبيرا من باحثى الغرب يدرس الإسلام منذ قرون ويكتب عنه ما يحلو له، ولم يعترضوا يوما على شىء من هذا. وأقصى ما كانوا يصنعون هو أن يردوا على الفكر بفكر مثله، لا أكثر ولا أقل. لكن حين تغيرت قواعد اللعبة فى الفترة الأخيرة تغير معها موقف المسلمين، وبخاصة أنهم ينظرون فلا يجدون أحدا من الغربيين يجرؤ على أن ينال من عقائد أية أمة أخرى غيرهم بالتطاول والعدوان. ثم أى إرهاب يا ترى يتهم هؤلاء الكذابون المسلمين به؟ ترى من الذى يحتل بلاد الآخر ويسرق خيراته ويرفع سيف التهديد فوق رأسه ويتدخل فى كل شؤون حياته ويتحكم فى سياساته واقتصاده ومناهج تعليمه وتربيته ويتجنى عليه ليل نهار، ويهدم بيوته ويغتصب نساءه ويقتل رجاله وييتم أطفاله ويضربهم بالسلاح النووى، ويساعد إسرائيل التى خُلِقَتْ خلقا من العدم ويغريها بالتنكيل بأهل البلد وتدمير حياتهم ودفعهم إلى اليأس دفعا؟ إنهم هم ولسنا نحن، ومع ذلك يأنسون فى أنفسهم الجرأة للتجنى بالباطل علينا واتهامنا بما نحن أبرياءُ منه براءةَ الذئب من دم ابن يعقوب عليه السلام.

ولنسلم جدلا أن بعض المسلمين قد اعتدَوْا فعلا على أمريكا، وهو ما لم يثبت شىء منه لأنه لم تتم أية محاكمة (علنية على الأقل) لمئات الرجال الذين قبضت عليهم أمريكا غدرا وظلما من بلاد تبعد عن أمريكا بُعْد الليل عن النهار والمشرق عن المغرب، فهل هذا مُسَوِّغٌ لأن تعتدى أمريكا على دول عربية وإسلامية مستقلة؟ إن أمريكا

تتصرف كالبلطجي المجرم الذى يقطع السبيل ويرهب المارة ويستولى على ما معهم عَنْوةً وينكل بمن يفكر فى الاعتراض على ما يفعل، بل يقتله ولا يبالى. لا بل إن تصرفاتها لأشنع وأبشع من تصرفات قطاع الطريق والبلطجية لأن هؤلاء ينحصر أذاهم فى أفراد معدودين، أما إجرام أمريكا فأذاه شر مستطير، والعياذ بالله، ويوقع الكوارث والبلايا والرزايا بأمم كاملة ويُبيد دولا ويمحوها من فوق الخريطة أو يقسمها تقسيما لا تقوم لها قائمة بعدها .

والعجيب من الكاتبين أنهما يحاولان التشكيك فى أن تكون الصحيفة الدانمركية قد رسمت صورا كاريكاتيرية للنبى أصلا، إذ نراهما يقولان بكل بجاحة ووقاحة عن هذه الرسوم إنها " allegedly depicting the prophet of Islm"، أى "ترسم، فيما يزعمون، نبى الإسلام"، وكأن تلك الرسوم ليست أمرا يقينيا، بل مسألة تخضع للأخذ والرد . كما نراهما يبديان غيظهما من تداعى المسلمين إلى مقاطعة الشركات الدانمركية بحجة أنه ليس من حق المسلمين وضع قيود على حرية الرأى والتعبير، وكأن من حق الدانمركيين أن يهينونا ويهينوا ديننا ورسولنا، لكن ليس من حقنا أن نقاطع بضائعهم. وهو ما يعنى أن الحرية لا ينبغى أن يتمتع بها إلا هم، أما نحن فلا حرية لنا ولا حتى فى المقاطعة، وهى أهون شىء يمكن أن يلجأ إليه من أُهين. إن حريتنا عندهم إنما تنحصر فى تلقى الضربات على الوجه والقفا والركلات فى

الدبر وابتلاع الإهانات والخضوع الذليل لما يقترفونه من إساءات فى حقنا وفى حق نبينا .

فإذا تجاوزنا ذلك إلى محاولة الإضرار بمصالحهم عن طريق المقاطعة التجارية فنحن متخلفون لا ندرك قيمة الحرية . إن القوم، كما هو واضح، ينظرون إلينا على أننا لا نستحق الكرامة ولا الغضب من اعتدائهم على هذه الكرامة . وتلك قمة الأنانية والتوحش والإجرام الذى يلبس لَبوس الحضارة والعصرية، وهو لَبوسٌ أنانىٌّ إجرامىٌّ متوحشٌ كمن يلبسونه ! أما هم فمن حقهم، دون أن نكون قد ارتكبنا أية إساءة إليهم، أن يحتلوا بلادنا ويقتلوا من يقف فى طريقهم ويدمروا بيوتنا ومدارسنا ومؤسساتنا وحاضرنا ومستقبلنا وأن يملوا علينا كيف ينبغى أن نمارس حياتنا وكيف نفكر وكيف ننظر إلى الحياة . ولم لا، وهم الغربيون سادة العالم؟ أما نحن فمن نحن حتى يكون لنا الحق فى حرية الغضب مما يوجهونه لنا من إهانات؟ وهما لهذا يعطياننا درسا فى معنى الحرية فى المجتمعات الغربية التى لا تطيق أن يفرض عليها المسلمون المتخلفون مصادرة حرية التعبير، تلك القيمة التى لا يحسن أولئك المتخلفون تقدير قيمتها، ومن ثم يحاولون أن يقفوا فى وجهها من خلال المقاطعة التجارية التى تفسد استمتاعهم بالحياة وباقتراف الإهانات التى تؤلمنا وتذلنا وتسحقنا والتى يستلذونها ويستزيدون منها .

وهذا معنى قولهما: " This kind of suppression of freedom of expression has no place in the

"free Western society" . إن هذه الأنانية وذلك الإجرام وذاك التجبر والتكبر وراء كل البلايا والرزايا التى يرزح تحتها العالم الثالث على يد الغربيين، إذ هم يَرَوْن أنفسهم من طينة أخرى غير الطينة التى خلق الله منها سائر البشر. وهم يسوّغون هذا بأنهم أكثر تقدما من غيرهم، ناسين أو بالأحرى: متناسين أنهم كانوا فى يوم غير بعيد متخلفين أشد من الأمم المتخلفة حولهم. إنهم يذكّروننا بمُحْدَث النعمة الذى يشمخ بأنفه على الآخرين فور اغتنائه زاعما أنه من طراز آخر من المخلوقات! لكننا نعود فنقول إننا نتحمل كفلاً كبيرًا من هذا الخطإ بل من هذه الخطيئة، إذ ما كان ينبغى لنا أن نستنيم إلى تخلفنا وانحطاطنا الحضارى كل هاتيك القرون ونترك الجمل بما حمل للرجل الغربى إلى أن يأتى إلى بلادنا ويحتلها ويسرق خيراتها ويستعبدنا، ونحن متبلدون خانعون ضارعون ذليلون خائفون مرتجفون متقبلون مصيرنا التاعس البائس فى صمت واستكانة وخشوع وكأنه قَدَرٌ لا يُصَدّ ولا يُرَدّ، وبخاصة أن الزمن قد طال واستطال وباخت الحكاية، ولا تبدو فى الأفق بشارة بأننا مستيقظون من رقدة العدم عما قليل لا حكومات ولا شعوبًا: ذرية بعضها من بعض فى الكسل وسقوط الهمة والرعب من العدو والتسليم له من قبل الأوان بزمان!

والكاتبان يعترضان على تظاهرات المسلمين تعبيرا عن رفضهم للرسوم المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام وغضبهم منها ومن راسميها، ولست أستطيع أن أفهم موقفهما هذا الغريب، فالتظاهر حق

مكفول لكل من يرى أنه وسيلة ناجعة لنيل ما ضاع عليه من حقوق أو على الأقل: للتعبير عن رفضه للظلم الواقع عليه. فهل يريد الكاتبان أن يحرما المسلمين حتى من فتح هذه النافذة التى تمثل لهم الثغرة الوحيدة الباقية لالتقاط نسمة هواء ترد لهم شيئا من الرَّوْح والرُّوح؟ أم تراهما يريدان أن يموتوا كمدا وغيظا وهم يَرَوْن الغرب يحتل بلادهم ويستنزف ثرواتهم ويهددهم ويدمرهم ويشوه دينهم ورموزهم ويملى عليهم أسلوب عيشهم ويحذف ويضيف فى مناهج تعليمهم، ثم لا يستطيعون أن يقولوا له: ثلث الثلاثة كم؟ أم يتكلما ويصدّعا رؤوسنا بحرية التعبير التى تعنى عندهما حرية الإساءة إلى الإسلام ورسوله وحده لا غير، فى الوقت الذى لا يجرؤان هما ولا شعبهما كله أن يرسموا خطا واحدا ضد اليهود ودينهم مما رسموه ضد النبى محمد عليه الصلاة والسلام؟ ولقد فتحت إيران، فى خضم مسألة الرسوم المسيئة، موضوع الهولوكوست اليهودى فهاج جميع حكام الغرب عليها واتهموها بشتى الاتهامات، مع أن الهولوكوست إنما هو مسألة تاريخية علمية ليس إلا، ولا علاقة له بالدين اليهودى ولا بأى نبى من أنبياء بنى إسرائيل ولا بأى شىء مقدس عندهم، بل هو كحرب يونيه عندنا أو حرب رمضان المجيد أو ثورة يوليه مثلا. إذن فحتى حق التظاهر نفسه محرَّم علينا، وكذلك التناول العلمى لما أزعجوا الدنيا كلها به من كلام عن الهولوكوست، ذلك الحدث الذى ما دام الغربيون يقرون به دون لجاج فإنه يدينهم ويوجب عليهم تجاه ضحاياهم أمورا تقررها المحاكم الدولية ولا يديننا نحن فى شىء، ولا

يصح أن يدفع ثمن جريرته الشعب الفلسطينى المظلوم. لكن منذ متى يُصيخ الغربيون إلى صوت الضمير والحكمة؟ إنهم يريدون أن يحمّلونا مسؤولية جريمة لم نقترفها، بل كنا وقتها نرزح تحت الاحتلال الغربى الذى كان يجثم على صدور العرب والمسلمين فى كل مكان من الأرض تقريبا! أليس ذلك أمرا يجلب الغم والقهر؟ ناس يؤكدون أن اليهود قد اضطُهدوا على أيديهم لا على أيدينا نحن، ولا يقبلون منا ولا من غيرنا أن يحقق تلك الجريمة، ثم إنهم بعد ذلك كله بدلا من أن يعوضوا ضحاياهم من جيوبهم ومن أراضيهم يلزموننا نحن الأبرياء بدفع الفاتورة الثقيلة التى تقصم الظهر دون أن نفتح فمنا بكلمة. ثم يقولون لنا ردًّا على غضبنا لرسولنا: إنها حرية تعبير!

كذلك يعترض الكاتبان على اتباع سياسيى بعض الدول العربية للقنوات الدبلوماسية فى التعبير عن رأيهم فى الأمر، ولا أدرى أيضا هنا ماذا كان ينبغى أن يفعلوا. إن سياسيينا عاجزون بطبيعة الحال عن اتباع سياسة أمريكا، سياسة البطش والغزو والاحتلال والسحق والمحق، فما المطلوب إذن منهم؟ أن يبتلعوا ألسنتهم أو يقطعوها مثلا؟ إن موقف الرجلين محير أشد التحيير. إنهما لا يقبلان منا أى شىء سوى الصمت والرضا بل الابتهاج والسعادة بما حصل وما يحصل وما سوف يحصل باستمرار إلى أن نهبّ من رقدة الكسل والفشل إلى دنيا الجهاد والعمل، وعندئذ سوف تتغير الأمور وتميل الكفة لصالحنا. هل يمكن الغرب أن ينال من الصين منالا؟ لا. لماذا؟ لأنها دولة قوية مرهوبة

الجانب، وشعبها على استعداد أن يأكل أمريكا إذا جاءت المناسبة، وعندها صناعة، ولديها من السلاح ما تدافع به عن نفسها، وتنتج ما تحتاجه من هذا السلاح ومن الطعام والدواء، ولا تخشى بأس أمريكا، بل تريها العين الحمراء فتحسب لها أمريكا حسابا كبيرا . وكلنا ما زال يذكر يوم سقطت الطائرة الأمريكية فى الصين فلم يعدها الصينيون إلا بعد أن اعتذرت أمريكا وبعد أن فكت الصين ما تحتاج لفكه من أجهزة الطائرة واطلعت على ما فيها من أسرار علمية وفنية وتجسسية. ومع ذلك كله لم يجرؤ أى غربى على أن يتطاول على الصين. أما نحن فيا ويلتاه! لقد قال الرسول الكريم إن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، لكننا لذنا بالضعف وآثرناه على القوة، واستمرأناه واستزدنا منه كأنه كنز ثمين لا ينبغى التفريط فيه، فهنيئا لنا ! ولهذا السبب يكره الغرب رسولنا العظيم لأنهم يعرفون أننا لو اتبعنا سنته، سنته الحقيقية لا مجرد إطلاق اللحية وتقصير الثوب والإمساك بالسواك فى أيدينا، لكان هذا آخر يوم لهم فى تاريخ استبدادهم بنا واغتصابهم لثرواتنا وتقتيلهم إيانا وتدخلهم فى أخص خصائص أمورنا . وهم لا يريدون ذلك ولا يطيقونه ولا يتصورونه لأن حياتهم ساعتها سوف ينقصها الكثير والكثير.

وبالمناسبة فقد تصادف أن فتحتُ موقع جريدة "صوت الوطن" الفلسطينية فوجدت خبرا بعنوان "لوحات إعلانية في الشوارع الأمريكية تدعو لـ'اكتشاف حياة محمد'"، يقول إن مؤسسة "كير" الإسلامية

الأمريكية قد وضعت إعلانات فى بعض الطرق الرئيسية الأمريكية تدعو الناس إلى التعرف على "حياة محمد" ردًا على الرسوم الدانمركية المسيئة. ولا أستبعد أن يهاجم الكاتبان هذه الخطوة أيضا ويسفهانها كما فعلا مع التظاهرات والإجراءات الدبلوماسية التى لجأت لها عدد من الدول العربية والإسلامية، إذ هما لا يقبلان، كما رأينا، إلا أن ينبطح العرب والمسلمون عند أقدام الغربيين ويلعقوا أحذيتهم، ثم إن الغربيين بعد ذلك لن يَرْضَوْا عنهم أبدا. وهذا هو نص الخبر: "انتشرت لوحات إعلانية في شوارع ولاية فلوريدا الأمريكية وولايات أخرى تدعو للمرة الأولى لـ"اكتشاف حياة محمد" عبر زيارة موقع إلكتروني خاص به، وذلك في إطار حملة أطلقتها منظمة العلاقات الاسلامية الأمريكية "كير" والتي تضمنت أيضا إطلاق "الموقع الإلكتروني للرسول".

وقال نهاد عوض، رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير" في تصريح لـ"العربية.نت" إن هذه الحملة الجديدة بدأت في أعقاب نشر الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول، مشيرا إلى أن الحملة جاءت "بأسلوب جديد، وهو توعية المجتمع الأمريكي حول الرسول وسيرته كمخرج تعليمي من الأزمة"، لافتا إلى أن "الجهل بالإسلام والرسول هو أكبر تحدٍ للمسلمين بأمريكا". وأضاف: وضعنا لوحات إعلانية على الطرقات الرئيسية في ولاية فلوريدا، وهناك مشروع الآن لوضعه في ولايات أخرى، وظهر لنا أن هناك اهتماما بهذه القضية. وتحدث عوض

عن "تقديم أكثر من ٢٠ ألف طلب لكتب وأشرطة على موقعنا الإلكتروني"، الذي يتضمن الموقع الخاص، واسمه "اكتشف حياة محمد".

وأشار إلى أن الحملة على الإنترنت بالتزامن مع الإعلانات زادا من اهتمام الناس ورغبتهم في قراءة هذه الكتب، وقال: "نحن أول مؤسسة خاصة أطلقت موقعا إلكترونيا للرسول وحملة للتعريف به بعد حملة تدنيس القرآن على غرار حملتنا بعد ١١ سبتمبر عندما وزعنا الكتب على المكتبات الأمريكية أو حملة "اكتشاف القرآن" بعد تدنيس القرآن في غوانتانامو. ورغم أن وضع اللوحات الإعلانية على الطرقات جاء بعد الحصول على موافقة رسمية، لم تسلم هذه الإعلانات من الاعتداءات، حيث أوضح نهاد عوض أن الإعلانات أثارت اهتمام الأمريكيين ودفعتهم لزيارة موقع الرسول، ولكن "في بعض الأحيان يحصل تبرير لجهات متطرفة للقيام بحملة مضادة عبر محاولة تخريب الإعلان. وهذه الحالات تبقى شذوذا عن القاعدة". وتعد "كير" من أكبر المجموعات التي تدافع عن حقوق المسلمين في الولايات المتحدة، وتؤكد بأن هدفها هو شرح الدين الإسلامي بشكل إيجابي للأميركيين".

إن كاتبى المقال المأفونين يستغربان كيف تؤدى "شوية: some" رسوم كاريكاتورية إلى كل هذا فيتظاهر المسلمون احتجاجا على ما فيها من إساءة مجرمة ويتواصَوْا بمقاطعة الدانمرك بسببها. ونحن فى المقابل نستغرب كيف أنهم فى الدانمرك وفى غيرها من البلاد الغربية لا يهدأ لهم بال ولا يشعرون بقيمة الحرية إلا إذا أساؤوا إلى الرسول الأعظم

وآذَوْنا في مشاعرنا . وعلى كل حال فهذان الثعلبان يفهمان جيدا أن للرمز قيمةً خطيرةً فى حياة الأمم والدول، وإلا فما الذى يشكله تمزيقنا للعلم الدانمركى وتلطيخه بالفضلات البشرية وحرقه مثلا دون سبب؟ ألن يغضبهم هذا؟ ألن يحتجوا عليه؟ لقد ركبهما ألف عفريت بسبب حرق بعض المتظاهرين المسلمين لذلك العلم احتجاجا على الإساءة إلى النبى الكريم، فما بالنا بما يمكن أن يكون عليه موقفهما لو أن حرق العلم كان بلا سبب؟ ثم لا ينبغى أن ننسى أن جماهير المسلمين، لعجزها عن الرد بقوة على ما يصنعه بهم الغرب منذ عقود بل منذ قرون، وكذلك عجز دولها عن فعل شىء فى مواجهة هذا الذى يعمله الغرب، لا تجد أمامها إلا التظاهر والمقاطعة. إنها كالأسد الجريح المقيد المنزوعة أسنانه وأنيابه وأضراسه، ولم يعد يملك إلا الزئير. ويقول الكاتبان إن الصحيفة قد أبدت الندم وباست القدم، لكن المسلمين قوم متجبرون فلم يرضَوْا بإبداء الندم ولا بتقبيل القدم. والذى أعرفه أن الصحيفة لم تعتذر عما فعلته، بل لقد قرأنا أن الصحفى الذى رسم الكاريكاتير قد كوفئ بجائزة على عمله. وقد قلنا ونقول إن المسلمين قد فرّطوا فى حق أنفسهم وفى حق دينهم وفى حق رسولهم الذى لم يعودوا يستحقون شرف الانتساب له، وهم يستأهلون ما يجرى عليهم من كل وغد لئيم، فلا يلومُنّ إذن إلا أنفسهم، وليشمروا عن ساعد الجد والكرامة والعمل والجهاد فى كل مناكب الحياة حتى يعودوا كما كانوا أمة عزيزة الجانب صلبة العود لا يفكر أحد أن ينالها بسوء.

ترى أكان ممكنا مثلا أن تُفصَل مدرِّسة مسلمة فى هولندا من عملها حسبما قرأتُ فى عدد الأربعاء ١٩/ ١٢/ ٢٠٠٦م من جريدة "المصريون" الضوئية (لا لأنها، معاذ الله، ارتكبت ما يشين أو قصّرت فى أداء واجبها الوظيفى مثلا، بل لأنها قررت ألا تصافح الرجال) لولا أن المسلمين التى هى واحدة منهم أمة متهالكة ضعيفة أكل عليها الدهر وشرب وبال أيضا ولا تريد أن تفيق وتتحرك؟ ثم ماذا فى ألا تصافح المدرّسة الرجال بيدها؟ أليست يدها؟ أم هناك شك فى ذلك؟ أوليست صاحبة اليد حرة فى أن تفعل بها ما تشاء ما دامت لا تؤذى أحدا؟ أليس هذا المنطق هو ذات المنطق الذى يستند إليه الغرب فى إباحة الزنا واللواط والسحاق بحجة أن كل شخص حرٌّ فى التعامل مع جسده بالطريقة التى يحب؟ ألا يمكن أن نقيس رفضَ المدرّسة المذكورة لمصافحة الرجال على الزنا واللواط والسحاق، أستغفر الله؟ ترى ماذا سيقول كاتبانا الهمامان فى هذا؟ أين حرية التعبير هنا؟ أليس رفض المدرّسة لمصافحة الرجال تعبيرا عن رأيها وفهمها لدينها أيا كان موقفنا من هذا الفهم؟ أليس المهم أنها لا تعتدى على أحد بتصرفها ذاك؟ أهناك قانون فى هولندا يوجب على النساء مصافحة الرجال، وإلا فُصِلْنَ من أعمالهن؟ أم ترى هناك بند فى عقد العمل الذى تولت بموجبه التدريس فى المدرسة المذكورة يُلزِمها بأن تصافح الرجال؟ ثم ما العمل يا ترى لو أنها مثلا مدت يدها لتصافح زميلا أو زميلة لها فلم يمد الطرف الآخر يده لمصافحتها مكايدة أو تعبيرا عن النفور منها، وهو أمرٌ

جدٌ وارد؟ أكان القائمون على المدرسة يرفتونه؟ أم إنه الحقد والاستبدادُ والتحكّك الغبى بالإسلام وحده، والسلام؟

ويتمادى الرجلان فى ضلالاتهما فيحاضراننا فى وجوب الاكتفاء بالمناقشة المنطقية للرسوم الكاريكاتيرية. ولست أعرف كيف يطالباننا هما بالذات أن نناقش الكاريكاتير بالمنطق، وهما اللذان أكدا فى موضع آخر من المقال أن الفن رؤية ذاتية، أى لا يحكمه المنطق، لأن المنطق شىء عام وموضوعى، أما الفن فذاتى حسبما قالا؟ كذلك فالقول باللجوء إلى المناقشة، وإلى المناقشة وحدها، كلما أهانونا لهو أمر يبعث على القهقهة، إذ إنهم سوف يستمرون فى إهانتنا وتحقيرنا والإساءة إلى ديننا ونبينا وربنا وإلينا نحن أنفسنا، وكلما غضبنا وأردنا أن نؤلمهم بالمقاطعة الاقتصادية التى لا يتألمون تألما حقيقيا إلا بها، قالوا لنا وهم يرتدون ثياب الحكماء: المنطقَ يا مسلمون! أين المنطق؟ وهكذا دواليك إلى أبد الآبدين.

فلماذا لا يفكرون هم بالمنطق ويقولون لأنفسهم: إن حياتنا لن ينقصها شىء إذا تذرّعنا بالأدب واللياقة ولم نتهجم على دين مليار ونصف من البشر يشترون بضائعنا وينشّطون اقتصادنا، ومن ثم فلكيلا نفقد هذا المورد المالى الرهيب ينبغى ألا نستفز هؤلاء القوم؟ إنهم لا يبالون بأية وسيلة يتوسلون، حتى لو كانت القوادة على نسائهم، فى سبيل المال والمتع الدنيوية، فلماذا لا يستلهمون هذه السُّنّة فى تعاملهم معنا ويركبهم شيطان العناد والغرور بدلا من ذلك؟ ثم أين المنطق فى

تعامل الغرب معنا حين احتل بلادنا لعقود وعقود وسرق بلادنا وقتل الأحرار منا ووضع العراقيل فى طريقنا كيلا نتقدم؟ وأين المنطق فى غزو أمريكا وبريطانيا للعراق، وكذلك سلوك الدول الأوربية التى أرسلت جنودها لذلك البلد لمساعدة الاحتلال الأنجلوسكسونى له رغم اعتراض المجتمع الدولى كله على ذلك وخروج الشرفاء فى عواصم دولهم ومدنهم الكبرى يندددون به، ثم لم تلتفت الدولتان الفاجرتان لكل تلك التظاهرات والاعتراضات والمناشدات وأصرتا واستكبرتا استكبارا ومضتا إلى غزو العراق وتحطيمه وإلحاقه بالعصور الخوالى؟ أم إن المنطق لا يكون إلا لنا نحن وعندما يعتدى الغربيون علينا ويهينوننا؟ وماذا بالله فى التظاهرات والمقاطعات الاقتصادية؟ أليس الغربيون هم أساتذة ذلك الميدان؟ أفإن مشينا على خطاهم فيما يفيدنا مرة واحدة فى الدهر غضبوا وتمعرت منهم الوجوه؟ ألا شاهت تلك الوجوه!

ثم يستمر سيادتهما فى إعطائنا المحاضرات الرنانة الطنانة فى أصول الحضارة وشؤون الفكر فيقولان إنه لما يبعث على السخرية أن يحاول المسلمون تكميم الأفواه ومصادرة الحرية، وهو أمر لا تعرفه ولا تقبله المجتمعات الغربية. لكن هل من الحرية يا ترى أن تفقأ عين جارك؟ وهل من الحرية أن تزعج غيرك وتهين رموزه الدينية التى يعتز بها ويراها محور حياته؟ ثم ما قولهما فى القوانين التى سنتها بعض المجتمعات الغربية "الشريفة العفيفة" لمنع الناس من البحث فى الهولوكوست اليهودى؟ وما قوله فى رفت المدرسة المسلمة فى هولندا لمجرد أنها

أرادت أن تتمتع بحريتها فى عدم مصافحة الرجال؟ أهذه هى الحرية التى يموت فى عشقها الغرب؟ إننى لا أستبعد أن يأتى اليوم الذى يعاقب فيه المسلم فى أوربا وأمريكا لأنه لا يلوط ولا يلاط به، وكذلك المسلمة لأنها لا تساحق امرأة مثلها، ولسوف تكون الذريعة هنا هى نفس الذريعة هناك، وهى أنهما بهذا يخرجان على ذوق المجتمع الذى يعيشان فيه!

ويقول الكاتبان إنه ليس من المعقول أن يفكر المسلمون فى معاقبة الغرب، وكأن المسلمين هم الذين بدأوا العدوان فحقّ عليهم الخطأ، أو كأن الغربيين لا يمكنهم أن يلجموا نزعتهم الصدامية مع المسلمين من دون عباد الله ويَرْعَوُوا عن قلة الأدب التى ينتهجون سبيلها معهم. ثم من قال إن هدف المسلمين هو معاقبة الغرب؟ إن هدفهم هو الدفاع عن دينهم ونبيهم وشرفهم، فهل دفاعنا عن ديننا ونبينا هو عقاب للغرب؟ من قال ذلك؟ أإذا هب المسلمون يتظاهرون ليُفهِموا هؤلاء المعتدين السفهاء أنهم غاضبون ولا يقبلون منهم ما فعلوه، أفيسمَّى هذا عقابا مرفوضا؟ إن المسلمين بتصرفهم هذا قد أعادوا الكرة إلى الملعب الغربى، وعلى الغرب أن يقرر ما الذى يجدر به أن يفعل. ثم يتساءل الكاتبان: ماذا لو أن الغرب رد على هذا التصرف من جانب المسلمين بأنْ مَنَع عنهم ما يحتاجونه من بضائعه ومساعداته وحمايته للدول الإسلامية؟ وردُّنا هو: فليحاول الغرب أن يفعل ذلك إذا استطاع، ولن يستطيع، وإلا فكيف سيصرِّف بضائعه بعيدا عن العرب والمسلمين الخائبين المتخلفين الذين لولا

تهافتهم على شراء منتجات الغرب التى لا يحتاجون كثيرا منها فى كثير من الأحيان، وإنما هو السفه الاستهلاكى وحده، لكان على أوربا أن تبل بضائعها وتشربها على الريق إن كانت تنفعها فى شىء. لنأخذ مثلا مبيعات السلاح للعالم العربى. ترى أين الجدوى فى تلك الصفقات السلاحية التى كثيرا ما تصل قيمتها إلى عشرات المليارات فى كل مرة تتعاقد فيها مع الدول الغربية إحدى الدول العربية أو الإسلامية؟ هل سمعتم أيها القراء أن هذا السلاح الذى تشتريه دول العرب الغنية على الأقل قد استُخْدِم مرة من المرات ضد أعدائنا؟ ولمن يشترى العرب السلاح، وليس لهم عدو إلا إسرائيل وذلك الغرب نفسه الذى يشترون منه الأسلحة؟ أيجرؤون على أن يرفعوا فى وجهه أو فى وجهها هذا السلاح؟ بل أيستطيعون إلا القليلين منهم أن يستعملوه مجرد استعمال أو أن يفهموا من أمره شيئا؟ بل أهناك أصلا أسلحة تأتينا من الغرب بمقتضى هذه الصفقات؟ أم هى مجرد أرقام على الورق، وكان الله يحب المحسنين؟ ترى أرأى أحد منا تلك الأسلحة من طائرات ودبابات وصواريخ وقنابل عند وصولها أو فى مخازنها؟ أين هى يا ترى؟ وما مصير القديم منها الذى لم يُسْتَعْمَل، إذا كان هناك أصلا سلاح قديم وصل البلد الذى تعاقد عليه؟ إن تلك الأسلحة لهى كالعنقاء التى يتسامع الناس باسمها لكنهم لم ولن يَرَوْها. ثم يقول الكاتبان لنا: حماية الغرب للدول العربية! فبالله عليكم أيها القراء: يحمونها ممن أو من ماذا؟ هل هناك عدو لنا سوى ذلك الغرب؟ هذا هو الرد المنطقىّ الجلىّ

الواضح المبين على تلك التهديدات الجوفاء التى يمنّ علينا من خلالها ذانكَ الثعلبان!

ويثير الكاتبان نقطة مهمة جدا، ألا وهى: هل ينطلق العرب والمسلمون فى غضبهم من الرسوم الكاريكاتيرية من مبدإ وجوب الاحترام لكل الأديان ومعاقبة كل من تسوّل له نفسه تشويه ديانة الآخرين؟ إذن فمن حق اليهود والنصارى أن يقيموا دعوى قانونية فى محكمة دولية ضد القرآن، الذى يسفّههم وينال منهم! هكذا يقترح كاتبانا. ولسوف أعاجلهما هنا على الفور فأقول لهما: وهل هناك شىء قاله القرآن فى اليهود والنصارى لم يقله أنبياء بنى إسرائيل فيهم؟ إن العهد القديم والعهد الجديد يدمدمان باللعنات ويصبانها على رؤوسهم صبًّا بما لا يُعَدّ بجانبه ما يقوله القرآن عنهم شيئا. والكاتبان يعرفان ذلك بكل تأكيد، إذ ما من نبى تقريبا أتى بنى إسرائيل إلا وكان لعنهم هو سلواه جَرّاءَ صلابة رقابهم وكفرهم حسب وصف المسيح لهم، الذى كثيرا ما وسمهم بالمرائين وأولاد الأفاعى وتوعّدهم بالنكال والعذاب، ومدنهم بالدمار والخراب. كذلك ففى الوقت الذى نرى نسب السيد المسيح عليه السلام فى الأناجيل ينتهى بيوسف النجار، ونرى أمه تقول له عن يوسف هذا إنه أبوه، نرى القرآن يحرص كل الحرص على إبراء مريم وتطهير شرفها والتأكيد بأنه عليه السلام إنما أتى من ولادة إعجازية. كما أنه فى الوقت الذى نسمعه يكلم أمه بالخشن من القول نسمع القرآن يثنى عليه من هذه الناحية قائلا على لسانه بما يومئ إلى أنه

يهدف لتبرئته من الخشونة المفترّاة عليه تجاهها: "وبَرًّا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا" (مريم/ ٣٢) . ومن قبل المسيح نقرأ فى كتب العهد القديم عن الأنبياء الذين سبقوه ما يشيب لهوله الولدان، إذ ينسب كتبة العهد القديم إليهم الدياثة والزنا ومضاجعة المحارم والقتل والكلام الداعر والغش والكذب ومباركة الوثنية والخشونة فى مخاطبة الله سبحانه والدخول معه فى مباراة مصارعة، على خلاف القرآن، الذى أبرأهم كلهم من المعايب وصوّرهم كما يليق بمن اختارهم الله لحمل رسالته وتبليغ دعوته لا بما يليق بعُتَاة المجرمين! وهذا كله معروف للكاتبين، لكنهما يريدان أن يتذاكيا علينا . وعلى هذا فإذا أرادا رفع دعوى قانونية ضد القرآن فعليهما ألا ينسيا أن يضيفا فى عريضة الدعوى الكتاب المقدس أيضا . فإذا فعلا سقطت تلقائيا دعواهما ضد القرآن، لأن إضافتهما الكتاب المقدس إلى أوراق القضية معناه أن القرآن فيما قاله عن النصارى واليهود كان على صواب تام، وبهذا يكونان قد هدما بيديهما ما أراد أن يبنياه بهاتين اليدين أنفسهما !

كذلك أنصحهما ألا ينسيا إضافة ما يقوله كل من اليهود والنصارى فى حق الآخر، وبالذات ما يقوله اليهود فى حق عيسى وأمه ودينه . ولكن هل يجرؤان؟ لا إخال ذلك أبد الدهر !

وهذا يقودنا إلى توضيح موقف الإسلام من الفريقين، ففى الوقت الذى يتهم النصارى اليهود بأنهم صلبوا المسيح وقتلوه نرى الإسلام ينفى أن يكون المسيح قد صُلِب أو قُتِل، وهو ما يعنى أن اليهود لم يرتكبوا

هذه الجريمة. ومع هذا يكره اليهودُ الإسلامَ والمسلمين ونبيّهم وكتابهم. وفى الوقت الذى يفترى اليهود على مريم وابنها عليهما السلام الافتراءات البشعة نرى الإسلام يبرئ ساحة العذراء ويطهر سمعتها مما قُرفت به من اتهامات شنيعة تمس عرضها، ويثبت النبوة لعيسى عليه السلام على عكس ما يقول فيه اليهود. ومع هذا أيضا يكره النصارى الإسلام ويتطاولون على نبيه الكريم. ثم يزداد الطين بلةً حين نرى الفريقين فى العصر الحديث (فى الغرب على الأقل) يتناسيان عداواتهما المتأصلة ويتحدان ضد الإسلام فى حلف شيطانى، فيخلق الغرب دولة إسرائيل على حساب العرب والمسلمين مشرّدين بهذه الطريقة أهل فلسطين فى الآفاق ومنكلين بهم وصابين العذابَ على رؤوسهم صبًّا. ثم يزداد هذا التعاون بتأثير من المسيحية المتصهينة التى تعتقد بعودة المسيح قبل يوم القيامة بألف سنة وأن هذه العودة مرهونة بقيام دولة لليهود فى فلسطين عاصمتها القدس. وهذا هو السبب فى تلك الحُمَّى التى يتسارع بها هذا التعاون الجهنمى فى العقود الأخيرة بين أمريكا والكيان الصهيونى. ويؤمن مجانين الأمريكان من المسيحيين المتصهينين بأن عليهم تمهيد الأرض لعودة السيد المسيح بإبادة العرب والمسلمين بالقنابل النووية، أو على الأقل: تنصيرهم، حتى يجد المسيح عند عودته الطريق مفتوحا مرصوفا أمامه فيمشى فيه دون عقبات أو متاعب. وبذلك تكون المنطقة قد أصبحت (هكذا يأملون) خالية من المسلمين والإسلام: إما بإبادتهم أو بتنصيرهم كما جاء فى كتاب جورج بوش جد الرئيس الأمريكى الحالى

الذى ألفه عن النبى محمد عليه السلام حسبما يوضح الفصلان السابع والثامن من كتابى: "مختارات استشراقية عن الإسلام". أليست هذه مهزلة جهنمية لا تخطر ولا فى بال إبليس ذاته؟ وبالمناسبة فهناك أمر مسكوت عنه فى هذه القضية، وهو ماذا سيكون موقف الفريقين أحدهما من الآخر حين يعود السيد المسيح؟ أفسيظلون يتجاهلون العداوات التاريخية والعقيدية التى تفصل بينهما؟ أم إن هذا الموضوع متروك لحين عودة المسيح، وعندها يصير لكل حادثة حديث، وربما انقلب الصديقان اللدودان كلاهما على الآخر بعد أن يكون الحلف المؤقت على حساب العرب المسلمين قد استنفد أغراضه الشيطانية؟ وهذا كله إن صح ما يحلم به المسيحيون المتصهينون! ومرة أخرى أجد قلبى تأكله النار وأنا أرى أمتى خانعة خاضعة تنتظر أعداءها أن يبتّوا فى أمرها ويفعلوا بها الأفاعيل، وهى عاجزة متبلدة متخلفة لا تملك لنفسها شيئا! ولا أدرى ماذا تنتظر. أوتنتظر من القدر أن يحابيها فيحميها، وهى التى لم تحم نفسها؟ أوتنتظر من القدر أن يدمر لها أمريكا وإسرائيل حتى إذا فعل بقيت فى موضعها لا تريمه ولا تتطلع إلى الأعالى وتظل ترضى بالدنية وكأنك يا أبا زيد ما غزوت؟

ومما يعج به الكتاب المقدس فى حق بنى إسرائيل هذه النصوص التى نوردها على سبيل التمثيل ليس إلا، ومنها الكثير فى ذلك الكتاب لمن يريد: جاء فى الإصحاح الأول من سفر "إِشَعْيا": "[٢]اسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ،

أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. ٣اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا
إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ» . ٤وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبِ
الثَّقِيلِ الإِثْمِ، نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ، أَوْلاَدِ مُفْسِدِينَ! تَرَكُوا الرَّبَّ، اسْتَهَانُوا
بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، ارْتَدُّوا إِلَى وَرَاءٍ . ٥عَلَى مَ تُضْرَبُونَ بَعْدُ؟ تَزْدَادُونَ
زَيَغَانًا! كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ، وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ. ٦مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ إِلَى
الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ، بَلْ جُرْحٌ وَأَحْبَاطٌ وَضَرْبَةٌ طَرِيَّةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ
تُعْصَبْ وَلَمْ تُلَيَّنْ بِالزَّيْتِ. ٧بِلاَدُكُمْ خَرِبَةٌ. مُدُنُكُمْ مُحْرَقَةٌ بِالنَّارِ.
أَرْضُكُمْ تَأْكُلُهَا غُرَبَاءُ قُدَّامَكُمْ، وَهِيَ خَرِبَةٌ كَانْقِلاَبِ الْغُرَبَاءِ . ٨فَبَقِيَتِ
ابْنَةُ صِهْيَوْنَ كَمِظَلَّةٍ فِي كَرْمٍ، كَخَيْمَةٍ فِي مَقْثَأَةٍ، كَمَدِينَةٍ مُحَاصَرَةٍ. ٩لَوْلاَ
أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا بَقِيَّةً صَغِيرَةً، لَصِرْنَا مِثْلَ سَدُومَ وَشَابَهْنَا عَمُورَةَ.
١٠اسْمَعُوا كَلاَمَ الرَّبِّ يَا قُضَاةَ سَدُومَ! أَصْغُوا إِلَى شَرِيعَةِ إِلهِنَا يَا شَعْبَ
عَمُورَةَ: ١١«لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ
كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ.
١٢حِينَمَا تَأْتُونَ لِتَظْهَرُوا أَمَامِي، مَنْ طَلَبَ هذَا مِنْ أَيْدِيكُمْ أَنْ تَدُوسُوا
دُورِي؟ ١٣لاَ تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ. الْبَخُورُ هُوَ مَكْرَهَةٌ لِي. رَأْسُ
الشَّهْرِ وَالسَّبْتُ وَنِدَاءُ الْمَحْفَلِ. لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ.
١٤رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلاً. مَلِلْتُ
حَمْلَهَا. ١٥فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ
لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا . ١٦اغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ
أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. ١٧تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ.

انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ. ١٨هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ،
يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ
كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ. ١٩إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ.
٢٠وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ». لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ. ٢١كَيْفَ
صَارَتِ الْقَرْيَةُ الأَمِينَةُ زَانِيَةً! مَلآنَةً حَقًّا. كَانَ الْعَدْلُ يَبِيتُ فِيهَا، وَأَمَّا
الآنَ فَالْقَاتِلُونَ. ٢٢صَارَتْ فِضَّتُكِ زَغَلاً وَخَمْرُكِ مَغْشُوشَةً بِمَاءٍ.
٢٣رُؤَسَاؤُكِ مُتَمَرِّدُونَ وَلُغَفَاءُ اللُّصُوصِ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُحِبُّ الرَّشْوَةَ
وَيَتْبَعُ الْعَطَايَا. لاَ يَقْضُونَ لِلْيَتِيمِ، وَدَعْوَى الأَرْمَلَةِ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِمْ".

وفى الإصحاح الثالث من نفس السفر نقرأ: "١٦وَقَالَ الرَّبُّ: «مِنْ
أَجْلِ أَنَّ بَنَاتِ صِهْيَوْنَ يَتَشَامَخْنَ، وَيَمْشِينَ مَمْدُودَاتِ الأَعْنَاقِ، وَغَامِزَاتٍ
بِعُيُونِهِنَّ، وَخَاطِرَاتٍ فِي مَشْيِهِنَّ، وَيُخَشْخِشْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ، ١٧يُصْلِعُ السَّيِّدُ
هَامَةَ بَنَاتِ صِهْيَوْنَ، وَيُعَرِّي الرَّبُّ عَوْرَتَهُنَّ. ١٨يَنْزِعُ السَّيِّدُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ
زِينَةَ الْخَلاَخِيلِ وَالضَّفَائِرِ وَالأَهِلَّةِ، ١٩وَالْحَلَقِ وَالأَسَاوِرِ وَالْبَرَاقِعِ
٢٠وَالْعَصَائِبِ وَالسَّلاَسِلِ وَالْمَنَاطِقِ وَحَنَاجِرِ الشَّمَّامَاتِ وَالأَحْرَازِ،
٢١وَالْخَوَاتِمِ وَخَزَائِمِ الأَنْفِ، ٢٢وَالثِّيَابِ الْمُزَخْرَفَةِ وَالْعُطُفِ وَالأَرْدِيَةِ
وَالأَكْيَاسِ، ٢٣وَالْمَرَائِي وَالْقُمْصَانِ وَالْعَمَائِمِ وَالأُزُرِ. ٢٤فَيَكُونُ عِوَضَ
الطِّيبِ عُفُونَةٌ، وَعِوَضَ الْمِنْطَقَةِ حَبْلٌ، وَعِوَضَ الْجَدَائِلِ قَرْعَةٌ، وَعِوَضَ
الدِّيبَاجِ زُنَّارُ مِسْحٍ، وَعِوَضَ الْجَمَالِ كَيٌّ! ٢٥رِجَالُكِ يَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ،
وَأَبْطَالُكِ فِي الْحَرْبِ. ٢٦فَتَئِنُّ وَتَنُوحُ أَبْوَابُهَا، وَهِيَ فَارِغَةً تَجْلِسُ عَلَى
الأَرْضِ".

ومن الإصحاح الثالث من سفر "إرميا" ننقل ما يلي: "٦وَقَالَ الرَّبُّ لِي فِي أَيَّامِ يُوشِيَّا الْمَلِكِ: «هَلْ رَأَيْتَ مَا فَعَلَتِ الْعَاصِيَةُ إِسْرَائِيلُ؟ انْطَلَقَتْ إِلَى كُلِّ جَبَلٍ عَالٍ، وَإِلَى كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ وَزَنَتْ هُنَاكَ. ٧فَقُلْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَتْ كُلَّ هذِهِ: ارْجِعِي إِلَيَّ. فَلَمْ تَرْجعْ. فَرَأَتْ أُخْتُهَا الْخَائِنَةُ يَهُوذَا. ٨فَرَأَيْتُ أَنَّهُ لأَجْلِ كُلِّ الأَسْبَابِ إِذْ زنت الْعَاصِيَةُ إِسْرَائِيلُ فَطَلَّقْتُهَا وَأَعْطَيْتُهَا كِتَابَ طَلاَقِهَا، لَمْ تَخَفِ الْخَائِنَةُ يَهُوذَا أُخْتُهَا، بَلْ مَضَتْ وَزَنَتْ هِيَ أَيْضًا. ٩وَكَانَ مِنْ هَوَانِ زِنَاهَا أَنَّهَا نَجَّسَتِ الأَرْضَ وَزَنَتْ مَعَ الْحَجَرِ وَمَعَ الشَّجَرِ. ١٠وَفِي كُلِّ هذَا أَيْضًا لَمْ تَرْجعْ إِلَيَّ أُخْتُهَا الْخَائِنَةُ يَهُوذَا بِكُلِّ قَلْبِهَا، بَلْ بِالْكَذِبِ، يَقُولُ الرَّبُّ». ١١فَقَالَ الرَّبُّ لِي: «قَدْ بَرَّرَتْ نَفْسَهَا الْعَاصِيَةُ إِسْرَائِيلُ أَكْثَرَ مِنَ الْخَائِنَةِ يَهُوذَا".

ومن "إرميا" أيضا ننقل النص التالي من الإصحاح الثالث والعشرين: "٣٣« وَإِذَا سَأَلَكَ هذَا الشَّعْبُ أَوْ نَبِيٌّ أَوْ كَاهِنٌ: مَا وَحْيُ الرَّبِّ؟ فَقُلْ لَهُمْ: أَيُّ وَحْيٍ؟ إِنِّي أَرْفُضُكُمْ، هُوَ قَوْلُ الرَّبِّ. ٣٤فَالنَّبِيُّ أَوِ الْكَاهِنُ أَوِ الشَّعْبُ الَّذِي يَقُولُ: وَحْيُ الرَّبِّ، أُعَاقِبُ ذلِكَ الرَّجُلَ وَبَيْتَهُ. ٣٥هكَذَا تَقُولُونَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ وَالرَّجُلُ لأَخِيهِ: بِمَاذَا أَجَابَ الرَّبُّ، وَمَاذَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ. ٣٦أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ، لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ، إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِنَا. ٣٧هكَذَا تَقُولُ لِلنَّبِيِّ: بِمَاذَا أَجَابَكَ الرَّبُّ، وَمَاذَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ. ٣٨وَإِذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ: وَحْيُ الرَّبِّ، فَلِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ قَوْلِكُمْ هذِهِ الْكَلِمَةَ: وَحْيُ الرَّبِّ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ قَائِلاً لاَ تَقُولُوا: وَحْيُ الرَّبِّ،

٣٩لذلكَ هأنذا أَنساكُمْ نسْيانًا، وأَرْفُضُكُمْ منْ أَمامِ وَجْهي، أَنتُمْ والْمَدينَةَ
الَّتي أَعْطَيْتُكُمْ وآباءَكُمْ إياها. ٤٠وأَجْعَلُ عَلَيْكُمْ عارًا أَبديًّا وخِزْيًا أَبديًّا
لا يُنْسَى»".

وفى الإصحاح السادس عشر من سفر "حزقيال" نطالع ما يلى:
"١وكَانَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائلَةً: ٢«يا ابْنَ آدَمَ، عَرِّفْ أُورُشَليمَ
بِرَجاسَاتِها، ٣وقُلْ: هكَذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأُورُشَليمَ: مَخْرَجُك وَمَوْلدُك
مِنْ أَرْض كَنْعانَ. أَبوكِ أَموريٌّ وأُمُّك حِثِّيَّةٌ. ٤أَمَّا مِيلادُكِ يَوْمَ وُلِدْت فلَمْ
تُقْطَعْ سُرَّتُك، ولَمْ تُغسَلي بالمَاء للتَّنظُّف، ولَمْ تُمَلَّحي تَمْليحًا، ولَمْ
تُقَمَّطي تَقْميطًا. ٥لَمْ تَشْفُقْ عَلَيْك عَيْنٌ لتَصْنَعَ لك واحدَةً منْ هذه لتَرِقَّ
لك، بَلْ طُرِحْت عَلى وَجْه الحَقْلِ بكَرَاهَة نفسك يَوْمَ وُلدْت. ٦فمَرَرْتُ
بِك ورأَيْتُك مَدُوسَةً بدَمك، فقلتُ لك: بدَمك عيشي، قُلْتُ لك:
بدَمك عيشي. ٧جَعَلْتُك رَبْوَةً كَنَبات الحَقْل، فرَبَوْت وكَبُرْت، وبَلغت
زينَةَ الأَزْيان. نَهَدَ ثَدْياكِ، وَنَبَتَ شَعْرُكِ وقَدْ كُنْت عُرْيانَةً وعَارِيَةً.
٨فمَرَرْتُ بك ورَأَيْتُك، وإذا زَمَنُك زَمَنُ الحُبِّ. فبَسَطْتُ ذَيْلي عَلَيْك
وَسَتَرْتُ عَوْرَتَك، وحَلَفْتُ لك، وَدَخَلْتُ مَعَك في عَهْد، يَقول السَّيِّدُ
الرَّبُّ، فَصِرْت لي. ٩فحَمَّمْتُك بالْمَاء، وَغَسَلْتُ عَنْك دِمَاءَك،
وَمَسَحْتُك بالزَّيت، ١٠وأَلْبَسْتُك مُطَرَّزَةً، ونَعَلْتُك بالتُّخس، وأَزَّرْتُك
بالْكَتَّان، وكَسَوْتُك بَزًّا، ١١وحَلَّيْتُك بالْحُليِّ، فوَضَعْتُ أَسْوِرَةً في يَدَيْك
وطَوْقًا في عُنُقك. ١٢ووَضَعْتُ خِزَامَةً في أَنفك وأَقْرَاطًا في أُذُنَيْك
وتاجَ جَمَال عَلى رَأْسك. ١٣فتَحَلَّيْت بالذهَب والفضة، ولِباسُكِ الكَتَّانُ

وَالْبَزُّ وَالْمُطَرَّزُ. وَأَكَلْتِ السَّمِيذَ وَالْعَسَلَ وَالزَّيْتَ، وَجَمُلْتِ جِدًّا جِدًّا،
فَصَلُحْتِ لِمَمْلَكَةٍ. ١٤وَخَرَجَ لَكِ اسْمٌ فِي الأُمَمِ لِجَمَالِكِ، لأَنَّهُ كَانَ كَامِلاً
بِبَهَائِي الَّذِي جَعَلْتُهُ عَلَيْكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.

١٥فَاتَّكَلْتِ عَلَى جَمَالِكِ، وَزَنَيْتِ عَلَى اسْمِكِ، وَسَكَبْتِ زِنَاكِ
عَلَى كُلِّ عَابِرٍ فَكَانَ لَهُ. ١٦وَأَخَذْتِ مِنْ ثِيَابِكِ وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ
مُرْتَفَعَاتٍ مُوَشَّاةً، وَزَنَيْتِ عَلَيْهَا. أَمْرٌ لَمْ يَأْتِ وَلَمْ يَكُنْ. ١٧وَأَخَذْتِ أَمْتِعَةَ
زِينَتِكِ مِنْ ذَهَبِي وَمِنْ فِضَّتِي الَّتِي أَعْطَيْتُكِ، وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ صُوَرَ
ذُكُورٍ وَزَنَيْتِ بِهَا. ١٨وَأَخَذْتِ ثِيَابَكِ الْمُطَرَّزَةَ وَغَطَّيْتِهَا بِهَا، وَوَضَعْتِ
أَمَامَهَا زَيْتِي وَبَخُورِي. ١٩وَخُبْزِي الَّذِي أَعْطَيْتُكِ، السَّمِيذَ وَالزَّيْتَ
وَالْعَسَلَ الَّذِي أَطْعَمْتُكِ، وَضَعْتِهَا أَمَامَهَا رَائِحَةَ سُرُورٍ. وَهكَذَا كَانَ،
يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ٢٠أَخَذْتِ بَنِيكِ وَبَنَاتِكِ الَّذِينَ وَلَدْتِهِمْ لِي، وَذَبَحْتِهِمْ لَهَا
طَعَامًا. أَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ زِنَاكِ ٢١أَنَّكِ ذَبَحْتِ بَنِيَّ وَجَعَلْتِهِمْ يَجُوزُونَ فِي
النَّارِ لَهَا؟ ٢٢وَفِي كُلِّ رَجَاسَاتِكِ وَزِنَاكِ لَمْ تَذْكُرِي أَيَّامَ صِبَاكِ، إِذْ كُنْتِ
عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً وَكُنْتِ مَدُوسَةً بِدَمِكِ. ٢٣وَكَانَ بَعْدَ كُلِّ شَرِّكِ. وَيْلٌ، وَيْلٌ
لَكِ! يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، ٢٤أَنَّكِ بَنَيْتِ لِنَفْسِكِ قُبَّةً وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ
مُرْتَفَعَةً فِي كُلِّ شَارِعٍ. ٢٥فِي رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ بَنَيْتِ مُرْتَفَعَتَكِ وَرَجَّسْتِ
جَمَالَكِ، وَفَرَّجْتِ رِجْلَيْكِ لِكُلِّ عَابِرٍ وَأَكْثَرْتِ زِنَاكِ. ٢٦وَزَنَيْتِ مَعَ
جِيرَانِكِ بَنِي مِصْرَ الْغِلاَظِ اللَّحْمِ، وَزِدْتِ فِي زِنَاكِ لإِغَاظَتِي.

٢٧فَهأَنَذَا قَدْ مَدَدْتُ يَدِي عَلَيْكِ، وَمَنَعْتُ عَنْكِ فَرِيضَتَكِ،
وَأَسْلَمْتُكِ لِمَرَامِ مُبْغِضَاتِكِ، بَنَاتِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، اللَّوَاتِي يَخْجَلْنَ مِنْ

طَرِيقِكِ الرَّذِيلَةِ. ٢٨وَزَنَيْتِ مَعَ بَنِي أَشُّورَ، إِذْ كُنْتِ لَمْ تَشْبَعِي فَزَنَيْتِ بِهِمْ،
وَلَمْ تَشْبَعِي أَيْضًا. ٢٩وَكَثَّرْتِ زِنَاكِ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ،
وَبِهذَا أَيْضًا لَمْ تَشْبَعِي. ٣٠مَا أَمْرَضَ قَلْبَكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِذْ فَعَلْتِ
كُلَّ هذَا فِعْلَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ سَلِيطَةٍ، ٣١بِبِنَائِكِ قُبَّتَكِ فِي رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ،
وَصُنْعِكِ مُرْتَفَعَتَكِ فِي كُلِّ شَارِعٍ. وَلَمْ تَكُونِي كَزَانِيَةٍ، بَلْ مُحْتَقِرَةً
الأُجْرَةَ. ٣٢أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ الْفَاسِقَةُ، تَأْخُذُ أَجْنَبِيِّينَ مَكَانَ زَوْجِهَا. ٣٣لِكُلِّ
الزَّوَانِي يُعْطُونَ هَدِيَّةً، أَمَّا أَنْتِ فَقَدْ أَعْطَيْتِ كُلَّ مُحِبِّيكِ هَدَايَاكِ،
وَرَشَيْتِهِمْ لِيَأْتُوكِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِلزِّنَا بِكِ. ٣٤وَصَارَ فِيكِ عَكْسُ عَادَةِ
النِّسَاءِ فِي زِنَاكِ، إِذْ لَمْ يُزْنَ وَرَاءَكِ، بَلْ أَنْتِ تُعْطِينَ أُجْرَةً وَلاَ أُجْرَةَ تُعْطَى
لَكِ، فَصِرْتِ بِالْعَكْسِ. ٣٥فَلِذلِكَ يَا زَانِيَةُ اسْمَعِي كَلاَمَ الرَّبِّ: ٣٦هكَذَا
قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ أُنْفِقَ نُحَاسُكِ وَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُكِ
بِزِنَاكِ بِمُحِبِّيكِ وَبِكُلِّ أَصْنَامِ رَجَاسَاتِكِ، وَلِدِمَاءِ بَنِيكِ الَّذِينَ بَذَلْتِهِمْ لَهَا،
٣٧لِذلِكَ هأَنَذَا أَجْمَعُ جَمِيعَ مُحِبِّيكِ الَّذِينَ لَذَذْتِ لَهُمْ، وَكُلَّ الَّذِينَ أَحْبَبْتِهِمْ
مَعَ كُلِّ الَّذِينَ أَبْغَضْتِهِمْ، فَأَجْمَعُهُمْ عَلَيْكِ مِنْ حَوْلِكِ، وَأَكْشِفُ عَوْرَتَكِ لَهُمْ
لِيَنْظُرُوا كُلَّ عَوْرَتِكِ. ٣٨وَأَحْكُمُ عَلَيْكِ أَحْكَامَ الْفَاسِقَاتِ السَّافِكَاتِ
الدَّمِ، وَأَجْعَلُكِ دَمَ السَّخَطِ وَالْغَيْرَةِ. ٣٩وَأُسَلِّمُكِ لِيَدِهِمْ فَيَهْدِمُونَ قُبَّتَكِ
وَيُهَدِّمُونَ مُرْتَفَعَاتِكِ، وَيَنْزِعُونَ عَنْكِ ثِيَابَكِ، وَيَأْخُذُونَ أَدَوَاتِ زِينَتِكِ،
وَيَتْرُكُونَكِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً. ٤٠وَيُصْعِدُونَ عَلَيْكِ جَمَاعَةً، وَيَرْجُمُونَكِ
بِالْحِجَارَةِ وَيَقْطَعُونَكِ بِسُيُوفِهِمْ، ٤١وَيُحْرِقُونَ بُيُوتَكِ بِالنَّارِ، وَيُجْرُونَ عَلَيْكِ
أَحْكَامًا قُدَّامَ عُيُونِ نِسَاءٍ كَثِيرَةٍ. وَأَكُفُّكِ عَنِ الزِّنَا، وَأَيْضًا لاَ تُعْطِينَ أُجْرَةً

بَعْدُ. ٤٢وَأُحِلُّ غَضَبِي بِكِ فَتَنْصَرِفُ غَيْرَتِي عَنْكِ، فَأَسْكُنُ وَلاَ أَغْضَبُ
بَعْدُ. ٤٣مِنْ أَجْلِ أَنَّكِ لَمْ تَذْكُرِي أَيَّامَ صِبَاكِ، بَلْ أَسْخَطْتِنِي فِي كُلِّ هذِهِ،
فَهأَنَذَا أَيْضًا أَجْلِبُ طَرِيقَكِ عَلَى رَأْسِكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَلاَ تَفْعَلِينَ
هذِهِ الرَّذِيلَةَ فَوْقَ رَجَاسَاتِكِ كُلِّهَا".

ثم الاقتباس التالى من الإصحاح الثانى من سفر هوشع:
"٢حَاكِمُوا أُمَّكُمْ حَاكِمُوا، لأَنَّهَا لَيْسَتِ امْرَأَتِي وَأَنَا لَسْتُ رَجُلَهَا، لِكَيْ
تَعْزِلَ زِنَاهَا عَنْ وَجْهِهَا وَفِسْقَهَا مِنْ بَيْنِ ثَدْيَيْهَا، ٣لِئَلاَّ أُجَرِّدَهَا عُرْيَانَةً
وَأُوقِفَهَا كَيَوْمِ وِلاَدَتِهَا، وَأَجْعَلَهَا كَقَفْرٍ، وَأُصَيِّرَهَا كَأَرْضٍ يَابِسَةٍ، وَأُمِيتَهَا
بِالْعَطَشِ. ٤وَلاَ أَرْحَمُ أَوْلاَدَهَا لأَنَّهُمْ أَوْلاَدُ زِنًى. ٥لأَنَّ أُمَّهُمْ قَدْ زَنَتْ.
الَّتِي حَبِلَتْ بِهِمْ صَنَعَتْ خِزْيًا. لأَنَّهَا قَالَتْ: أَذْهَبُ وَرَاءَ مُحِبِّيَّ الَّذِينَ
يُعْطُونَ خُبْزِي وَمَائِي، صُوفِي وَكَتَّانِي، زَيْتِي وَأَشْرِبَتِي. ٦لِذلِكَ هأَنَذَا
أُسَيِّجُ طَرِيقَكِ بِالشَّوْكِ، وَأَبْنِي حَائِطَهَا حَتَّى لاَ تَجِدَ مَسَالِكَهَا. ٧فَتَتْبَعُ
مُحِبِّيهَا وَلاَ تُدْرِكُهُمْ، وَتُفَتِّشُ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَجِدُهُمْ. فَتَقُولُ: أَذْهَبُ وَأَرْجعُ
إِلَى رَجُلِي الأَوَّلِ، لأَنَّهُ حِينَئِذٍ كَانَ خَيْرٌ لِي مِنَ الآنَ. ٨وَهِيَ لَمْ تَعْرِفْ أَنِّي
أَنَا أَعْطَيْتُهَا الْقَمْحَ وَالْمِسْطَارَ وَالزَّيْتَ، وَكَثَّرْتُ لَهَا فِضَّةً وَذَهَبًا جَعَلُوهُ
لِبَعْل. ٩لِذلِكَ أَرْجعُ وَآخُذُ قَمْحِي فِي حِينِهِ، وَمِسْطَارِي فِي وَقْتِهِ، وَأَنْزِعُ
صُوفِي وَكَتَّانِي اللَّذَيْنِ لِسَتْرِ عَوْرَتِهَا. ١٠وَالآنَ أَكْشِفُ عَوْرَتَهَا أَمَامَ عُيُونِ
مُحِبِّيهَا وَلاَ يُنْقِذُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. ١١وَأُبَطِّلُ كُلَّ أَفْرَاحِهَا: أَعْيَادَهَا
وَرُؤُوسَ شُهُورِهَا وَسُبُوتَهَا وَجَمِيعَ مَوَاسِمِهَا. ١٢وَأُخَرِّبُ كَرْمَهَا وَتِينَهَا
اللَّذَيْنِ قَالَتْ: هُمَا أُجْرَتِي الَّتِي أَعْطَانِيهَا مُحِبِّيَّ، وَأَجْعَلُهُمَا وَعْرًا

فَيَأْكُلُهُمَا حَيَوَانُ الْبَرِّيَّةِ. ١٣وَأُعَاقِبُهَا عَلَى أَيَّامِ بَعْلِيمَ الَّتِي فِيهَا كَانَتْ تُبَخِّرُ
لَهُمْ وَتَتَزَيَّنُ بِخَزَائِمِهَا وَحُلِيِّهَا وَتَذْهَبُ وَرَاءَ مُحِبِّيهَا وَتَنْسَانِي أَنَا، يَقُولُ
الرَّبُّ". وكذلك الإصحاح الثالث من ذات السفر: "١وَقَالَ الرَّبُّ لِي:
«اذْهَبْ أَيْضًا أَحْبِبِ امْرَأَةً حَبِيبَةَ صَاحِبٍ وَزَانِيَةً، كَمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ وَهُمْ مُلْتَفِتُونَ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى وَمُحِبُّونَ لأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ».
٢فَاشْتَرَيْتُهَا لِنَفْسِي بِخَمْسَةَ عَشَرَ شَاقِلَ فِضَّةٍ وَبِحُومَرَ وَلَثْكِ شَعِيرٍ.
٣وَقُلْتُ لَهَا: «تَقْعُدِينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً لاَ تَزْنِي وَلاَ تَكُونِي لِرَجُلٍ، وَأَنَا كَذلِكَ
لَكِ». ٤لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَقْعُدُونَ أَيَّامًا كَثِيرَةً بِلاَ مَلِكٍ، وَبِلاَ رَئِيسٍ،
وَبِلاَ ذَبِيحَةٍ، وَبِلاَ تِمْثَالٍ، وَبِلاَ أَفُودٍ وَتَرَافِيمَ".

والآن إلى إنجيل متى من العهد الجديد نقفز قفزا فنقرأ فى الإصحاح الثالث ما قاله يحيى عليه السلام للفرّيسيين عندما أتوا إليه فى نهر الأردن ليعمّدهم: "٧فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ يَأْتُونَ
إِلَى مَعْمُودِيَّتِهِ، قَالَ لَهُمْ: «يَاأَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ
الآتِي؟ ٨فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. ٩وَلاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي
أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْراهِيمُ أَبًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ
الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْراهِيمَ. ١٠وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ
الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ". ونظل فى متى أيضا بعضا آخر من الوقت لنقرأ من الإصحاح الثانى عشر ما أسمعه السيد المسيح بدوره للفريسيين من قارص القول وقارضه: "٣٤يَا
أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟

فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ. ٣٥الإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي
الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ
الشُّرُورَ. ٣٦وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ
يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. ٣٧لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ
تُدَانُ» . ٣٨حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ
أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً» . ٣٩فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً،
وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ" .

ثم نذهب إلى الإصحاح الثالث من إنجيل مرقس وما ورد فيه عن
المسيح وأمه المباركة الطاهرة حين كان عليه السلام فى بيت من البيوت
مع بعض الناس، "٣١فَجَاءَتْ حِينَئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجًا وَأَرْسَلُوا
إِلَيْهِ يَدْعُونَهُ. ٣٢وَكَانَ الْجَمْعُ جَالِسًا حَوْلَهُ، فَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أُمُّكَ
وَإِخْوَتُكَ خَارِجًا يَطْلُبُونَكَ» . ٣٣فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً: «مَنْ أُمِّي وَإِخْوَتِي ؟»
٣٤ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى الْجَالِسِينَ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي، ٣٥لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ
مَشِيئَةَ اللهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»" . أما فى الإصحاح السابع فتقابلنا
قصته صلى الله عليه وسلم مع المرأة الفينيقية التى أهانها أيما إهانة قبل
أن يستجيب لطلبها حين تقبلت إهانته القاسية لها بصبر ومذلة
وانسحاق تام حسبما كتب مؤلف السفر: "٢٤ثُمَّ قَامَ مِنْ هُنَاكَ وَمَضَى
إِلَى تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، وَدَخَلَ بَيْتًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ لاَ يَعْلَمَ أَحَدٌ، فَلَمْ
يَقْدِرْ أَنْ يَخْتَفِيَ، ٢٥لأَنَّ امْرَأَةً كَانَ بِابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ سَمِعَتْ بِهِ، فَأَتَتْ
وَخَرَّتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ. ٢٦وَكَانَتِ الامْرَأَةُ أُمَمِيَّةً، وَفِي جِنْسِهَا فِينِيقِيَّةً

سُورِيَّةً. فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ مِنِ ابْنَتِهَا. [٢٧]وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهَا: «دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلاً يَشْبَعُونَ، لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». [٢٨]فَأَجَابَتْ وَقَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ الْبَنِينَ!». [٢٩]فَقَالَ لَهَا: «لأَجْلِ هذِهِ الْكَلِمَةِ، اذْهَبِي. قَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنِ ابْنَتِكِ». [٣٠]فَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَوَجَدَتِ الشَّيْطَانَ قَدْ خَرَجَ، وَالابْنَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى الْفِرَاشِ".

والسبب فى هذا الموقف الذى اتخذه عليه السلام منها هو أنها لم تكن من بنى إسرائيل، الذين إنما بُعث إليهم السيد المسيح لا إلى غيرهم، فكأن رحمة الله لا تتسع لسواهم، بخلاف الحال مع النبى محمد عليه الصلاة والسلام، الذى فتح قلبه ودينه على مصراعيهما بحيث شملا الناس من كل الأجناس والألوان والثقافات منذ بداية الدعوة فرأينا بلالاً الحبشىّ وصُهَيْبًا الرومىّ وسلمانَ الفارسىّ يحفون به عن كَثَب فيبسط عليهم جناح عطفه وكرمه ورحمته، مَثَلُهم فى ذلك مَثَل أُىّ عربى قرشى، لا فرق بين طرف وآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالكل عيال الله وعباده! وعجيب أن يقال مع ذلك إن السيد المسيح قد جاء لفداء البشر (البشر جميعا لا بنى إسرائيل فحسب) من الخطيئة الأولى حسبما يزعم الزاعمون فى الوقت الذى كان يرفض أن يهبّ لنجدة امرأة فينيقية أو أخرى كنعانية ويشدّد على تلاميذه فى ألا يمضوا إلى أية بلدة لغير بنى إسرائيل، بحجة أنه لم يأت إلا لهم وحدهم. وحتى لو صدّقنا ما ذكره مؤلفو الأناجيل من أنه عليه الصلاة والسلام قد أهاب بحواريه أن

يمضوا إلى أمم الأرض، فينبغى أن تنتبه إلى أنه إنما فعل ذلك فى آخر
المطاف وبعد أن استعصى عليه بنو إسرائيل تمام الاستعصاء ووصل
يأسه منهم إلى منتهاه، وهو ما يجعل الأمر يتخذ صورة الضرورة الملجئة
لا المبدإ الأصيل فى دينه عليه السلام!

ومن الإصحاح الحادى عشر من إنجيل لوقا نقتطف هذا النص
الذي يكيل المسيح فيه للفريسيين الشتائم كيلا: "٣٧وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ
فَرِيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ، فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ. ٣٨وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذلكَ
تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ. ٣٩فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا
الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا
وَخُبْثًا. ٤٠يَا أَغْبِيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضًا؟
٤١بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ. ٤٢وَلكِنْ
وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْل،
وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا
تِلْكَ. ٤٣وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي
الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ. ٤٤وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ
الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لاَ
يَعْلَمُونَ!». ٤٥فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ النَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، حِينَ تَقُولُ
هذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضًا!». ٤٦فَقَالَ: «وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ!
لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالاً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ
بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ. ٤٧وَيْلٌ لَكُمْ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ

قَتَلُوهُمْ. ٤٨إِذًا تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ".

ولا يقتصر الأمر على الفريسيين بل ينوب الحواريين منه جانب طبقا لمؤلفى الأناجيل. ففى الإصحاح الرابع من مرقس يتهمهم عليه السلام بعدم الإيمان: "٣٥وَقَالَ لَهُمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: «لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ». ٣٦فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضًا سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ. ٣٧فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ، فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ. ٣٨وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِمًا. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟» ٣٩فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ! اِبْكَمْ!». فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. ٤٠وَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟»". كما اتهمهم أيضا فى الإصحاح السادس أن عقولهم غليظة، إذ بعد أن أطعم ألاف الأشخاص بأرغفة خمسة وسمكتين لا غير نقرأ ما يلى: "وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوا إِلَى الْعَبْرِ، إِلَى بَيْتِ صَيْدَا، حَتَّى يَكُونَ قَدْ صَرَفَ الْجَمْعَ. ٤٦وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. ٤٧وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَتِ السَّفِينَةُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، وَهُوَ عَلَى الْبَرِّ وَحْدَهُ. ٤٨وَرَآهُمْ مُعَذَّبِينَ فِي الْجَذْفِ، لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ. وَنَحْوَ الْهَزِيعِ الرَّابعِ مِنَ اللَّيْلِ أَتَاهُمْ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ. ٤٩فَلَمَّا رَأَوْهُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ ظَنُّوهُ خَيَالاً، فَصَرَخُوا. ٥٠لأَنَّ الْجَمِيعَ رَأَوْهُ وَاضْطَرَبُوا. فَلِلْوَقْتِ كَلَّمَهُمْ وَقَالَ

لَهُمْ: «ثِقُوا ! أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا» . ٥١فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ إِلَى السَّفِينَةِ فَسَكَنَتِ
الرِّيحُ، فَبُهِتُوا وَتَعَجَّبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ جِدًّا إِلَى الْغَايَةِ، ٥٢لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا
بِالأَرْغِفَةِ إِذْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ غَلِيظَةً" . وهو ما تكرر في الإصحاح الثامن
كذلك: "١٣ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَدَخَلَ أَيْضًا السَّفِينَةَ وَمَضَى إِلَى الْعَبْرِ. ١٤وَنَسُوا أَنْ
يَأْخُذُوا خُبْزًا، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ إِلاَّ رَغِيفٌ وَاحِدٌ .
١٥وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «انْظُرُوا ! وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَخَمِيرِ
هِيرُودُسَ» ١٦فَفَكَّرُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لَيْسَ عِنْدَنَا خُبْزٌ» . ١٧فَعَلِمَ
يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ أَنْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ خُبْزٌ؟ أَلاَ تَشْعُرُونَ بَعْدُ
وَلاَ تَفْهَمُونَ؟ أَحَتَّى الآنَ قُلُوبُكُمْ غَلِيظَةٌ؟ ١٨أَلَكُمْ أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُونَ،
وَلَكُمْ آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُونَ، وَلاَ تَذْكُرُونَ؟ ١٩حِينَ كَسَّرْتُ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ
لِلْخَمْسَةِ الآلاَفِ، كَمْ قُفَّةً مَمْلُوَّةً كِسَرًا رَفَعْتُمْ؟» قَالُوا لَهُ: «اثْنَتَيْ
عَشْرَةَ» . ٢٠«وَحِينَ السَّبْعَةِ لِلأَرْبَعَةِ الآلاَفِ، كَمْ سَلَّ كِسَرٍ مَمْلُوًّا
رَفَعْتُمْ؟» قَالُوا: «سَبْعَةً» . ٢١فَقَالَ لَهُمْ: «كَيْفَ لاَ تَفْهَمُونَ؟»" . ولم يشأ
كاتب السفر أن ينتهى هذا الإصحاح دون أن ينعم على بطرس كبير
الحواريين بهذه الكلمات الصاعقة: "٣١وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي
أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ
ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. ٣٢وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ.
٣٣فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ، فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!
لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا ِللهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ» ." . والآن ما قول كاتبينا
المتذاكيين؟ لا أريد جوابا، فالحال يغنى عن السؤال!

ثم إن القرآن المجيد لم يبدأ هؤلاء الأقوام بالعدوان، بل كان كلا في حقهم ردا على سفاهاتهم وقلة أدبهم وتأليبهم المشركين علي وتآمرهم ضده. . . إلخ. وعلى هذا فلو قيس ما صنعوه في حق الإسلام بما قاله القرآن فيهم تبين لنا أن القرآن كان كريما غاية الكرم والجود معهم. لنأخذ مثلا قوله تعالى في الآيات التالية من سورة "المائدة": "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)"، وهى الآيات التى تتضمن بعضا مما يقول الكاتبان إنه إهانة لليهود والنصارى، والتى نزلت ردا على هذا الذى كانوا يقترفونه من شتم للمسلمين وتهكم على صلاتهم وأذانهم وتآمر عليهم وعلى دينهم وتجديف فى حق ربهم. جاء فى تفسير البغوى للآية الثامنة والخمسين من هذه الآيات: "قال الكلبي: كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: "قد قاموا لا قاموا، وصلوْا لا صلَوا" على طريق الاستهزاء وضحكوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية"، وفى الطبرى: "كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن

محمدًا رسول الله، قال: "حُرَق الكاذب" (يقصد شتم النبى عليه السلام واتهامه بالكذب والتدليس والدعاء عليه بأن يحرقه الله) فدخلت خادمه ذات ليلة من الليالي بنار وهو نائم، وأهله نيام. فسقطت شرارة فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله" . ولا داعى لسرد ما قاله الضالون المضلون من الكهان والقساوسة إفكا وبهتانا على النبى محمد عليه الصلاة والسلام من مثل دعواهم المزوَّرة بأنه كان يدعو إلى الأصنام وأنه سكر ذات ليلة فارتمى فوق كوم زُبالة ورأته الخنازير وأكلت قطعة من جسده، فما كان منه إلا أن حرم لحومها . . . إلى آخر ما افتَرَوْه هم وأمثالهم مما يعرفه كل ذى اهتمام بهذا اللون من الدراسات، ويعرف كل شريف نبيل أنه كذبٌ رقيعٌ حقيرٌ حقارةَ أولئك الذين افترَوْه على سيد الأنبياء والمرسَلين ورقاعتَهم.

كما كان اليهود يتطاولون حتى على الله فيصفونه سفاهةً منهم وإجرامًا بأنه فقير، أما هم فأغنياء، أو بأن يديه مغلولتان حسبما تخبرنا الآية الرابعة والستون المارّة آنفا . فإذا دعا القرآن عليهم عقب ذلك وقال: "لُعنُوا بما قالوا"، أى بما جدّفوا به فى حق الله سبحانه وتعالى، فإن هذا هو أقل ما ينبغى أن يقال فى ذلك الصدد، اللهم إلا إذا كان الكاتبان المتذاكيان يريدان أن يشتم اليهود المسلمين ودينهم وربهم فيخرس المسلمون ولا يردوا عليهم بعد أن تركوهم طويلا فى البداية يتسافهون دون أن يجيبوهم جريا على تقديم سياسة الإغضاء أوّلاً قبل اللجوء إلى خطوة أبعد . لقد استهزؤوا مثلا بالصلاة والأذان: "وإذا

ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا"، فرد القرآن عليهم بالمنطق والعقل والحكمة محاولا إثارة نخوة من لا نخوة عندهم ولا شرف ولا أدب، وذلك قبل أن يصكهم فى وجوههم النجسة الوقحة كعلاج أخير بعد أن طالت حبال الصبر ولم يعد فى القوس منه مَنْزَع: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)". كذلك هناك التآمر والعبث فيما لا يقبل تآمرا ولا عبثا: "وإذا جاؤوكم قالوا: "آمنا"، وقد دخلوا بالكفر، وهم قد خرجوا به". فإذا حذر القرآن بعد هذا كله المسلمين أن يطمئنوا إلى هؤلاء الناس أو يعطوهم صفو قلوبهم ويطلعوهم على أسرارهم، فما وجه العيب فى هذا؟

أم يريد الكاتبان المرائيان أن يظل المسلمون يتلقَّوْن اللطمات على وجوههم وأقفائهم، والطعنات فى ظهورهم وبطونهم ورقابهم دون أن يتعلموا الدرس فيردّوا على الشر بالشر؟ ألم يكن الأولى بهما أن يوجها النقد إلى الأوغاد الذين يستحقونه بدلا من الإنحاء باللائمة على الشرفاء الفضلاء من المؤمنين؟ أليس هؤلاء اليهود الذين يزعجنا الكاتب دفاعا عن كفرهم وسفالتهم وسفاهتهم هم الذين ذهبوا ملتحفين رداء الغدر متلففين فى ثوب الجبن والكفر يؤلبون مشركى قريش على جارهم وحليفهم وحاكمهم ومبجّل أنبيائهم ومجاملهم بكل سبيل والرافع الوحيد

للواء التوحيد الخالص فى العالم، محمد عليه الصلاة والسلام، قائلين له إن شركهم ووثنيتهم خير من دينه وتوحيده كما هو مسجل فى الآية التالية من سورة "النساء"، ومخططين معهم لشن حرب ضده تقضى عليه وعلى دينه إلى الأبد: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١)"؟ فإذا كان جواب القرآن بعد ذلك على تلك السفاهة الكافرة المجرمة هو قوله عقب هذا: "أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)"، أيكون قد جار عليهم وظلمهم واستحق أن يرفع كاتبانا الهمامان دعوى ضده فى محكمة لاهاى الدولية؟

سأترك أستاذا يهوديا معروفا هو الدكتور إسرائيل ولفنسون (الأستاذ السابق بكلية دار العلوم وصاحب "تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام") يعلق على هذا التصرف من أهل دينه قائلا إن "الذى يلامون عليه بحق والذى يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء إنما هو تلك الحادثة التى جرت بين نفر من اليهود وبين قريش الوثنيين حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية. . . كان من واجب اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطإ الفاحش وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامى ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطالبهم (يقصد استجابة قريش للمؤامرة التى كانوا يريدون أن

يقضوا بها على الرسول عليه السلام ودينه) . . . هذا فضلا عن أنهم، بالتجائهم إلى عَبَدة الأصنام، إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصى بالنفور من أصحاب الأصنام والوقوف معهم موقف الخصومة" [إسرائيل ولفنسون/ تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام/ لجنة التأليف والترجمة والنشر/ ١٣٤٥هـ- ١٩٢٧م/ ١٤٢- ١٤٣) . وبالناسبة فلم تقتصر سفالة اليهود على هذا، بل إن لهم لجرائم كثيرة لا تقل إن لم تزد عن هذه الجريمة!

وهذا هو السبب فى أمر القرآن للمسلمين ألا يوالوا اليهود والنصارى. وهنا ينبرى الفلحاسان الخائبان رافعَيْن عَقيرةَ الاستنكار والإدانة دون سبب أو منطق، إذ ماذا فى ألا يوالى المسلمون اليهود الذين لم تصْفُ لهم قلوبُهم يوما رغم كل ما أكرمهم به الرسول الكريم أول مُهَاجَرِه إلى المدينة غير واضع فى اعتباره اختلافَ دينهم عن دينه وكُفْرَهم برسالته وانتماءهم إلى جنس غير جنس العرب؟ أليس المسلمون أحرارا فى مشاعرهم ومواقفهم ما داموا لا يظلمون أحدا أو يبخسونه حقه؟ بلى هم أحرار فى ذلك، وبخاصة إذا كان عدم الموالاة لا يعنى شيئا غير الحذر من اليهود واليقظة لألاعيبهم وعدم فتح القلوب لهم أو إفشاء الأسرار إليهم أو التعاون معهم ضد جماعة المؤمنين وما إلى ذلك. أليس أمر الكاتبَيْن عجبا فى عجب؟

على أن هناك أمرا مهما، ألا وهو أن القرآن لم يتعرض قط لأى نبى عند بنى إسرائيل إلا بكل الاحترام والتجلة، فضلا عن أن الرسول

الكريم لم يكن يحب أن يفضله المسلمون على أى من إخوانه الأنبياء رغم بعد المسافة التى تفصل بين عظمته وبين عظمة إخوانه هؤلاء، عليهم جميعا السلام. وهذا لأنه كبير النفس قد بلغ الغاية البُعْدَى فى التواضع النبيل! ثم إننا لو نظرنا فى النصوص القرآنية المبكرة التى تتحدث عن اليهود والنصارى قبل أن يبدأوا عدوانهم على الإسلام ويتآمروا ضده ويحاولوا خنقه والقضاء عليه لوجدنا لهجة هادئة تقرر الخلافات بين الإسلام وبين الذى فى أيدى هؤلاء أو أولئك، وتنص على وجه الخطإ، لكن دون أن تمسهم بسوء، وذلك على عكس ما تطورت إليه الأمور بعد الهجرة وانتقال الفريقين من مجرد المخالفة والرفض للدين الجديد إلى التآمر والتهكم والتهديد ومحاولة الإيذاء والخيانة. وهذا معروف، ومثلان اثنان يغنيان عن أمثلة كثيرة.

فمن ذلك قوله تعالى فى سورة "الزخرف" عن زعم النصارى أن عيسى عليه السلام هو ابن الله: "وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

(٦٤) فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٦٦)".

ومنه أيضا الآيات الكريمات التاليات من سورة "طه" عن بنى إسرائيل وارتدادهم إلى الوثنية بمجرد أن تركهم موسى للقاء ربه فوق الجبل وغاب عنهم بعض الوقت: "وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ

مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)".

وهذا كل ما هنالك. وهو، حسبما نرى ويرى القراء معنا بوضوح تام)، مختلف عما قرأناه فى النصوص السابقة التى نزلت بعدما جاوز السيل الزُّبى وبلغ الحزامُ الطُّبْيَيْن من جرّاء ما اقترفت الأيدى النجسة والألسنة الدنسة التى تستأهل القطع من فظائع وجرائم! وهذا كله (كما قلنا) لا يُعَدّ، سواء من ناحية الكم أو المضمون، شيئا بالقياس إلى ما يدمدم به الكتاب المقدس عليهم من لعنات وشتائمَ وتكفير وتوعُّد بمصير أسودَ من قرن الخرّوب فى الدنيا قبل الآخرة! بل إن لهجة القرآن المدنى فى الحديث عن المسالمين منهم لتظل محتفظة بهدوئها رغم كل شىء. وكشاهد على ذلك نأخذ آيات سورة "آل عمران" التالية فى المحاجة بين رسول الله ووفد نصارى نجران، إذ كل ما هنالك أنه صلى الله عليه وسلم قد عرض عليهم المباهلة، أى وَضْع الأمر بين يدى الله يقضى فيها طبقا لصدق الصادق وكذب الكاذب من الفريقين بعد أن يقفا متقابلين ويدعواه أن يجعل لعنته سبحانه على الكاذبين: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا

لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣)".

ثم ما الذى قاله القرآن فى اليهود والنصارى واتضح أنه قد ظلمهم فيه؟ فأما اليهود فهم مُبْغضون من العالم كله قديما وحديثا حتى لقد أصبح هناك فى ميدان السياسة والتاريخ ما يسمَّى بـ"المسألة اليهودية" التى كتب فيها الكاتبون من يهود وغير يهود، فضلا عما هو معروف عنهم من نفورهم من الناس ونفور الناس منهم إلى أن بلغ الأمر أنهم كانوا يسكنون من كل مدينة حيًّا خاصًّا بهم يكاد يكون منعزلا تمام الانعزال عن سائر الأحياء يطلَق عليه: "حارة اليهود". وتاريخهم فى أوربا، التى تتظاهر الآن نفاقا ورياء أنها حبيبتهم وحاميتهم نكايةً فى المسلمين واستعانةً بعَبَدة الدرهم والدينار على كسرهم واستنزاف جهودهم ودمائهم، تاريخ مملوء بالتنكيل بهم والتضييق عليهم. فما بالنا بموقف الأمم الأخرى التى لا تربطها باليهود تلك المصالح السياسية ولا يجمعها بهم كتاب مقدس مشترك؟ ومعروف ما يعتقده اليهود فى أنفسهم من حيث علاقتهم الخاصة جدا بالله، تلك العلاقة التى تسول عقولهم المتعصبة الذميمة لهم أنها علاقة انحياز وإيثار منه سبحانه وتعالى لهم لا لشىء إلا لأنهم بنو إسرائيل حتى لو اجترحوا كل ما فى الدنيا من موبقات وعصيان وكفر! فهذا الاعتقاد المتطرف هو السبب الرئيسى فى توتر علاقتهم بغيرهم من البشر، إذ ينظرون إلى من سواهم على أنهم عبيد لهم وأنهم أقل من أن يكونوا بشرا مثلهم، وأنهم لا ينبغى أن

تقيدهم فى التعامل معهم أية اعتبارات أخلاقية أو قانونية، اللهم إلا اعتبار الأمان من العقاب. وما يفعلونه بالفلسطينيين أصحاب الأرض التى اغتصبوها بمعاونة الغرب ومباركته، وشردوا فى الآفاق أهلها وقتلوهم ودمروا بيوتهم ليلقوا الرعب فى قلوب الباقين منهم فيلوذوا بالفرار من بلادهم ويتركوها غنيمة باردة لأصحاب القلوب القاسية الباردة، لخير برهان على ما نقول. جاء فى سورة "آل عمران": "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)". صدق الله العظيم.

وأما النصارى، الذين يأسى الكاتبان ويكادان يبكيان لأن القرآن ذكر عنهم أنهم "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله" كما جاء فى سورة "التوبة" وغير ذلك، فلا أحد يجهل أن بولسهم قد قلب النصرانية رأسا على عقب سواء من حيث العقيدة أو العبادة أو التشريع، محولا إياها من ديانة توحيد إلى ديانة تثليث، ومن تشريعات موسوية أعلن المسيح فى العهد الجديد أنه ما جاء لينقضها بل ليكملها، إلى تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان. ثم جاءت المجامع الكنسية فأجهزت على البقايا الخافتة الضئيلة التى كانت لا تزال هناك تحت

الوثنية فى تلك الديانة. ثم عندنا صكوك الغفران، التى اقتعد بها البابوات مقعد الألوهية من أتباعهم. ولماذا نذهب بعيدا، ولا يزال يرن فى آذاننا ما استحدثه فريق من كبار رجال الكنيسة قبل عامين أو نحو ذلك من وساخات جديدة أدخلوها فى صلب النصرانية حين وافقوا على ترسيم الشُّذاذ اللوطيين قساوسةً وأساقفة؟ وكم فى جراب الحاوى من عجائب ومفاجآت! أضف إلى هذا ما تملكه الكنيسة من أموال رهيبة، وهى التى ترفع دعوة البساطة والزهد والانصراف عن الدنيا وملاذها، ثم يسّافه رجالها على نبينا لأنه عاش ودعا المسلمين إلى أن يعيشوا عيشة الفطرة التى فطر الله الناس عليها، حتى لقد أصبحت منذ زمن بعيد تمثل بميزانيتها الفاحشة دولةً لا مجرد مؤسسة دينية روحية كما هو معلوم للناس كافة. وقد كان هذا كله سببا رئيسيا للثورة على الكنيسة والنصرانية فى العصر الحديث، وكان شعار ثوار فرنسا: "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس". وهناك أيضا السيرة الجنسية لرجال الدين النصارى وانحرافاتهم فى ميدان الزنا واللواط، حتى لقد كان بعض الباباوات يعاشر أخته والعياذ بالله، كما أن فضائح الفسق بالغلمان فى الكنائس تملأ مسامع الدنيا بل تُصِمّ الآذان وتُغَثّى النفوس إثر كشف الصحف الغربية المستور من هذا العالم العجيب! أما تحريف الكتاب المقدس فلم يعد هناك عالمٌ واحدٌ يعى ما يقول يمكن أن يمارى فيه، بل كل العلماء الآن يقولونه ويثبتونه ويقدمون الشواهد عليه، يشاركهم فى هذا كثير من رجال الدين النصارى أنفسهم. أوبعد هذا

كله، وما هذا كله إلا شىءٌ ضئيلٌ بئيلٌ مما يعج به تاريخ النصرانية، يجرؤ الكاتبان على أن يفتحا أعينهما فى وجه القرآن، فضلا عن أن يتهماه؟

وفى النهاية نقول إنه لا القرآن ولا النبى ولا المسلمون يَمَسّون أحدا من الأنبياء السابقين على الإسلام بأى سوء، وكل ما يقولونه هو أن التوراة والإنجيل قد أصابهما التحريف، وأن الإيمان لا يتم إلا بقبول جميع الرسل والأنبياء، ومن ثم فاليهود والنصارى ليسوا بمؤمنين لأنهم جميعا يرفضون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم يزيد اليهود على ذلك الكفرَ برسالة السيد المسيح عليه السلام. وليس فى هذا مما ينبغى أن يعترض عليه أحد، فهذا مما يستلزمه الإيمان بالرسول والكتاب الذى نزل عليه من السماء. بيد أن هذا شىء، والقول بإكراه اليهود والنصارى على نبذ ما يؤمنون به شىء آخر لا يعرفه الإسلام لا دينًا ولا دولةً. ولو جرى الإسلام على الخطة التى اتبعها النصارى طوال تاريخهم القديم على الأقل، وبالذات فى عهد محاكم التفتيش، لما بقى نصرانى واحد على أرضه البتة مثلما حدث لمسلمى الأندلس (مسلميها جميعا لا عربها، لأن العرب لم يكونوا يمثلون الا نسبةً حدَّ ضئيلة، أما الأغلبية الساحقة فهم أهل البلاد الذين اعتنقوا الإسلام)، إذ لم يمر طويلٌ زمن بعد انتصار فرناندو وإيزابيلا على المسلمين حتى لم يعد هناك مسلمٌ فردٌ يوحد الله، فقد انتهج حكام إسبانيا سياسة الإكراه والترويع والتهجير والتقتيل والتعذيب البشع الشنيع وظلوا يتبعونها إلى أن خلت البلاد من الأذان والقرآن. أما فى الغرب فهم يتباذأون فى حق سيد الرسل والأنبياء دون

أى سبب سوى الحقد على الرسول العظيم الذى لا يزال دينه يأسر الأفئدة ويغزو العقول ويتخطى الحواجز التى تقام فى وجهه كى تسد عليه الطريق، ويدخل الناس فيه أفواجا رغم تقاعس المسلمين بوجه عام عن التفكير فى نشره، وإن حدث فهو فى الغالب نشاط فردى لا مؤسساتى كما هو الحال فى التبشير الذى ينفق المليارات ويسلك سبلا لا تخطر على بال الشيطان نفسه. نعم لا يزال دينه يفعل الأعاجيب رغم هوان المسلمين الآن وضعفهم الشائن المقيت وطمع الجميع فيهم واتخاذ الرائح والغادى لهم ملطشة!

الفهرست

د. إبراهيم عوض (آداب عين شمس)

دكتوراه من جامعة أوكسفورد ١٩٨٢م

له عدد من المؤلفات النقدية والإسلامية منها:

- معركة الشعر الجاهلى بين الرافعى وطه حسين
- المتنبى — دراسة جديدة لحياته وشخصيته
- لغة المتنبى — دراسة تحليلية
- المتنبى بإزاء القرن الإسماعيلى فى تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية مع تعليقات ودراسة)
- المستشرقون والقرآن
- ماذا بعد إعلان سلمان رشدى توبته؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية
- الترجمة من الإنجليزية — منهج جديد
- عنترة بن شداد — قضايا إنسانية وفنية
- النابغة الجعدى وشعره
- من ذخائر المكتبة العربية
- السجع فى القرآن (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)
- جمال الدين الأفغانى— مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل (مترجم عن الفرنسية)
- فصول من النقد القصصى
- سورة طه — دراسة لغوية أسلوبية مقارنة
- أصول الشعر العربى (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)
- افتراءات الكاتبة النبجلاديشية تسليمة نسرين على الإسلام والمسلمين — دراسة نقدية لرواية "العار"
- مصدر القرآن — دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحى المحمدى
- نقد القصة فى مصر من بداياته حتى ١٩٨٠م
- د. محمد حسين هيكل أديبا وناقدا ومفكرا إسلاميا
- سورة النورين التى يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم — دراسة تحليلية أسلوبية
- ثورة الإسلام — أستاذ جامعى يزعم أن محمدا لم يكن إلا تاجرا (ترجمة وتفنيد)

- مع الجاحظ فى رسالة "الرد على النصارى"
- محمد لطفى جمعة – قراءة فى فكره الإسلامى
- إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية – خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود على مراد فى الدفاع عن سيرة ابن إسحاق
- سورة يوسف – دراسة أسلوبية فنية مقارنة
- سورة المائدة – دراسة أسلوبية فقهية مقارنة
- المرايا المشوَّهة – دراسة حول الشعر العربى فى ضوء الاتجاهات النقدية الجديدة
- القصاص محمود طاهر لاشين – حياته وفنه
- فى الشعر الجاهلى – تحليل وتذوق
- فى الشعر الإسلامى والأموى – تحليل وتذوق
- فى الشعر العربى الحديث – تحليل وتذوق
- موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم
- أدباء سعوديون
- دراسات فى المسرح
- دراسات دينية مترجمة عن الإنجليزية
- د. محمد مندور بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة
- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية – أضاليل وأباطيل
- شعراء عباسيون
- من الطبرى إلى سيد قطب – دراسات فى مناهج التفسير ومذاهبه
- القرآن والحديث – مقارنة أسلوبية
- اليسار الإسلامى وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة
- محمد لطفى جمعة وجيمس جويس
- "وليمة لأعشاب البحر" بين قيم الإسلام وحرية الإبداع – قراءة نقدية
- لكن محمدا لا بواكى له – الرسول يهان فى مصر ونحن نائمون
- مناهج النقد العربى الحديث
- دفاع عن النحو والفصحى – الدعوة إلى العامية تطل برأسها من جديد
- عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين
- الفرقان الحق: فضيحة العصر – قرآن أمريكى ملفق

- لتحيا اللغة العربية يعيش سيبويه
- التذوق الأدبي
- الروض البهيج فى دراسة لامية الخليج
- سهل بن هارون وقصة النمر والثعلب – فصول مترجمة ومؤلفة
- فى الأدب المقارن – مباحث واجتهادات
- مختارات إنجليزية استشراقية عن الإسلام
- نظرة على فن الكتابة عند العرب فى القرن الثالث الهجرى (مترجم عن الفرنسية)
- فصول فى ثقافة العرب قبل الإسلام
- بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١: ماذا يقولون عن الإسلام؟

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٧/٣٧٨٩ م
المنار للطباعة ت/ ٢٩٦٤٨٤٤